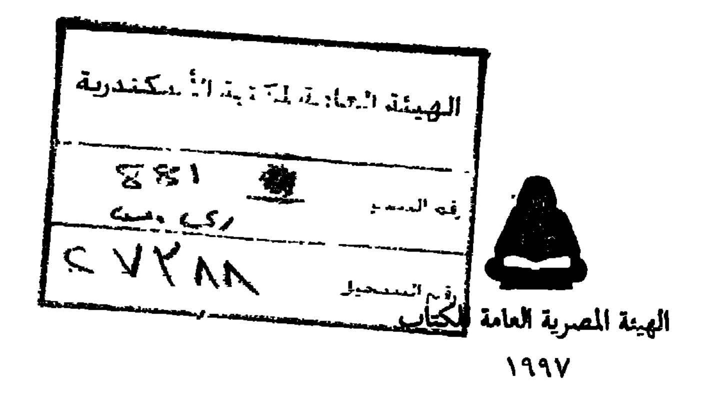
يانيس ريتسوس

البعيد

مختارات شعرية شاملة

ترجمة وتقديم
رفعت سلام



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧

الفهـــــرس

فـكل مـا أحببت

أخذه مني الجنون

والمـــــوت •

سيد البساطة الماكرة

فى اللحظة التى كدت أن أمسك به انقطع الخيط ، وانفلت الى الناحية المستحيلة • وبدأت المطاردة • كان الخيط لم ينقطع ، أو كأنه استبدل بخيط سرى ، ان شده أرخيته ، وان أرخاه شددته ، فلا أحدنا يفلت الخيط ، أو ينسى •

كان ما يشبه النزوة أن كتبت اليه • نزوة لا تأمل فى اكتمال الدائرة • حسبها الانفلات من الكبح الذاتي الى فضاء ما ، مكتفية بذاتها ، فى ذاتها • انفتحت دائرة الى نصفها ، وتعلقت قوسا مضيئا فى الفضاء المراوغ • واستدرت الى اليومى ، ونسيت • كأننى اكتفيت • كأننى •

هل كنت أتناسى أن الدائرة منقوصة ، معلقة فى قلبى بين بين ؟ هل كنت أهرب من عجزى عن اكمال الدائرة التى فتحتها بنفسى ؟ أم كنت أراوغ الاعتراف بالهزيمة القادمة ، اذا ما تجاهل السيد البعيد دعوتى ـ أنا الحد المجهول لديه ـ فلم ير قوسا ولا دائرة ؟

لكنه ـ قبل أن أنسى تماما ـ أدركنى بالرسالة التى أملاها على « كاثرين ماكرينيكولا » ، بدار « كيدروس » صاحبة حقوق نشر أعماله باليونانية : « لقد سعد بأن يعرف باهتمامك بقصائده ، وبنيتك أن تنشر مجموعة منها بالعربية • وهو يمنحك حق القيام بهذا النشر حينما تكون مستعدا » • واكتملت الدائرة • ومرة أخرى ، نسيت ، كأننى اكتفيت • كأننى •

5th April, 1987

Mr. Rifaat Sallam,
5 Rue Cheik Mahammad Rifaat,
(Station Myra)
Héliopolis

Dear Mr. Sallam,

It is through Mr. Yannis Kritikos, a friend of your father-in-law that we were informed of your interest in the poetry of Yannis Ritsos. Kedros is the exclusive publisher of Yannis Ritsos in Greece but the foreign rights for the translation of his poems are owned by him and handled by him personally.

He was pleased to hear of your interest in his poems and of your intention to publish a collection of them in arabic. He gives you the right to proceed to such a publication when you are ready. Unfortunately, he never writes introductory notes to his poems and generally avoids to speak about his poetry. On his recommendation, I enclose some material on his life and work which you will find helpful. If you want to contact him, his address is:

39 M. Koraka Street,
Athens 104 45.

With best regards,

Yours sincerely,

C. Makrinikola

Catherine Makrinikola

لم يكن « حق النشر » شاغلا لى ، أو حافز الكتابة اليه . بل كانت الكتابة فى ذاتها اليه ، نعم الكتابة فى ذاتها . لا آكثر ، ربما . وها هى دائرة الكتابة قد اكتملت ، أى انغلقت ، فماذا بعد ؟

هكذا امتد بيننا خيط . واليونان ـ آنذاك ـ بعيدة بعيدة على . وهو ـ فى تلك البعيدة البعيدة ـ بعيد بعيد . مسافة عصية ، وزمن مراوغ ، والحلم لا يخرج من أبجديته الداخلية الى الامكانية . فيا أيتها المسافة العصية ، المستعصية على اليد القصيرة ، من أين أمسك بك ؟ وكيف ؟

فهل كنت سيد الأبدية ، ليكون لى أن أنسى ما يدبره الزمن من ضربة قادمة ؟ هل كنت سيد المصير ، ليكون لى أن أستند على جدار من هواء ؟

ما كنت هذا ولا ذاك ، لكننى نسيت ، واستندت .

وفى اللحظة التى كدت أن أمسك بالخيط ، انقطع .

وانفلت ـ دون أن يقول لى ـ الى الناحية المستحيلة من الأبدية .

(١)

ظل أبى كان شاهقا ، كان يظلل المنزل كله ،

ويسد الأبواب والنوافذ من أعلى لأسفل .

هو « اليفثيريوس ريتسوس » الأب المولع بالقمار حتى تبديد الأرض ، كأحد كبار ملاك الأراضى فى مدينة « مونيمفاسيا » ، بالجنوب الشرقى من « البلوبونيز » .

وحينما ولد « يانيس » ـ فى ١ مايو ١٩٠٩ ـ كان الصوت المرعب للأب المقامر يحتل فراغات المنزل ، وظله يسد الأبواب والنوافذ المفتوحة على البحر . حالة أقرب الى الجنون الذى يعقب الخراب فالسقوط .

جنون يمارس تجلياته على طفلين وطفلتين ينطلقون ـ بلا وعى ـ الى مصائرهم المجهولة ٠

كان ظل الأب ظلا للخراب الراهن والقادم ٠ فالعام الذى أنهى فيه ريتسوس دراسته الابتدائية (١٩٢١) هو عام موت الشقيق الأكبر بالسل ٠ وبعد شهور ، تدرك الأم ابنها الراحل ، وهى فى الثانية والأربعين ٠

هى الأم التى ستأتى فى « **أغنية أختى** » (١٩٣٧) :

ملاكا أبيض فى الليالى البيضاء ٠

نسمع صوتها البعيد والخفيف الناعس لجوتلتها

فيما نغمض عيوننا فى نوم ملىء بالنجوم ٠

ويكون رحيلها رحيلا لطفولته ٠ تكسرت البراءة الطفولية شظايا انغرست ـ جارحة ـ فى القلب الصغير ٠ لا بهجة ، ولا حنان ٠ لا طمأنينة ، ولا فرح ٠ بل هو الانزواء فى الأركان المعتمة ، فى ظل الأشياء ، بعيدا عن عين الأب السامة ٠

وحيدا مع أشياء المنزل ساعات من التأمل والكلام الصامت الداخلى ٠ هى التى تؤويه ، وتتواطأ على وجوده ، وتمنحه ظلالها والسكينة : الغرفة ، والمقاعد ، والستائر ، المنضدة ، والنافذة ، والملاءة ، والسرير ، والكوب ، والجدار ٠ هى التى تحنو عليه ، وترتضيه ٠ هى الملجأ الحانى ، والأسرة البديلة ٠ وسيكون له ـ فيما بعد ـ أن يبيح لها قصائده لتصبح محورا أساسيا من محاورها ومحاور العالم ، باعتبارها شهودا صامتين على الوجود ، وشارة على حضور الآخرين الغائبين ٠٠ هى حضور الغياب ، الحضور الوديع المكتفى بذاته ، بلا صوت أو عنف ٠

ويصبح المنزل المشرع على البحر نصبا تذكاريا للخراب واللعنة ٠ ومع الفرصة الأولى للهرب ؛ يدير له ريتسوس ظهره ، الى « جيثيون » ومدرستها الاعدادية ، صبيا فى الثانية عشرة من عمره ٠ بعد الاعدادية ،

يفر الى الأبعد : أثينا ، وهو فى السادسة عشرة · صبى قروى ضال يرمى بنفسه ـ وحيدا ـ فى متاهات العالم ، هربا من لعنة المنزل القديم ، وكوابيس الليل والنهار ·

لكن اللعنة لا تفلته ، فتحل به على نحو آخر · انه نفس المرض الذى أودى بشقيقه وأمه : السل · فلا مفر من العودة الى المنطلق « مونيمفاسيا » · لكن رعبه الكابوسى من المنزل يدفع به بعيدا عنه ، الى فندق المدينة البائس مخفورا بأشباح الموت ونعيب البوم · وسيكون عليه أن يكبت مشاعره هذه لتنفجر ـ متأخرة ـ فى « **البيت الميت** » ، بعد أكثر من ثلاثين عاما : فانتازيا الرعب والجنون فى ذلك الحد الفاصل بين الوجود والعدم ، بين الوهم والحقيقة ·

عام واحد فى « مونيمفاسيا » ، فالعودة الى أثينا فى خريف ١٩٢٦ ، ليعمل فى نسخ شهادات الأعضاء الجدد بنقابة المحامين · وبعد شهور قليلة ، يدخل مستشفى « باباديميتريو » ، فمصحة « سوتيريا » ، لثلاثة أعوام تحت العلاج الذى لن ينتهى بخروجه منها · سيطارده لأعوام طويلة قادمة ، يتأرجح فيها بين النقاهة والانتكاس ·

ويكتشف الشعر · كتابة تأخذ شكل الزخرفة البيزنطية ، والصفحات البيضاء تمتلىء بكتابة لن تجد طريقها الى النشر : قصائد تبحث عن الشعر ، عن الشعرى ، فتضرب ـ فى بحثها ـ فى كل الاتجاهات ، مرتبكة ، مترددة ، متهورة ، متعثرة · لكنها الكتابة التى ترأب ـ الى حد ما ـ الصدع الذى انشق بينه وبين العالم ، تعيد اليه ـ الى حد ما ـ التوازن والقبول والتعويض الروحى ·

فى ديوانيه الأولين ـ « **تراكتوريات** » (١٩٣٤) و « **أهرامات** » (١٩٣٥) ـ يمنح الفرصة للأصوات الكبرى أن تحتله بلا مقاومة · انها سطوة « بالاماس »و « فارناليز » و « كاريوتاكيس » ، التى حاصرته فى « سوتيريا » ، فى أجواء المرض والحمى والزحف الواهن نحو مستقبل غامض ، ضبابى · لم يكن صوته الشعرى تماما ، ولم يكن ـ بالطبع ـ

صوتهم تماما • كانت الغنائية تختلط بالخطابية ، والتحريض بالمأساة • ديوانان ينتميان — بصورة واضحة — الى الشعر السياسى • ورغم ذلك ، فعندما ظهرا لم يستقبلهما نقاد اليسار استقبالا طيبا ، اذ اتهموا الشاعر بكونه مثاليا ومشغولا — أكثر من اللازم — بالشكل الفنى • وانتقدوا — على وجه الخصوص — لغته الشعرية ، باعتبارها لغة « زخرفية » ، وأكثر تعقيدا من أن تستوعبها الجماهير •

يبدأ « **تراكتورات** » بنداء الى الأم / الشعر كى تستقبله ، لينتهى بسيل جارف ضد المجتمع المتعفن المتدهور • وما بين البداية والنهاية قصائد أليمة عن اذلاله على يد « جماعات من البرابرة » التى تحيط به ، ووالده المحجوز فى مصحة للأمراض العقلية ، بينما يحادثه ابنه المريض من مصحة سوتيريا • ويضم الديوان — فى نفس الوقت — أناشيد الى ماركس وانجلز وروسيا ، ودعوة من أجل عالم واحد ، يكون فيه الجميع أخوة متساوين •

ويستمر هذا التوجه المزدوج — الذاتى / السياسى — فى « **أهرامات** » : رثاء عاطفى لأخته يمتزج برثاء صباه التعيس :

آه ، لا أذكر أبدا أننى كنت ذات يوم صغيرا
مثل عجوز مشلول كنت أختبىء بالداخل
أقرأ الكتب العتيقة •

وينتهى الديوان برؤى عن نفسه ، كجندى بسيط بين صفوف العمال ، يحارب من أجلهم بـ « قيثارة ومعرفة » •

وفى مايو ١٩٣٦ ، يقوم عمال مصنع التبغ — فى مدينة سالونيك — بالاضراب احتجاجا على تدنى الأجور • وحينما يستدعى رجال البوليس ، يطلقون النار على المضربين العزل ، فيقتلون اثنى عشر شخصا ويجرحون المئات • وفى اليوم التالى ، نشرت الصحف صورة أم متشحة بالسواد ، تبكى ابنها القتيل فى أحد شوارع المدينة • التقط ريتسوس الصورة ، وبعد يومين من العمل الخلاق ، كانت « **ابيتافيوس** » (تراتيل الدفن التى

تؤدى فى الكنائس اليونانية الأرثوذكسية يوم الجمعة الحزينة) · انها — من جديد — مأســاة صلب المسيح ، بل تتعدى الصلب الى القيامة · والعويل فاتحة القصيدة :

تركتنى ذات يوم من مايو ،

وذات يوم من مايو فقدتك ·

عويل أم لا تستطيع ادراك سبب موته ، كما لا تستطيع فهم أفكاره السياسية · لكنها — عبر القصيدة — تصل ، فى منتهاها الى :

لقد حملت بندقيتك ، فنم الآن ، نم ، يا بنى ·

وأصبحت القصـــيدة النشيــد الوطنى — غير الرسمى — لليســار اليونــانى ، وخاصــة بعد أن قــام « ثيودراكيس » بتلحينها فى أواخر الخمسينيات · ففى مايو آخر — عام ١٩٦٣ — وفى مدينة سالونيك أيضا انطلقت الحشود المرابطة خارج المستشفى الذى يرقد فيه النائب البرلمانى اليسارى « لامبراكيس » — اثر الاعتداء عليه من قبل مأجورين سياسيين — فى انشاد « ابيتافيوس » وبينهم ريتسوس وثيودراكيس ، رثاء للشهيد ، لينتقل النشيد الى أثينــا أثناء تشييع جنازتــه · وخلال حكم الجنرالات القادم — الذى سيعتقل ريتسوس — كانت القصيدة شعار كل احتجاج على الديكتاتورية ·

وفى أعماله التالية مبــاشرة — التى تبدأ بقصيدة « **أغنية أختى** » — واصل ريتسوس استخدامه المطور للغــة ، بل وذهب الى أبعد مما تحتمل متطلبات الفن « المناضل » · انها مفاهيم جمالية جديدة لا علاقة ذات بال بينها وبين مفاهيم اليسار· وبدءا من ذلك الحين ، سيكون حافز ريتسوس هو البحث عن « بعد رابــــع » فى الشعر ، ربما لأنه اكتشف محدوديــة الاطار الفنى الذى تتخذ فيه جميع الظواهر الاجتماعية دلالة اجتماعية · لا يعنى ذلك أنه لم يعد « واقعيا » ، أو أنه قد تخلى عن « اشتراكيته » ، بل يعنى أنه قد تخلى عن استهداف « الواقعية الاشتراكية » ·

وقبل وفاته بحوالى أربعة أعوام ، سيكون لريتسوس أن يرى :

«ان المضمون الاجتماعي للشعر ليس ــ بالطبع ــ المقياس الأول لقيمة الشعر ، لكنه ــ بلا شك ــ المقياس الأخير ، المحدد · فعندما يخرج الشعر من أطر الاعتراف الذاتي للشـاعر ، فانه يصبح بالضرورة ــ تعبيرا عن حاجة الناس ، كل الناس ، للعدالة والحرية والبهجة ، الحاجة الى التغلب على العزلة المرهقة ، وتعفن الموت · ان الفن الأصيل والشعر الأصيل يجب أن يصل حتما الى ذلك · لكن هناك مسألة أخرى ، اذ اننا أحيانا ما نكون ــ فى الشعر ــ اجتماعيين أكثر مما يجب ، وأحيانـا ما نصـنع ــ باسم السياسة ــ سياسة رديئة فى الفن · ان الجانب الاجتماعى والجانب الجمالى فى الشعر يجب أن يكونا متجانسين ومتكاملين ومتوحدين بشكل لا يمكن ــ معه ــ فصمهما ·

ولا أحد ــ بالطبع ــ يمتلك الحق فى أن يفرض على الفنان أن يجعل من فنه « فنا اجتماعيا » · فلابد أن يكون ذلك مطلبـا ينبعث من أعماق الفنان نفسه · ان متطلبات وحاجات الشـاعر الحقيقى والفنان الأصيـل تتطابق حتما ودائما مع متطلبات الشعب وحاجاته ، وهى المتطلبـات التى يكشفها الشاعر ويبلورها جماليا فى ابداعاته الفنية· وعلى هذا الأساس ، يشارك الشاعر ــ بشـكل مبـاشر ــ فى العملية العامة لتغيير العـالم · ويناضل الفنان طوال حياته ضد الظلم والاستغلال ، وضد كل أشكال الموت الاجتماعى ، حتى وان كان هذا النضـال يبـدو ــ للوهلة الأولى ــ وكأنه نضال خاص ومنعزل ، الا أنه ــ فى الواقع ــ نضال عام وجماهيرى، اذ ان هذا النضال يستجيب لشىء مهم جدا عند الفنان ، وهو الحاجة الى التعبير عن مكنونات ذاته ، الحاجة للاعتراف بالحرية ، الحرية التى تزيل الأطر الضيقة لاغتراب الشخصية الانسـانية · ان هذا النضـال تأكيد لأهمية الحياة الانسانية ·

واذا ما كانت ثمة قيمة ما فى عملنا ، نحن الشعراء ، فانها تكمن فى أننـا قد تجاسرنـا بالتغلغل فى أعماق الألم الانسـانى ، واسـتطعنا أن نستخرج الأمل من كل الآلام الانسانية، وأن نساند الضياء وسط الظلام »

« **أغنية أختى** » هى النموذج الأول للشكل المفضل عند ريتسوس ٠ القصيدة الطويلة التى توصف بأنها « سيمفونية » أو « تركيبية » ٠ كتبت القصيدة عام ١٩٣٧ ، لكنها تعكس التجارب المريرة التى مر بها ريتسوس وأخته « لولا » عندما رحلا الى أثينا ، بعد خسارة الأسرة لثروتها ، وهما يجاهدان من أجل البقاء وسط الغليان الاقتصادى والسياسى الذى أعقب كارثة آسيا الصغرى ، وما واجهاه من مصاعب مروعة ٠ هو الحزن الشخصى ملتحما بالوعى التاريخى ٠ وهى أحد أطراف الثلاثية التى تضم ـ معها ـ « **سيمفونية الربيع** » (١٩٣٨) و « **مسيرة المحيط** » (١٩٤٠)، والتى تمثل ـ بصورة غير مباشرة ـ روح المقاومة ضد ديكتاتورية ميتاكساس فى اليونان ، وصعود الفاشية فى أوربا ٠ والشمس ـ التى تحتل أفق القصيدة ـ هى رمز الايمان الراسخ لدى ريتسوس بالقدرة المخلصة للشعر ، والمقدرة الانسانية ـ مهما كانت الظروف ـ على الاستجابة لنداء الحياة الذى لايقاوم ٠ ولا يتحقق انتصاره على اليأس بسهولة ، بل بعد رحلة مريرة نحو الضوء وسط الظلام ٠

(٢)

سمعنا أغنية البحر
فلم نعد قادرين على النوم

أعوام من الرعب تجىء ، مع النقاهة ٠

فى مقابل الديكتاتورية الحاكمة ، تصعد الفاشية الى عرش أوربا ٠ وتقتحم القوات الألمانية الحدود ، فالاحتلال ٠ وتدرك المجاعة الشاملة الشاعر ـ مجاعة ١٩٤١/١٩٤٢ ـ فيتهدده خطر الموت ، بعد أن أصبح أرضا خصبة بفعل المرض ٠ ويكتشف وضعيته أحد أصدقائه الصحفيين ، فيطلق صرخة تحذير فى جريدته واسعة الانتشار ٠ وتم فتح اكتتاب عام لانقاذ الشاعر ، فاذا به يرفض استلام النقود ، ويطلب توزيعها على الأدباء الشبان ٠

البقاء على قيد الحياة : كان الشعار المرفوع في وجه المجاعة ٠

وجبهة التحرير الوطنى : كانت تنظيم المقـاومة الشـعبية ضـد الاحتلال· والتحق ريتسوس بالقسم الثقافى للجبهة مع الكتاب والفنانين، يلقون القصائد ، يعرضون المسرحيات الحماسية ومن بينها « أثينا تحت السلاح » لريتسوس · هو العمل الذى سيعيد صياغته ــ بعد سنوات ــ ليتحول الى « قصيدة حوارية » تحمل عنوانا آخر : «**أبعد من ظلال السرو**»·

كأنه « **القرن الأخير قبـل الانسـانية** » : القصـيدة التى كتبها ريتسوس فى صيف ١٩٤٢ ، أملا فى عهد جديد شبيه بالعهد الذى بدأه المسيح ، وهو الشـاعر الذى سيكون حلقة وصـل بين العهدين القديم والجديد · وهى احتفـال بأبطال الموقعـة الألبانية الذين صـدوا جيش موسولينى ، وبكاء للمجاعة والغزو الألمانى ، وتمجيد لجبهة التحرير · وهى الأمل الكبير فى مستقبل يمشى فيه الرجال تحت الشمس بحرية كاملة · قصيدة تستخدم رموزا مسيحية لتأكيد ايمان ريتسوس النهائى ، لا بالمسـيح ولا بأية قوة ميتافيزيقية ، وانما بأسمى غرائز الانسـان ، فى الوقت الذى تطفو على السـطح ــ مؤقتا ــ أسوأ تلك الغرائز وأكثرهـا انحطاطا· وتنتهى القصيدة بلافتة على مفترق الطرق : « **من هنا الطريق الى الشمس** » · وعندما يتساءل أحدهـم عمن رسم تلك اللافتة « **بحروفها الغليظة تلك** » ، يجيب آخر : « **انه يانيس ريتسوس ، شاعر القرن الأخير قبل الانسانية** » ·

كان الجميع يأملون فى بعث وحدتهم من جديد عند انسحاب الألمان· لكن النتيجة كانت حربا أهلية جاءت مباشرة بعد التحرير ، حيث انهزمت المقاومة التى كان يقودها اليسار ، فى ديسمبر ١٩٤٤ ، بمساعدة الدبابات البريطانية · وهو ما عمق الفجوة بين الطرفـين المتقاتلين · وما ان حلت المرحلة النهائية للحرب الأهليـة ، حتى استقبلت المعتقـلات اليونانية فى الجزر ما يزيد على عشرين ألف معتقل ، حكم على ثلاثة آلاف منهم بالاعدام، الذى تم تنفيذه فى ألف معتقل بصورة عاجلة ·

معهم ، تم القبض على ريتسوس عـام ١٩٤٨ ، الى معتقـل جزيرة « ليمنوس » ، وبعدها الى « مؤسسة اعـادة التثقيف الوطنى » فى جزيرة

« ماكرونيسوس » ، حيث مارس عليه حراسه كافة أشكال التعذيب الجسدى والنفسى كسياسة عامة ، لتحويل الشيوعيين الى « هيللينيين صالحين » • بعدها نقل الى « آى ستراتس » (أجيوس افستراتيوس) • ولم يصمت طوال السنوات الأربع التى قضاها فى المعتقلات • فقد واصل الكتابة فى أحلك الظروف ، ليضع قصائده داخل زجاجة يدفنها فى أرض المعتقل الحجرية • وأولا بأول ، كان يلقى قصائده على زملائه المعتقلين • ذلك ما يفسر استخدامه للأسلوب المباشر فى قصائد تلك الفترة ، ومن بينها « **رسالة الى جوليوت كورى** » (نوفمبر ١٩٥٠) :

عزيزى جوليوت ، أكتب لك من آى ستراتيس
حوالى ثلاثة آلاف منا هنا ،
أناس بسطاء • عمال أشداء ، كتاب أدباء ،
تغطى ظهورنا جميعا بطانية واحدة مهترئة ،
بصلة ، وخمس زيتونات وكسرة جافة من ضوء فى
أكياسنا ،

أناس بسطاء كالأشجار فى ضوء الشمس ،
جريمتهم الوحيدة المدونة فى سجلاتهم :
هى ـ فقط ـ أننا ، مثلك ، نحب السلام والحرية •

حقبة أعاد فيها ريتسوس النظر فى رؤيته للعالم واليونان والتواريخ ، بحثا عن ذاته التاريخية الشعرية ، وعن صوته الشعرى الذى يختصر الذاكرة اليونانية، ليجد بين يديه « **روميوسينى** » : قصيدة ملحمية تستمد لغتها وايقاعها من التراث الشفاهى الذى يرجع الى الأناشيد البطولية للفدائيين فى حرب الاستقلال (١٨٢١ ـ ١٨٢٧) ، والقصائد الأكريتية البيزنطية **خلال الحكم التركى** ، رجوعا الى الأغانى الهومرية ، حيث الشاعر منشد الجماهير ، راوى الحكايات الذى يمجد ويحتفل بمن يعشقون التراب اليونانى ، الموتى منهم والأحياء • عشق يجعل المشهد الطبيعى ـ فى القصيدة ـ يتخذ نفس نسيج الوعى الحى للعاشق ، فيما يتخذ العاشق ووعيه نفس نسيج المشهد الطبيعي الحي •

وليست « روميوسيني » مكانا فحسب ، بل هي ـ أيضا ـ زمان •
فالطبيعة اليونانية هي محور التشكيل الشعرى للقصيدة ، لكن هناك ـ أيضا ، وبصورة متزامنة ـ الوعى الحاد بالانفصامات المرعبة فى التاريخ اليونانى • هى تجربة الحقبة المأساوية والفاصلة بين الاحتلال الألمانى والحرب الأهلية، والتى تعنى ـ من وجهة نظره ـ خيانة للمقاومة •

قصيدة ملحمية ، لكنها لا تتطور خطيا وفقا لبنية سردية أو أيديولوجية • فالشكل الزمنى ليس تعاقبيا ، يتحرك أفقيا من بداية ـ عبر وسط ـ الى نهاية ، ولا جدليا ، من فكرة الى نقيضها الى مركبهما • بل تتمحور القصيدة ـ على نحو مكثف ـ على موقف تاريخى معاصر ينفتح رأسيا حتى أقصى حدود الماضى اليونانى• فخيال ريتسوس الشعبى واللغة المفعمة بالحيوية التى تعبر عنه يكتشفان ، أو ـ تحديدا ـ يفتحان زمن الذاكرة الذى يتحقق فيه حضور كل الأزمان اليونانية ، زمن تلتئم فيه الشظايا الزمنية وأطلال التاريخ اليونانى ـ صورة مطاريد الحكم التركى والثورة اليونانية ، حراس الحدود المدنيين ، والمقاتلين الهومريين ـ تنبثق من البنية العرقية لما تحت الوعى ، لتحقق الهوية والتواصل مع الصورة المعاصرة (رجال الميليشيات الجبلية) • فالخيال العامى لريتسوس ـ بمعنى آخر ـ يحول سلسلة من المواضى الميتة الى حاضر حى لابد من ادراكه ـ بالطبع ـ بصورة متزامنة •

بذلك ـ على سبيل المثال ـ يحتسى البحار (المعاصر) البحر المرير من كأس أوديسيوس ، ويلتقى رجال حرب العصابات مع « ديجينيس » فى نفس تلك الطوابق التحتية على الحدود البيزنطية حيث تصارع مع الموت ، والمرأة العجوز تصعد الى مواقع المراقبة حين تبلى الرسوم الجصية المينوية للغروب فى البعيد ، والشاعر يحفز الريح كى تدفع « دب الليل » الى رقص « التساميكو » فى الميدان ، بينما يقرع القمر الدف الى أن تهتز شرفات الجزيرة •

واستعادة الماضى ـ هنا ـ ليست استحضارا رومانسيا ، ولا بحثا عن الزمن الضائع ، ولا هي ـ حتي ـ استعادة اليوتية (نسبة الي اليوت)

ل « الحس التاريخي » ، حيث يبحث الشاعر ــ بوعي ــ عن تواصل الماضى مع الحاضر • فبالنسبة لريتسوس، فانه لا يتخلى أبدا عن الوضع الراهن؛ واحتمالاته فى مستقبل حقيقي • فالراهن المفتوح يبقى فى الخلفية منذ البداية حتى النهاية التى ما تزال فى طور البداية • وتواصل الماضى اليونانى متحقق ــ لديه ــ كمعرفة مباشرة فى ذاكرته العرقية ، أو فى ايقاع دمه اليونانى ، ويحيا ضمن امكانيات لغته الدارجة الديموطيقية ، الشفاهية •

انه التزامن سمة أساسية ، والمعرفة الوجودية المباشرة محور أساسى للرؤية • وتلتحم الاحالات ــ المتعلقة بكائنات بشرية ، أو أشياء من الطبيعة ــ فى شخص اليونان الأم ، التى تتخذ ــ فى قفزات سيريالية خاطفة ــ تشكيلة مدهشة من الهويات الأنثوية التى تنتمى الى الماضى اليونانى المتشظى والكثيف : حورية الماء ، ربة الأرض الأم الأورفية التى تنجب ايروس وسط الهيولى ، وليدا التى تثمر تاريخ اليونان القديمة ، وأثينا الربة المقاتلة ، وأخيرا برسفون (بالاحالة الى ابنة الحداد) ، وأمها ديميتر التى توزع عليهم خصب الأرض والنشور •

استدعاء للتواصل التاريخي أو ــ بالأحرى ــ الاكتمال التاريخى ، دون أن يتحقق على حساب الحاضر • فهو يكتشف ــ من ناحية ــ التوحيد بين ابنة الحداد المعاصرة والأم النائحة ، و ــ من ناحية أخرى ــ بين الأرض الأم وحورية البحر والعذراء وديميتر وبرسفون • لكن موضوعه الدائم الملح هو الأنصار اليونانيون المعاصرون • فالاستدعاءات من الماضى اليونانى لاتستهدف ــ كما عند اليوت وييتس وجويس ــ اجتذاب البانوراما الهائلة للاجدوى والفوضى « المرادفة للتاريخ الانسانى » الى علاقة متوازية من أجل ضبط وتنظيم وتشكيل ومنح المعنى لها• فهى ليست أداة لتشكيل عالم جمالى أو روحى متعال من الخيال ، يترفع على الحاضر الخشن • انها حاضرة من أجل الاحتفال بالخيال المعاصر الواقعى لليونانى، الذى يعرف أن « هذه الأرض لهم (للموتى) ولنا ، ولا يمكن لأحد أن ينتزعها منا » • ذلك هو السبب فى أن ريتسوس ــ باعتباره مغنى الجماعة ــ يقدم الصورة التاريخية والأسطورية والشعبية عن الماضى من

منظور الاحساس اليونـاني البيولوجي أو الطقسي (أكثر من الذهني) بالزمن والتاريخ ٠

وصورة هذا العالم الذي يكتشفه ريتسوس ـ العالم الذي تندمج فيه كل الأزمان والفضاءات ، كل الأحداث والأشياء في انسجام خالص ـ تصبح ، بذلك ، مقياسا حيـا للتهديد الذي يوجهه ال « هـم » الغزاة في القصيدة ٠ وفي ذلك يكمن السبب في قدرة ريتسوس على أن ينطق ـ في المقطع السابع ـ بكلمات الحب في سياق يستدعي الكراهية والمرارة ، وأن يؤكد الأمل في سياق يستدعي اليأس ٠

هكذا ، تقدم القصيدة الزمن اليوناني ، دون أن يهم كم هو مشتت ظاهريا ، كراهن أبدي ٠ انه حضور حي في وعي « الشعب » المعاصر ٠

★★★

« الشعر ظاهرة معقدة للغايـة ، لأنها تتحدد بتأثير عوامل عديدة ، اجتماعية وتاريخية وأخلاقية وبيولوجية ٠ وأنا واثق أن آلاف الصفحات من النصوص التوضيحية ، وآلاف الخطب ، لا تستطيع ـ بشكل كامل ـ أن تعبر عن الشيء الذي تتضمنه هذه القصيدة أو تلك ٠ بل أقول ما هو أكثر : ان قيمة القصيدة لا تكمن ـ فقط ـ فيما تتحـدث عنـه ، وانما ـ بالأساس ـ فيما يجعـل القصيدة نتاجا فنيا ٠ وبعبارة أخرى ، فان القصيدة فعل جمالي متكامل ٠ ولهذا ، فان اخضـاع القصيدة للتأويـل والتفسير مسألة خطيرة للغاية ٠٠٠ فلا يمكن تفسير الشعر حتى النهاية ، وروعة الشعر وسحره المتفرد يكمن في ذلك بالذات ٠ انه التعبير عن أدق حركات روح الشاعر وفكره ٠

ومهمة النقـد هي تقسـيم الصـورة النسـيجية التي يكمن فيها جوهر الشعر نفسه الى أفكار منفصلة وأحاسيس وصور فنية وايقاعات ، ثم يجرد ارتباطات كل هذه العناصر ، ويكتشف فيها آلية تأثيراتها ، ومن ثم الموقف الوجداني المحدد للشاعر في علاقته بالواقع الاجتماعي والخلفية الفكرية لتلك العلاقة ٠ لكن ذلك يجب ألا يفضي بالنقد الى وضع متطلبات

وشروط قسرية ازاء الانتاج الأدبى قد تؤدى الى ابتعاد القارىء نتيجة لتلك الآراء والادعاءات .

وأسوأ ما فى الأمر أن نرى الناقد يؤدى دور المراقب أو المعلم تجاه الشاعر . ان هذا الموقف هو خرق للأخلاق وظلم للشعر والشعراء. يجب أن يتخلص النقد من نبرة الحاكم أو الرقيب ، ويجب أن يتفاعل مع أخلاقية الفن ، وهو ما سيؤدى بالنقاد (والقراء أيضا) الى اكتشافات واستخلاصات كثيرة وجديدة . يجب على النقد أن يقرب الشعر للقارىء ، وهى مهمة عظيمة ، اذ ان الشعر هو منبع التقنية الجمالية للروح الانسانية ، انه يعلم الانسان أن يحس بعمق ورقة ، ويغنيه روحيا، ويعمق عالمه الوجدانى . ان الشعر يربى فى الانسان الأوليات الجمالية ، والتى هى - فى جوهرها - اجتماعية بلاشك، اجتماعية بأوسع مفهوم للكلمة » .

(٣)

لا يستطيع أحد أن يسكت غناءنا .
سنواصل الغناء .
فالعالم جميل - نحن نؤكد -
جميل ، جميل ، جميل - وسنواصل الغناء .

لم يكن ممكنا نشر « روميوسينى » عند كتابتها . وكان لها أن تنتظر ست سنوات كى تنشر عام ١٩٥٤ للمرة الأولى . وللمرة الثانية ، يقوم « ثيودراكيس » بتلحين احدى قصائد ريتسوس ، ليقدمها الاثنان معا الى الجماهير الحاشدة قبل فترة وجيزة من منع النظام لأعمال الاثنين .

لا يستطيع أحد أن يسكت غناءنا .

كأنه يكتبها وأسنانه مطبقة ، وشفتاه مزمومتان . لمحة من السخرية والمرارة بدأت تظلل قصائده الأخيرة، دون أن تقمع الأمل الكامن فى قلبها. وبعد اطلاق سراحه ، جمع القصائد المكتوبة فى ظلمات الحقبة الماضية

(١٩٤١ ـ ١٩٥٣) فى مجموعة بعنوان شامل : « **سهر** » ، تحت عبـارة اقتبسها من فترة حالكة أخرى فى تاريـخ اليونـان ، من « ديونيسيوس سولوموس » : « أعين روحى مفتوحة دائما ، لترقب دائما » . انه السهر على جثة الميت فى مواجهة انحطاط وظلم الحياة ، بلا يأس أو انكسـار ، بل بالأمل والعنفوان .

تزوج عام ١٩٥٤ ، وفى العام التالى احتفل بطفلته القـادمة بديوان « **نجمة الصباح** » ، الديوان الأول الذى لا تشوبـه لمحة مرارة أو حزن . لكن الفرح بنجمة الصباح الوليدة لا يلغى الاحساس بضياع ما . كما أن الوضع اليونانى ـ بالرغـم من تحسنه الجزئى ـ لم يكن ليرضى شـاعرا بقامة وأفكار ريتسوس .

كانت الحقبة التالية ـ وحتى اعتقاله الجديد عـام ١٩٦٧ ـ فترة خصوبة انتاجية هائلة : ما لا يقل عن ثمانية وعشرين ديوانا من الأعمال الجديدة ، وثلاثة مجلدات لقصـائد ١٩٣٠ ـ ١٩٦٠ ، وتسعة مجلدات لترجماته الى اليونانية . ويتكشف الاهتمام بتعميق التجربة الشعرية ، والتجاوب مع المتناقضات والتعقيدات الصارخة التى مر بها . نزوع الى الحوار الذاتى الدرامى ، كشكل طيـع لتقديم رؤية للعـالم يمتزج فيها الأسطورى بالآنى ، والصفاء والبساطة يتعايشان مع الغموض والكوابيس، واليومى يمتزج بالفانتازى .

هكذا ، يستعيد « **أوريست** » من الذاكرة الأسطوريـة فى مونولوج درامى يطرح الصراع بين « الفعل » و « الفكر » . وتقود القصيدة بطلها الأسطورى فى طريق تأمل يفضى به ـ فى نهايته ـ الى الرغبة فى الفعل ، برغم ادراكه لأعمق تعقيدات الحياة . وبمعنى ما ـ اذن ـ يقدم ريتسوس مراجعته ل « هاملت » . فهناك :

.. الوعى جعلنـا جميعـا جبنـاء .
ولهذا فالمظهر الأصـيل للقرار
قد علاه شـحوب الفـكر .

أما بالنسبة لأوريست ، فالقرار ليس مقموعا بفعل الفكر، بل يقوى به • انه مشلول ـ بصورة مؤقتة ـ بفعل تأملاته ، لكنه ـ فى النهاية ـ يذبـــح « كليتمينسترا » ، ويقدم على ذلك لا برغـم ادراكه الأعمق ، بل بســـببه •

انها الوحدة التناقضية للتعارضـات • فليس غريبـا ـ اذن ـ أن يكون الأسلوب البلاغى المهيمن فى القصيدة هو « المفارقـة » : (« حركة بلا حركة » ، « ضبابى ، لكنه محدد » ، « صرخة صامتة » ، « ما لا يعزى، •• يعزى ») • ولا يمثل ذلك تلاعبـا ماهرا بالألفاظ ، بل تحقق لغوى لمادة الموضــوع • وهو ما لابد أن يوجـه انتباهنا الى الطبيعة الثنائيـة والتناقضية للصور التى تنقسم ـ فى عمقها ـ الى نمطين • ثنائية محددة و / أو مدمرة ، فى النمط الأول تتجلى فى تشبيه لسان الجرس والجرس ، الذى يصف اغتراب اليكترا عن صوت عويلها :

وهى تتـدلى هنـاك داخل صورتها

كلسان جرس ، وهو يقرع ويقرع الجرس •

وصوتها هو صوت الانتقام ، أو هكذا تظن • لكن أوريست ـ وهو يمضى تدريجيا الى المعنى الأعمق للأشياء ـ يدرك أنها « سجينة عدالتها الضيقة » • انها مفارقـة أن الدوافـع الطبيعية للفعـل الانتقامى تسجن الذات ، وتحد منها • ولهذا ، فاليكترا الشابة انما هى عجوز ، وحزامها « يشبه شريانا بلا دماء حول بطنها » •

ويرفض « أوريست » أن ينحصر فى نفس الطريق • واذ يبحث عن « مخرج وأيضا مدخل » ، فانه يتوصل الى ذلك عن طريق النمط الثانى للرؤية الثنائية ، حيث الذات الفردية الراغبة فى الفعل (اللسان) تكف عن التصادم مع المحيط الضيق ، الفظ ـ (الجرس) ـ ويتم استيعابها فى لانهائية ما غامضة وحافزة • وما ان يدرك أن النضال الانسانى كله ـ حتى قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » ـ « يحفز الحياة » ، فانــه يقوم ـ راضيا ـ بالفعل •

والصور – فى هذا النمط الثانى – تجمع المتعارضات معا : السكينة والغليان ، الحركة والسكون ، والمتناهى واللانهائى ، والموت والبعث ، فالليلة الساكنة – التى تكسرها صرخات « اليكترا » – تشبه نهرا مظلما :

ينساب نحو البحر بقفزات لا مرئيـة
(ربما كان أحدهم يرمى أحجارا فى النهر)
وفلاح يسير على حافـة حقـل
وهو يحمل تحت ذراعه الظل الذى رمته غيمة –
ظل يرسم مشهدا طبيعيا بعيدا للانهاية)
(فأر يهوى فى الآبـار ويغرق ،
لكن الآبار نفسها تعكس الكواكب
وهى تتحرك ببطء عبر السماء)

وفى جميع هذه الحالات ، يرتبط شىء ما صغير ، محدود ، ومدمر فى الغـالب ، بشىء كبير ، غامض ، بـلا ايذاء : نجوم ، غيوم ، النهر ، الظلال ، مربوطين معا ضمن :

ايقـاع الحيـاة المتكرر .

فى هذا السياق من السكينة والايقاع الأبدى ، والصمت الكامن فى النسـق الذى ينتظـم البـذور والنجوم ، نلتقى – لأول مرة – بالبقرة الصابرة المتحملة ، التى تساعد عيناها الكبيرتان الأرض على التآلف مع الأبديـة .

وعندما نلتقى بالبقرة مرة ثانية ، فاننا ندرك أنها – أيضا – وأكثر حضورا من أى رمز آخر ، تتوج التعارضـات المتصارعـة . فهى لم تعد مربوطة – فى كسل – كما السابق ، بالأوراق والسماء الزرقاء والتربـة الدافئة . وما ان تتحرر من النير حتى نكتشف أنها :

مجروحـة فى ضلوعها وظهرهـا ...

فهى – بذلك – مشاركة فى كل من الايقاعات الخلاقـة للأبديـة ، والمعاناة المدمرة للحياة الأرضية .

أما ذلك النهر الآخر ـ النهر المظلم الذي ينساب نحو البحر مضطربا بفعل الصخور التي ربما ألقاها أحدهم فيه ـ فقد تصعدت أحجاره الى دماء ، ترتبط بالسيف الدامي الذي سيستخدمه « أوريست » في قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » • وفيما كان التقابل ـ في الثنائية السابقة ـ قائما بين الأشياء الصافية وغير الصافية ، فان الايقاع المتكرر للحياة يفتقد ـ الآن ـ صفاءه ، بل انه ـ الآن ـ جرح كوني • مفارقة تتراكم فوق أخرى، فما كان ـ في البداية ـ متناقضا لأنه جمع التعارضات الظاهرية معا ، يصبح ـ الآن ـ مزدوج التناقض • ورغم ذلك ، فالنهر المعتكر للحياة المنسابة أبدا ما يزال يستبقي خصائصه الشبافية • والدم النازف من شفتي البقرة قد تلاشى ـ بالتدريج ـ في ذلك الجرح العظيم ، كأنه ينساب :

متحررا ، بلا ألم ،
خلال شريان خفي للعالم ••

وهذا الشريان الخافز للحياة هو المقابل لذلك الشريان الآخر ، الذاوي بلا دماء حول بطن « اليكترا » • وبينما تظل « اليكترا » ـ في عماها السجان ـ عدوا للمفارقة ، لأي شيء « غير منطقي » ، فان البقرة ـ بحكمتها ـ تبدو وقد تعلمت ، تبدو قادرة على القبول في سكينة :

بأن دمنا لم يهدر ، أن لا شيء قد أهدر ،
لا شيء مطلقا قد أهدر في هذا الهباء العظيم •

وهذه الحكمة يتبناها الآن « أوريست » ، ثمرة لتأمله الطويل أمام بوابة الأسد • يدرك أنه يحمل هذه البقرة في ظله (نذكر ذلك الفلاح الذي يحمل ظل غيمة تحت ذراعه) ، يدرك ـ أيضا ـ أن الظلال اللينة ، اللامحسوسة لقرني البقرة يمكن أن تتحول الى أجنحة مسنونة يتمكن بها من عبور الباب المغلق (فلنتذكر « اليكترا » ـ في المقابل ـ وهي معلقة في واجهة جرسها الفظ) •

لقد اكتشف أننا نشارك في الحقيقة الكونية (للاشيء العظيم) بأن نسمح لأنفسنا ـ من خلال التأمل ـ بأن نتعلم المفارقة أن كل

المغتصبين أبرياء ، « لأننا جميعا مغتصبون على نحو ما » • اننا نشارك في حقيقة كونية بالعمل في توافق معها •ذلك هو قدرنا • وقد يبدو أوريست وكأنه يفعل باسم تبريرات « اليكترا » غير المقنعة ــ العقاب ، العدالة ، الانتقام والكراهية ــ لكن تلك التبريرات لا تزيد عن أقنعة يرتديها كي تغطي ذاته الحقيقية • وحين يشارك في الموت ، فانه يختار ــ بحريـة ــ « المعرفة وفعل الموت الذي يولد الحياة » •

ولهذا ، فالأفعال التي تشارك في كلية تتضمن التدميرية هي ــ الى حد ما ــ ايجابية • ولا يسـتطيع « أوريست » أن يقوم بالفعل بنـاء على أسباب غير مقنعة تقترحها « اليكترا » ، لكنه ربما يستطيع الفعل من أجل هذه ال « نعم » اللامنطقية ، التي تشرق غامضة ومنيعـة فيما هو أبعد من كل فرد ، أو « ربما من أجـل انتصـار ما بلا فائـدة على أول وآخر مخاوفنــا » •

تلك هي الكيفية التي يحـل بها ريتسوس الصراع بين « الفـكر » و « الفعل » • فهو ــ من ناحية ــ يرفض القبول بالفعل الطائش ، فيما يرفض ــ من ناحية أخرى ــ السماح للمعرفة العميقة ــ المعرفـة المتحققة بفعل التـأمل ــ أن تشـل بطله • وعلى النقيض من « هاملت » ، يقهر « أوريست » تردده بفعل الحكمة المأساوية، ويقوم بالفعل ، بينما صرخات « كليتمنيستــرا » و « أيجيثيوس » تذوب في الايقـاع المتـكرر للحياة ، الايقـاع الذي يتضمن ــ الآن ــ لا أصوات الطيور المغردة فحسب ، بـل ــ أيضا ــ أصوات الصـيادين المدمرين • ولهذا ، ففي نهاية المونولوج ، تستقر البقرة ــ وهي الصورة الأسـاسية في القصيـدة عن المفارقـة المحلولة ــ في منتصف بوابة الأسد ، وتحدق بعينين سوداوين في ضوء الصبـاح •

(٤)

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كي تعثروا علي ،
فان لم تعثروا علي ، فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يـدي ،
فتمتزج بصمات أيدينـا •

وكأن سدا ما قد انفتح فى هذه الحقبة من السلام النسبى ، التى تشبه هدنــة ما ، أو استراحة المحارب ، قبــل أن يعود الى الجحيم • فيضان من الأعمال المنشورة ـ التى أجلتها المطاردات والمصادرات وظلمات الاعتقال • وفيضان آخر من الكتابة الجديدة التى أنضجتها المحن ونيران المواجهة والتصادمات •

كتابة تخترق كل الاتجاهــات بلا حدود ، وكل الأشــكال والأزمان التاريخية والأسطورية • أعمال مونولوجية درامية تستمد من الأســاطير الاغريقية شخوصها المعذبة ، الأليمة ، ومناخاتها الكابوسية ، الفانتازية ، المشحونــة بالصراخ والجنون وحكمة الزمن • وذاكرة متخمة بالتواريــخ والرموز الحية التى تتزاحم بحثا عن مخرج شعرى الى الضوء ، دون أن تســتغرق البصيرة ـ أو تســتلب ـ فى الوراء • انه الراهن ، الآنى ، والبصيرة المعاصرة ، والعين التى تدور حول محورها ـ أفقيا ورأسيا ، فى آن ـ بزاوية ٣٦٠ درجة ، فترى ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون •

ولا بحث عن أفعال بطولية خارقــة ، ولا عن أبطال يتسامون على البشرى • فالبطولة ـ فى ذاتها ـ كامنة فى البشرى ، اليومى ، الاعتيادى فى مواجهة الكارثة ، ومواجهة الحياة المأزومة• لا رومانتيكية ولا تجريد ، لا عدمية ولا ذهنيــة • احتفال دائم بالحيــاة كلها ، بشهواتها الانسانيــة العارمة ، بمكنوناتها التى تضج بالرغبات والأحلام والتشوفــات ، دون تواطؤ على شىء • اضاءة ـ فى نفس الوقت ـ للحظات الانكسار ، للعجز عن التواصل ، للأحلام المحبطة ، للبكاء الليلى فى الوحدة الباهظة •

هنا ـ بالتحديد ـ تبــدأ « **الأقواس** » ، تلك القصائــد التى كتب ريتسوس مجموعتها الأولى عام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ، ولن تعرف طريقها الى النشر ـ أول مرة ـ الا عام ١٩٦١ ، والمجموعة الثانية التى كتبت بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦١ • أما ديوان « **البعيــد** » ، فكتب عام ١٩٧٥ ، ونشر فى مارس ١٩٧٧ •

ما يجمع المجموعات الثلاث هو وحدة الرؤية الرمزية والحساسية، سواء في قصائد المجموعة الواحدة أو قصائد المجموعات الثلاث معا • رؤية شاسعة الفضاء داخل القوسين • هما قوسان يشبهان يدين متواجهتين عبر مسافة ما ، تجاهدان من أجل التحامهما معا والغاء المسافة، من أجل اللقاء الذي يعيد تأكيد التواصل الانساني بين الذوات المعزولة • لكن ، بالرغم من أن هناك اشارات واضحة نحو انغلاق الفجوة بين اليدين، فان الاشارات تبدو محكومة ـ بصورة حتمية ـ بالفشل •

والقصيدة الافتتاحية في الأقواس الأولى ـ « معنى البساطة » ـ تصلح تقديما للانشغالات الأساسية للشاعر • انه الاقرار بمسافة مفترضة بين الأنا والآخر ـ قد تكون المسافة بين القوسين ـ واحتمالي الفشل في اللقاء • لكنه الالحاح ـ في نفس الوقت ـ على ضرورة المحاولة • وهي قصيدة يتم تأويلها ـ غالبا ـ باعتبارها عقيدة :

« مثل كافافي ، لا يمكن فهمي الا من خلال الأشياء المختبئة ، لكن الأشياء التي أختبيء وراءها بسيطة ، وهناك مدخل لها عبر الكلمات عندما تكون الكلمات صادقة : أيها القاريء، حاول أن تعثر علي من خلال كلماتي، لأنني أريد اللقاء ، ولا يهم مدى الصعوبة التي تواجهنا من أجل أن يصل كل منا الى الآخر ـ في الحقيقة ، انني أصر على اللقاء » •

انها احدى قصائد ريتسوس القليلة التي تحمل خطابا شخصيا • ولن يظهر صوت « الأنا » ـ مرة أخرى ، في الأقواس الأولى ـ حتى القصيدة الأخيرة • وبين الأولى والأخيرة ، سنجد القصائد تستخدم ضمير المخاطب ، وضمير الغائب ، وضمير المتكلم الجمع ، وضمير المخاطب الجمع، وأية صيغة نحوية أخرى من أجل تفادي « أنا » الشائعة في الخطاب الغنائي أو الذاتي ، وهو ما يمثل شاهدا اضافيا على اصرار الشاعر على التخفي في هذا المثال وراء موقف موضوعي •

وليست القصائد بسيطة ـ بالمعنى الشائع ـ رغم تركيز بؤرتها الظاهرة على الأشياء البسيطة ، نسبيا • فالأشياء البسيطة ـ في

« نسخة مصغرة » ، على سبيل المثال ـ تكمن فى امرأة بلا هوية ، وضابط بلا هوية ، وبعض شرائح الليمون النحيلة ، ومقعد قديم ، وكبريت وسيجارة وكوب شاى • ويكمن الفعل فى غياب الفعل : زيارة قد تفضى الى تلاق من نوع ما ، التقاء لا يحدث فى النهاية • وشرائح الليمون البسيطة تلك تصبح مجازا مركبا يمثل قلب القصيدة • وتواجه المرأة والضابط بعضهما عبر قطع الأثاث المحدودة ، مع أمل ما فى علاقتهما غير المحددة ، أمل يكفى ـ على أية حال ـ لمنع الزائر من النظر الى المرأة ، ولبث الرعشة فى يده التى تمسك بالكبريت • أهو احتمال شهوانى ، لقاء محتمل لعاشقين عند أكثر المستويات جوهرية ؟ بالكاد يبدو كذلك ، عندما تشكل شرائح الليمون ـ تلك التى أعدتها اليدان الحزينتان للمرأة من أجل الشاى ـ عربة صغيرة تستعيد عالم الطفولة بحكاياته الخرافية البعيدة ، بقدر ما تستعيد بعد المرأة / الابن فى هذا اللقاء بين امرأة غير محددة العمر وضابط محدد ـ بوجه خاص ـ كشاب « له ذقن رقيقة » • وقبل ادراك هذا التوقع بالحب ، توقف الساعة دقاتها لبرهة ، وتوقف الوقت • بعدها ، تأجل اللقاء أيا ما كان مستواه ، ولحظة التلامس المحتمل ، سواء كان جسديا أم عاطفيا أم الاثنين معا ، تمر وتنقضى • وفى مرورها ، تستبدل عربة شرائح الليمون الخاصة بحكاية الطفل الخرافية بعربة لا مرئية تحمل الموت • أهو موت امكانيات تلك اللحظة ؟ موت تلك التوقعات الغامضة ؟ أم انه نذير بموت الضابط فى معركة ما ، والقضاء على أى مستقبل له ؟ (كتبت هذه القصائد فيما بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ ، لتعطى ـ أحيانا ـ تلميحات قوية الى السياق التاريخى الأكبر ، الحرب الأهلية القاسية) •

والأسئلة العديدة المطروحة تتخطى الأشياء البسيطة ، دون أن تقدم القصيدة اجابة محددة على أى منها ، فلا نعرف سوى أن العربة التى تحمل الموت قد جاءت ومضت فى لحظة الغموض التى توقفت فيها الساعة عن دقاتها ، وأن الأمل فيما هو أكثر من مجرد لقاء على شاى قد تأجل ، وأن الوقت الآن قد فات على اكمال هذا اللقاء المرتعش بين رجل وامرأة يؤديان أحيانا ـ دورى الأم والابن • ولا مجال الآن لتبجيل الموت العارض

أو الدائم • ويعود انتباههما الى مائدة الشاى ، المنسية بالعربة ذات العجلات الليمون المتوقفة فى الجانب المظلم من الشارع — شارع الآمال الضائعة ، والتوقعات المستحيلة ، ربما •

والقصيدة التالية —« **امرأة** » — تمثل ما يعتبر المجرى العام لشعر ريتسوس ، ذلك الانشغال بالفقراء وهمومهم • لكن ما تحت السطح ينطوى على استراتيجيات وتوجهات تربط هذه القصيدة بالسابقة وبالقصائد الأخرى ، فتضىء الايماءات التى فشلت فى تأسيس تواصل ما بين أشخاص منعزلين، والمحاولات الفاشلة لاختراق العزلة أو الوحدة ، أو تقصير المسافة التى تفصل بين اليدين اللتين تتواجهان فى شكل قوسين • وعنوان القصيدة — المتضمن حذف أداة التعريف — يؤسس مسافة ما ، وانتفاء للشخصية ، على نحو ما يفعل الضمير المقابل (نحن) فى السطر الثانى ، لندخل — بذلك — فى متاهة الايماءات ، حيث تفترض الايماءة الأولى الصادرة من العنوان — الدلالة على « النساء » عامة ، اللائى يعنين ب « **تصبح على خير** » ادارة الظهر • لكن ايماءة أخرى سرعان ما تتقدم كمحاولة لملء الفجوة بين « هن » و « نحن » : « **يضعن الخبز على المائدة** » كى يصبح حضورهن أقل ايلاما لنا • ونستجيب بايماءة مشابهة ، بأن نعرض اضاءة المصباح ، لأننا ندرك دورنا فى خلق هذه المسافة : « **كان ذلك خطأنا** » • وبينما نشعل الكبريت ، تصبح النساء عامة — فجأة — مفردا ، « هى » شخصية ، لتبتعد عن ايماءتنا بعبء موت على ظهرها ، يشمل « موتك » •

وعند نهاية المقطع الثانى ، لا تحدث — فحسب — نقلة نحوية من الجمع الى المفرد ، فى حالة النساء ، لكن ضمير المتكلم الجمع — المطابق للأنا المذكور العام — يتقلص الى ضمير المخاطب المفرد ، كاشارة نحوية الى حميمية أكبر ، وهو ما يمتد الى مخاطبة القارىء أيضا ، « القارىء المنافق hypcorite lecture » ، ان صح التعبير • واذ تستدير النساء ويبتعدن الى عالمهن الحزين حيث تصرخ الأطباق فى الرفوف ، فانك — أنت ، وأنا ، وشخص الشاعر — نرى أن حزنها ربما لم يكن شخصيا كما كنا نظن •

انه نتيجة لدورنا فى حياتها ، وايماءاتنا الفاشلة ، أو حتى بفعل موتى العائلة وموتنا نحن الذى تحمله داخلها ، مثل هؤلاء الذين يمضون الى جبهة القتال ، وبفعل الدور الرمزى للمرأة كعاشقة وزوجة وأم تندبهم جميعا · وقد حولت الاشارة الى الجنود الذاهبين الى المعركة من ايقاع الدراما فى اتجاه السياق العام الذى بدأت منه ، والذى بدا التأشير النحوى ــ فى المقطع الثانى ــ وكأنه ينقذنا منه · وبالرغم من جسور الايماءات الوقتية ، تبدو المسافة الفاصلة محتومة ومنيعة ، حينما نصل الى السطر الأخير ، على نحو ما كان الشاعر قد افترض فى السطر الأول ·

هكذا يؤسس ريتسوس خطابا كليا عبر تكرار جزئيات مترابطة من قصيدة لأخرى ، وهو نمط أصبح أكثر وضوحا ودرامية ــ فى تأثيره ــ فى مجموعاته الأخيرة · وسوف تكشف لنا سطور قليلة من قصائد أخرى الملمح الكلى لاحدى الأفكار المركزية التى سبق استكشافها، فكرة الشخص الوحيد الطامح ــ والذى يفشل دائما ــ الى الالتقاء بالآخر المعزول · ومع الفشل ، فانه أحيانا ما يتوصل الى نوع من الاكتفاء الذاتى · من قصيدة « ربما ، ذات يوم » : « **لكننى أصر على الرؤية وأن أريك ، قال ، / لأنك ان لم تر أنت أيضا ، فكأننى لم أر ــ / سأصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك ــ/وربما ذات يوم،من اتجاه مختلف، سوف نلتقى** »، ومن قصيدة « اكتفاء ذاتى ؟ » : « **تحت الأشجار كرسيان · لماذا هما اثنان ؟ / آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجليك** » ، ومن « فهم » : « **كى تستطيع النظر خارج نفسك ــ دفء وسكينة · / لا أن يكون « انت وحدك »** ، **بل « أنت أيضا »** · ومن « نفس النجمة » : « **ذلك الرجل يشك فى أن كل مرآة / بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسة فى عريها ــ / تقريبا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ · / تستغرق فى النوم وهى تتشمم نجمة · / ويستلقى يقظانا وهو يتشمم نفس النجمة** » ·

***

وفى **الأقواس الثانية** (١٩٥٠ ــ ١٩٦١) ، ثمة انشغالات واستراتيجيات ترتبط بالسابقة ، على نحو ما يؤكده اختيار الشاعر

للعنوان المشترك • فالفشل فى التواصل ، والنكوص الى اكتفاء ذاتى ، حاضران ــ مرة أخرى ــ فى احدى القصائد القليلة التى تستخدم ضمير المتكلم ــ « اكليل » ــ حيث يقرر الشخص المنعزل أن يتوج نفسه بالاكليل المجدول من الغار ، والذى ظل محتفظا به من أجل الآخر الذى يحاول ــ سدى ــ العثور عليه • وهناك ــ أيضا ــ فشلنا فى التآلف مع حقائق كل من الحضارة والطبيعة ، وضياعنا فى محيط لا يستوعب مقاصدنا الطائشة والخرقاء أحيانا •

لكن الفكرة الأكثر الحاحا فى هذه المجموعة تكمن فى عجزنا عن الفعل ، أو فى هواجسنا ازاء الأشياء التى لا تحدث ، والأماكن الخاوية والمغلقة • ففى « الوحيد » ، لا يكفى أن ما تم انتظاره زمنا لا يحدث ــ وهو ما لا يتم تحديده ــ لكن هؤلاء الذين انتظروا شيئا ما أن يحدث يجدون ــ وهم يخفضون الأعلام ــ أنهم متروكون وليس معهم سند وحيد،أو بديل وحيد لما كان متوقعا ، مع افتقاد الحل البربرى فى هذا العالم الكافافى الجديد ، افتقاد التبرير • واذا كانت الجدران ــ فى « الوحيد » ــ «**تفوح ــ بقوة ــ بالغربة** »، ففى « تعبير الخريف »، تفوح الأشياء المحيطة بالخواء، بالغياب ، بالموسم الخطأ ، لأن « **الرطوبة الهائلة بدأت • ورحل المصطافون** »• ونعرف من « تقويم مكتبى » أن « **الجميع ذهبوا الى الخارج** » فى منتصف الشتاء ، ليتركونا الى « **ملامح اليأس من الريح / فى واجهة الباب الزجاجى للفندق المغلق** » •

ولا يحدد ريتسوس مصادر أو أسبابا بعينها للاحساس بالهجران والغياب ، بالجمود والصمت الذى يسود المشهد لديه فى الأقواس الثانية، ولا يقدم اشارة واضحة لما يمكن أن يكون سببا فى تغيير الاحتمالات المرجأة والتوقعات المجهضة • والمدخل الوحيد الذى يتيح لنا التوصل الى رؤيته للمستقبل ، وللكيفية التى يمكن أن تتحول بها الأشياء ، يتحقق من خلال قصيدتين من أهم قصائده فى « الأقواس الثانية » • وكل منهما تقترح آلهة جديدة تحل محل القديمة •

فى القصيدة الأولى ــ « فى أطلال معبد قديم » ــ يضع ريتسوس الآلهة القديمة والجديدة فى تقابل مباشر : « **حارس المتحف كان يدخن**

أمام حظيرة الغنم ٠/ كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية » ٠ ويبدى الراعى والحارس القبول بالأطلال الرخامية القديمة كأشـياء حياتيـة ، عادية ، كأن الأطـلال قد استنزفها الزمن من أية وشائـج الهية ، لتصبح ـ الآن ـ جزءا من هذا العالم كنفس تلك الشياه التى ترعى بينها٠والواقع أنه لا يمكن الفصل بين الشياه والأطلال : « جرت الغنم اليه كأن الأطلال الرخامية كانت تجرى » ٠ وتبدو المرأة ـ مع الثياب المغسولة ـ طارئـة على الآلهة القـديمة ، وهى تعلق سراويـل زوجها الداخليـة على أكتاف « هيرا » ٠ وبدلا من موكب تمجيد الآلهة ، نجد صيادين بسـلال مليئة بأسماك وامضة ، متعددة الألوان ـ بل الأسوأ أن وشاح الربة المطرز فى أبهة قد تم تمزيقه لصـنع ستائر ومفـارش الموائد ٠ وبدلا من الاحساس بالسخرية ، يتملك المرء الاحساس بمنطقة ومناخ تم تنظيفهما من أجـل بدايات جديدة ٠ ففى التعامل مع الآلهة القديمة بهذه الصورة العارضة ، بهذه الألفة ، فى تحويلهم من أدوات غموض الى أشياء منزلية نافعة تتطلبها الضرورة ، يبدو أهل العالم الرعوى الحديث لا وكأنهم قد كيفوا ماضيهم القديم ، بل وقد فرضوا عليه الحياد ، كأنهم يهيئون لقدوم آلهة جديدة ٠

وسـيجد هذا التفسير ما يدعمه فى قصيدة تاليـة ـ « بخور » ـ وخاصة فى سطورها الأخيرة ، حيث يبدو اشعال سيجارة كنوع جديـد من طقس الهى ، من بخور جديد من أجـل اله مجهول ، لا يبلغـه أحد ، مرصود باعتباره « **الههم تماما** » (كى نميزه عن آلهة الآخرين ، عن آلهة التراث ، وآلهة الأعداء ، الخ) ، اله بلا اسم ، ولا تحديد ٠ وعلى العتبة يتذكره الرجال ، وهم فى غمار الانبثاق من الأحياء المغلقة ، الزجاجيـة ـ فى المقطع الأول ـ الى الهواء الطلق ، فى طريقهم الى عملهم ، مفترضين ـ ربما ـ أنه اله جديد ما يشير اليه دخانهم ٠



ونصل الى « **البعيد** » الذى كتبت قصائده بعد خمسة عشر عاما من آخر قصيدة من « الأقواس » ٠ ويتخـذ المشهد الذى يطرحـه ريتسوس خشونة وكآبة تتخطى تجليات أعماله السابقة ، غير أن هناك قوة جديدة

تنطوى عليها هذه المرحلة من رؤيته · فالقوة العليا المهيمنة ــ على نحو ما يفترض العنوان ــ هى المسافة، والصمت، وما يتعذر بلوغه ، والبطالة، أى كل ما تضمنته الأقواس الأخيرة، لكنه يصل ــ هنا ــ حدوده القصوى· ورغم أن قصيدة العنوان هى الأخيرة فى الديوان ، فانها تنطوى على نغمة الابتهال ، كصلاة ما الى اله يرفرف بأجنحة من أقواس ريتسوس ، وقد احتل ــ هنا ــ منصة مركزية ليتلقى التراتيل مباشرة : «أيها البعيد··»· وتبدو الفجوة الفاصلة بين اليدين المجازيتين للأقواس وقد اتسعت الى ما لا نهاية ، اذ ان الخطر الأكثر حقيقية انما يأتى من « **القريبين ، من القرب ذاته** » ، واذ ان ما يستند اليه العالم انما هو شيء ما لا يمكن التسليم به ، شيء ما بلا ضمان ، يعيش خفيا فى عالم البطالة حيث تهيمن الموسيقى ·

ومعظم العناصر التى تؤسس للمشهد الجديد فى « البعيد » مألوفة منذ القصائد المبكرة ، لكنه يقدمها ــ فى هذا الديوان ــ بأسلوب متخلص من كل زخرفة ، ليحقق قوته فى نوع جديد من البساطة والاقتصاد ، لا عاطفية مباشرة، لا استعارات واضحة ، والتركيب الأساسى للعبارات ، والألوان الأولية ، والتفاصيل مركزة ــ فى تدقيق ــ من أجل خلق صورة بلد ينتابه عنف سرى :

الصوت العميق سمع فى الليل الأعمق ·

فالفعل ــ فى قصيدة « فى اتجاه السبت » ــ قد تمت معالجته باقتصاد ، محض الحقائق العارية ، ولا تعليق · مشهد تم تصويره ــ بقوة ــ لأحلام رديئة ، لرعب تستعيده الذاكرة مع المخاطر والتهديدات التى تظل بلا حل · وربما كان الشخص المحورى ــ فى هذا المشهد الكابوسى ــ يمثل ضحية فى شرك ، يحاول أن يتخفى من قوى وأعداء غير واضحين ، ولا تحديد لهم سوى ب « هم » ·

وتهديد الاعتقال والاذلال يطارد ضحية الكابوس ، حتى فى تلك اللحظات المنذورة للبهجة ، مثلما فى « الاعداد للاحتفال » ، حيث الشخص

الذى يحتفلون به فى اجتماع عام فى قاعة كبيرة ، لا يكتشف فحسب أنه ضائع فجأة ، بل يدرك أيضا أنه اذا ما استعاد نفسه ، واستطاع أن يحرك قدميه كى يمضى ، فان الحاجب سيقبض عليه ٠

وافتقاد الضحية للتواصل مع نفسه يتوازى مع افتقاد كلى للتواصل مع الآخرين فى هذه القصائد التى تلتقط فكرة اثنين يواجه كل منهما الآخر فى محاولة للتحاور ٠ لكن الحوار الجوهرى قد مضى لما هو أبعد من اللقاء عبر الكلمات ، على نحو ما يؤكد عنوان احدى القصائد : « حوار موجز » ٠ فحتى السرير الذى تواصل فيه الحوار ، تراه المرأة ك « **حيوان صامت ، متوحش يتاهب للرحيل** » ٠ والبعد الفاصل بين « هو » و «هى» — فى هذا الديوان — يبدو غير قابل للعبور ٠ انهما ميتان بالنسبة لبعضهما البعض ٠ ذلك ما يبدو — حرفيا — فى « اكتمال تقريبا » ، حتى لو كان حوارهما يجاهد فى انكار ذلك ٠ وفى أفضل الأحوال ، فهما يتواجهان كمشلولين ، مستريبين ، يرى كل منهما الآخر بعينه الزجاجية٠

والقصيدة التى تقدم — بالفعل — صورة للاتصال الجسدى — « شروق شمس الشتاء » — تخبرنا بأن الشخص الثالث فى المنتصف ليس سوى تمثال،ويرى الثلاثة يتمشون فى « **اللامبالاة المضيئة للموت** »٠ وهذه الفكرة — فكرة موت اللقاء حينما يبدو ممكنا وضروريا — تجد خلاصتها المنطقية فى « مع ما يتعذر بلوغه » ، حيث ال « هو » يصل الى ما يبدو وعدا أقصى بالاكتفاء الذاتى ٠

ان رحلة الثلاثين عاما من « **أقواس ١٩٤٦ — ١٩٤٧** » الى « **البعيد** » هى رحلة تطهير مريرة ، من تركيزه على ما يسمى بالأشياء البسيطة والايماءات المجهضة الى التركيز على الأساسيات العارية — لا الجرداء — والطقوس البدائية ٠ لاخطابة أو انشائية ، لا غنائية ذاتية ، بل المجازى الذى يضىء — فى غموضه — مأساة الحضور الانسانى ٠

(٥)

أيها الألـــم اللانهائي
أيها الفرح باتســـاع العالم .

كأنه كان يسابق الزمن ونفسه ، دون اطمئنان الى حريته ، أو كأنه — بحدس الشاعر العميق — كان يدرك أنها حرية موقوتة كالقنبلة التي لم يحن موعد انفجارها • وقبل أن تنفجر كان قد نشر ديوانه « **شهادات** » على جزءين ، عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٦ • تجربة جديدة من قصائده القصيرة المكثفة ، التي يعيد فيها اكتشاف أركان العالم المختبئة، ولحظاته الهاربة ، وايماءاته السرية • وللمرة الأولى ، ينشر تقديما ل « الشهادات » كان قد كتبه بطلب من اذاعة براغ لبرنامج خاص عن الديوان :

« ان مهمة الشاعر، فيما أعتقد ، تكمن في أن يتحدث لا **عن** الشعر ، بل **من خـلال** الشعر ، حتى لو كان هو الأكثر ملاءمة والمرشـــح الأكثر مسئولية عن تقديم خيط « اريادني » لنا ، الذي يمكن أن يقودنا الى السر العميق لكيفية فعاليــة الشعر • مسئول ، نعـم ، لكنه لابد أن يتحدث بطريقته ولغته الخاصتين — ولغة الشعر لغة للتركيب ، فيما لغـة النقد لغة للتحليل : لغتان مختلفتان كليا • ولهذا ، فعندما نطلب من الشاعر أن يحدثنا عن عمله الشعرى وليس **من خلال** عمله ، فاننا نطلب منه تغيير الوظيفة • وفضـــلا عن ذلك ، كما قلت كثيرا من قبل ، فان « الشعر ، كشعر ، يقول لنا الكثير والكثير وعلى نحو أفضل بكثير مما يمكن لنا أن نقول عنـــه •

كيف — اذن — **ولماذا** يتوجب على الكتابة عن ال « شهادات » ، طالما أنك تستطيع التواصل معها مباشرة ؟ وحتى لو أردت سحب تحفظاتي على المنهج التحليلي للنقد ، الذي يفرغ القصيدة على نحو يصعب اصلاحـــه ، وقررت أن أستخدمه ، فانني سأحتاج — غالبا — دستة صفحات للاشارة الى العناصر التي تنطوى عليها ثمانية سطور أو عشرة في هذه القصائـــد القصيرة — مهمة مستحيلة بوضوح ، فضلا عن عبثيتها ، طالما أن التجربة

الجماليـة غير قابلة ــ عمليـا ــ للنقل : فهى تتطلب ــ ابتداء ــ ادراكها الخاص من قبل كل قارىء ، من خلال تجارب الحياة اللانهائية ، والمعرفة ، والممارسات ، و ــ قبل كل شيء ــ التوجهات الخصوصية .

بحكم الضرورة ــ اذن ــ فالسبيل الوحيد المتاح لنا هو اللجوء الى التبسيطات والتعميمات ، والتى ليست أكثر فائدة فى المقاربة الحقيقية للفن ، أو يمكننا اللجوء الى تفسير تاريخي موجز لكتابة القصائد . وهو ما يمكنني القيام به استجابة لطلبكم الكريم .

لقد بدأت كتابتى ل « شهادات » تقريبا منذ الوقت الذى بدأت فيه الكتابة ، أى عندما كنت فى الثامنة من العمر . أعنى بذلك أن أساسها قد أرسى منذ ذلك الحين ، بل وقبـل ذلك بكثير . لكن شـكلها الأكثر تحديدا بدأ فى التشـكل عام ١٩٣٨ ، فى سلسلة من القصائـد القصيرة التى تحمل عنوانا كاشفا « ملاحظات على هوامش الزمن » . واستمرت هذه القصائد ــ فيما بعد ــ فى « أقواس » وفى سلسلة كبيرة تالية «تدريبات»، الى أن تكثفت واتخذت شكلها النهائى ، وحملت عنوانها العام «شهادات». وقد ظهرت ــ خلال هذه الفترة ــ مجموعـات أخرى من القصائـد تحمل عناوين مختلفة .

ولا أستطيع ــ بالتحديد ــ أن أقول **كيف ولماذا** حدث أننى ــ أنـا الذى انكببت فى البدايـة على القصائد الطويـلة التركيبية بحكم الميـل والتوجه ــ قد ارتبطت لسنوات عديدة باصرار وحب بال « شهادات » ، ومازال مشغولا بها بصورة مستمرة ، جنبـا الى جنب ما أعمل فيه أيـا ما كان ــ مقدما لها اهتماما متميزا ومسـتقلا ، ولا يمكننى أن أقول لماذا أواصل كتابة هذه القصائد **المقتضبة** ، الابيجرامية . ربما يكمن السبب فى أننى مقتضب بحكم السـلالة (وليس ذلك مجرد تلاعب بالالفاظ) ، وربما يكمن السبب فى نزوعى الى أن أثبت لنفسى وللآخرين أننى قـادر على التعبير عن ذاتى بكلمة مكثفـة ، محكمة ، وربما نتيجـة للرغبـة فى الاستراحة بعد التوتر العالى المؤرق ، لفترات ابداعية طويلة ، ربما كان نتيجة لاحتياج ما لممارسة يومية فى احكام شحن قدرتى الفنية الى الحد

الذى يمكننى معه أن أستخدم ـ مباشرة ، وبلا أخطاء ـ التجارب المتجددة أبدا للحياة فى الفن ، وربما يأتى من محاولة تكثيف تعبيرى ، كرد فعل على خطر الاسهاب والخطابية الذى يتوارى خلف القصائد الطويلة ، وربما كان نتيجة للاحتياج لتقديم استجابة بسرعة البرق للمشاكل الحيوية الملحة لعصرنا ، ولعله يأتى ـ حتى ـ من رغبة فى التوقف المفاجىء، ورصد **لحظة منفردة** قد تسمح بالتأمل العميق ، الميكروسكوبى لذاتها، والكشف عن جميع عناصر الزمن التى ربما تلاشت فى مدى محدود ـ ادراك للمخفى بمعنى آخر ، من خلال الرؤيا ، ادراك للحركة الدائبة خلال الثبات ·

والقصائد ـ على أية حال ، وبرغم ما قد تمثله ، الى حد بعيد ، من مفارقة (وهى كذلك ، عن عمد) ـ انما هى **شهادات** حقيقية لتجربة عامة بقدر ما هى معينة · عامة ، حينما تتعلق بسؤال أصل الانسان ومصيره ، وموقعه فى العالم ، حتى وهو يواجه الموت ، والعلاقات الانسانية فى سياق الزمن والمكان الاجتماعيين والتاريخيين ، ومعينة حينما تتعلق بالفن وتقنيته ، كأن هناك مكانا متماثلا ، وان يكن خاصا أيضا ، للبحث والتعبير الاجتماعيين والوجوديين ·

وكثيرا ما سوف نلتقى لا فحسب باتجاه للاقرار والتسامح المجرد باسم الادراك والوعى العميق بعناصر الحياة الغامضة ، المعقدة ، العصية على الفهم،المستعصية على التفسير واللامسئولة،ولا فحسب باتجاه للكشف المكتفى بذاته لعمق قد ينطوى على تبريره الذاتى ضمن جذوره الغامضة (والذى قد لا يحتاج ـ أصلا ـ لأى تبرير من أى نوع) ، بل سنلتقى ـ أيضا ـ باتجاه للموازنة الاجتماعية والأخلاقية ، للنقد والنقد الذاتى ، وباتجاه للمسئولية الجزئية والكلية عن اللحظة التاريخية الراهنة ، عن تاريخ الجنس البشرى كله ، وخصوصا ـ بالطبع ـ تاريخ اليونان ·

ولا تتردد القصائد فى التعالى على الملاحظة والوعى الحيادى ، والسحر المريح للصمت والضبابية ، وأيضا الدائرة السحرية (أو اللولب السحرى) لتقديمهم من خلال « روابط ذاتية الحركة » · ولا تتردد فى

الميل الى تحديد وتعيين الحديث ، والمحادثة ، وحتى ـ أحيانا ـ الى التحقق من الأسباب ، والشرح بل والاقتراح المحدد ، الحافز ، والتحذير ، والحل ، والاستنتاج، أو النصيحة ، وبالطبع ـ ليس دائما، وانما كثيرا ـ فوضوح الفن يمكن أن يسمح بالاسراف في البوح ، أو بالحذلقة في التعليم ، والحيادى ـ الذى مارس واكتسب تواضع الشعر ـ يمنح الشاعر الحق في اتخاذ موقف ومزاج المعترف والكاهن ، والأخلاقي وحتى المعلم ٠

أما بالنسبة لنغمة « شهادات » ، فانها (عن عمد ، وبالغريزة) لا شخصية ، لا مبالية غالبا ، وليست ـ في الحد الأدنى ـ عاطفية ٠ ليست ـ في الحد الأدنى ـ خطابية ، فيما تخفى أى عنصر مأساوى خلف تعبير حيادى لاأعرف ـ على وجه التحديد ـ ما اذا كان على أن أسميه تواضعا أم عجرفة ، أدبا أم وقاحة ، حنوا أم ازدراء (حيث الحنو ـ كما الازدراء ـ جبن في الأغلب) ، جرأة أم خوفا من سوء الفهم ونهجا في الفهم ، اخلاصا مطلقا ومتواضعا أم قناعا مطلقا للامبالاة مدهشة وقولبة يتعذر مقاربتها ، وراءها يمزق الهدوء الداخلي الانسانى نفسه بين وجهى الحياة والموت ، دون أن يتخلى أبدا عن نضاله من أجل الوجود ، واكتشاف ذاته ، والتعبير عنها واستدامتها ، ومشاركتها وتبريرها (حتى ولو كان ذلك من خلال كلمة مساوية للفعل) في العالم ٠

لا أدرى ٠ ربما كانت كل هذه الأشياء تحدث بالتبادل أو ـ حتى ـ على التوالى ، جنبا الى جنب معاونة الأشياء البسيطة ، الواقعية ، المستعصية على الادراك والمهدئة (تلك المولدات الصغيرة للطاقة الانسانية النافعة ، تلك الأساطير اليومية البسيطة) ، التى تساهم وتشارك ـ لا اراديا ـ في الأدوار الرئيسية في دراما لا تخصها ٠ لقد استدعيت لتؤدى دور « لا شيء يحدث » بالتحديد عندما يحدث كل شيء ، ويصاب المشاهدون بالذعر من كل ما يجرى ، ليرحلوا دون أن يروها ، دون معرفتها ، ليتركوا الشاعر متهما في عزلة مطبقة ، فيما يغرقون ـ هم أنفسهم ـ في عزلة أكثر سوءا ، عزلة بلا ومضة حل ممكن لها ٠

هكذا ، فالأشياء البريئة قد استدعيت كما لو كانت غير منحازة ، ومتسامحة ، أو كوسائط نزيهة (برغم أن حضورها يظل مؤثرا الى حد

بعيد ، على نحو غامض فى النهاية ، ورسالتها الخفية هي ـ على أية حال ـ رسالة قبول وتسامح) · وفى مواجهة الأشياء ، لا انحيازات لنا ، ولا اهتمام ذاتيا أو معارضات ، ولا نكن لها عداء أو احتراما (كما نفعل تجاه المبادىء والمشاعر) · فى ذلك ، يكمن سبب قدرتنا على احترامها ، والاعتراف بها ، والثقة فيها ·

ذلك ما يتحقق ـ اذن ـ حينما يهبط الفن من التجارب العظيمة الى مستوى المكر والحيلة (كعنصر ضرورى فى تقنيته) ، والتى لا تزيد ـ فى النهاية ـ عن « ابتسامة بعيدة » ، عن طيبة ما ، وفهم ، واحتياج انسانى وعنيد الى المشاركة ومحاولتها ، والصداقة المشتركة ، والاخوة ·

وبودى أن أنتهز هذه الفرصة لألاحظ (رغم يقينى من أنكم قد لاحظتم) كم أننى كثيرا ما أستخدم ـ فى ال « شهادات » (وفى هذه المقالة أيضا) ـ بل وأغالى فى استخدام كلمة « ربما » وحرف العطف « أو » · وأنا متأكد ـ أيضا ـ من أنكم تعرفون الآن ـ سواء ما اذا أحببتم ذلك أم لا ـ أن ذلك لا يحدث بالمصادفة : انه أمر مدروس على نحو مطلق ، والزامى غالبا · لا أعنى ـ هنا ـ افتراض أن الضرورة الشخصية تتجاوب، بأية حال ، مع التبرير الموضوعى الجمالى (اذا ما كان مثل ذلك التبرير موجودا) · ولا أنا طامع فى تبريرات : لا حاجة اليها ، وهى ليست بذات أهمية · فالموضوعية الشخصية تكفى ، وهى الموضوعية الوحيدة ـ فيما أعتقد · اننى أفسر ـ فحسب ـ بقدر ما أستطيع ، بعض ايماءات الشعر التى لا تتصل ـ كلية ـ بالقصيدة (وبالتالى،فهى ليست ـ كلها ـ تافهة) ، مدركا ـ مع ذلك ـ أنها تظل عصية على التفسير (هل ذلك الذى يظل ـ فى النهاية ـ عصيا على التفسير ، حتى بالنسبة للمبدع ذاته ، هو ـ تحديدا ـ ما ينتمى الى الشعر ، ويحفز القارىء تجاه الابداع ، أى تجاه اكتشافه الخاص ، أو ـ فى الحد الأدنى ـ بحثه الخاص ؟) ·

ان الاستخدام المتكرر ل « ربما » ـ اذن ـ فى كتاباتى ، وخاصة خلال هذه الأعوام الأخيرة ، ليس حيلة أو مجرد صنعة · انه أيضا تشككى الخاص ، تساؤلى ، واحتياجى الى اجابة · هو نوع من أداة حفر متاحة

من أجل بحثنا المشترك (بقدر ما هو ممكن) ، حتى عندما تنبع هذه ال « ربما » من يقين أو ترفع شخصي ، أو من ثم يتخفى في شكل تجاهل ، أو سذاجة ، أو تواضع ، أو كرم .

وعلى نفس النحو ، فالاستخدام المتكرر لحرف العطف « أو » ليس — ببساطة — تأكيدا على تعددية أبعاد الحياة والفن ، ولا مجرد نصيحة بالاختيار بين بدائل مختلفة . فالأكثر أهمية أنها كشف لنظرات قابلة للادراك ، ومقبولة على نحو عام، وأنها تحذف وعيا أساسيا (أسيء تشكيله على نحو متسق ، أو تم تجاهله كلية) . وهذا الحذف الصامت — على وجه التحديد، فيما أعتقد — هو الذى يجعل مثل هذا الوعى قابلا للادراك، حاضرا ، ومرئيا حتى بعده الأول والأخير اللامرئى ، اللامحدد ، اللانهائى . وهو ما ينطبق — بلا فشل — على أولئك الذين أهلوا أنفسهم إلى حد ما ، والأكثر على أولئك الذين تأهلوا تماما .

مع الجميع قلت اننى أخشى أن أكون قد جعلت « شهادات » الغامضة بالفعل ، كما يقولون ، أكثر غموضا — هى غامضة ، بالتأكيد ، نتيجة للوضوح الزائد ، والتحديد ، والحميمية .

والطعم الأخير الذى يتبقى فى أفواهنا من ال « شهادات » ربما هو العرفان الصامت تجاه الفن والفكر والفعل والحياة الانسانية ، رغم أنف كل المحن ، ورغم الموت — وربما بسببهم حقا . وربما كان ذلك — أيضا — عكسا أو تحويلا جديدا للأشياء ، يجلب العزاء (أود القول : تغييرا أو تحريفا) ، على نحو ما يحدث دائما فى كل كشف ، أى فى كل ابداع ، حيث كل لحظاته المجيدة العارضة بالاحساس بالعنفوان، وبهجته الساحرة اللحظية (من قبيل الاحساس المباشر بالأبدية والمسئولية المشتركة عن الكون) لا تخفى — بشكل كامل — شعورا ما باللاجدوى والجهد الضائع ، مهما كانت رغبته (أو عدم رغبته) كبيرة فى تحييده أو — على الأقل — عكسه ، لتحويل خصائصه السلبية الى خصائص ايجابية ، ولتحويل النفى المطلق الى تأكيد غير نهائى ، كلى . وهو — فيما أعتقد — ما تشهد عليه « شهادات » فيما يتخطى مزاج أو سيماء السخرية والسخرية

الذاتية . وربما سيكون ذلك ـ أخيرا ـ شهادة كل انسان ، فى كل زمان ومكان ، يحس بالشعر ويعمل فى مجاله » .

(٦)

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيذ .
فات الآن أوان الرجوع .

وفى ليلة ٢١ أبريل ١٩٦٧ ، ينقض الكولونيلات على الحكم . ومع آلاف المعتقلين من السياسيين والنقابيين والمثقفين ، يعتقل ريتسوس . ثلاثة أيام محتجزا لدى البوليس ، ثم الى ستاد « هيبودروم » ، أحد مراكز تجميع المعتقلين قبل نقلهم الى الجزر التى تلعب دورا مزدوجا فى التاريخ القمعى فى اليونان : دور المعتقل السياسى ودور المنفى .

أما ريتسوس ، فالى « ياروس : جزيرة الشيطان » . جزيرة جرداء صخرية ، وبضعة أبنية متناثرة ، مهجورة ، لن يأوى اليها المعتقلون المنفيون، بل الى خيام تنتظر أكثر من ستة آلاف وخمسمائة معتقل منفى .

ومن « ياروس » الى « ليروس » فى سبتمبر من نفس العام ، حيث رفع عنه تحريم الكتابة . مفكرة يدون فيها مسوداته الشعرية التى ستؤسس قصائده القادمة . مسودات مكثفة وخاطفة لايماءات الرعب والهذيان ، والكلمات المتقاطعة ، أفعال بلا وعى ، ووعى كابوسى ، لكنه ما يزال قادرا على تحويل المأساوى الى كاريكاتيرى ، ليمكن احتماله .

ومع اعتقاله ، نظم « لوى أراجون » حملة واسعة للمطالبة بالافراج عنه ، ضمت « موروا » و « ناتالى ساروت » و « مورياك » و « جينو » و« سوبو » و « سولير » ، الى ايطاليا وألمانيا وسكنديناڤيا والبلاد الأنجلوسكسونية .

ويعاوده التدهور الصحي ، فينتاب الكولونيــلات الرعب : « لسنا بحاجة الى لوركا يوناني » • وفي أحد أيـام ديسمبر ١٩٦٨ ، يسمحون له بالعودة الى منزله في « ساموس » ، دون أن يكون من حقه لقاء أحد ، أو الاتصال بأثينـا أو الخارج ، لا خطابات ، ولا مغـادرة • نوع آخر من الاعتقال يحتفظ بجوهره الأســاسي ، في شكل نقيض • ولن يتمكن من الذهاب الى أثينا قبل مرور عام من الافراج الشكلي عنه •

كانت الرقابة سيدة الثقافة في تلك السنوات • وقائمة الممنوعات لا تفلت شـيئا • وقرر الجميع الصمت الثقافي وعدم النشر ، ومن بينهم « سيفيريس » و « ايليتيس » • وفي أوائل ١٩٧٠، رفعت الرقابة السابقة على النشر الى رقابة لاحقة عليه ، ليتحمل الكتاب تبعات النشر بعد صدور المطبوع • واتفق الكتاب على كسر الصمت بالمواجهة الجماعية : انه كتاب « ثمانية عشر نصا » للأدبـاء والمثقفين الذين رفضوا أن يخضعوا كتاباتهم للرقابة ، في صيف ١٩٧٠، عن دار نشر « كيدروس »• وفي شتاء ١٩٧١، صدر « **نصوص جديدة** » عن نفس الدار اليسارية ، صاحبة حقوق نشر أعمال ريتسوس في اليونان•وقد اعتبر استكمالا ل « ثمانية عشر نصا » : ٢٦٣ صفحة من المقالات والقصائد والأعمال الدرامية القصيرة التي كتبها معتقلون سياسيون وضحايا لنظام الكولونيلات • وفي موقع افتتاحيـة « نصوص جديدة » ، نشر ريتسوس ـ لأول مرة ـ « **دمار ميلوس** » •

عمل شعري حواري عن تدمير « ميلوس » على أيدي الأثينيين عـام ٤١٦ ق•م ، فيما يمثل مجازا رمزيا عن نتائج الديكتاتورية العسكريـة في اليونـان • ففي زمن العنف والارهـــاب الذي أشـــاعه النظام ، كان اليونانيون كأنهم أسرى في وطنهم ، كنسوة ميلوس • ورغم أن المساحة الغالبة من العمل تستعيد الذكريات الأليمة للضحايا ، الا أنه ليس عملا عن اليأس ، اذ تدرك نساء ميلوس ـ في نهاية العمل ـ أن « وطنهن » انما يكمن داخلهن ، وأن « حريتهن » انما تتحقق داخلهن • وبالرغم من السبعين والثمانين عاما ، فان النسوة يشعرن بالحمل ، يشعرن باستعادة الشباب ، وأنهن على استعداد للانجاب مرة أخرى• ولسوف تعود هذه الفكرة ـ فكرة

العجائز القابلات للحمل والولادة ـ فى « الجسد والدم » التى كتبت عن انتفاضة طلاب جامعة العلوم التطبيقية فى أثينا فى نوفمبر ١٩٧٣ ، ضد النظام العسكرى .

وربما كان مشهد السفن التى تنقل المعتقلين السياسيين من أثينا الى الجزر ـ عبر بحر ايجه ، هو ما أيقظ فى ذهن الشاعر نهب ميلوس على أيدى الأثينيين فى حرب البلوبونيز . فوفقا لثيوسيديديس ، أرسل الأثينيون وفدا الى جزيرة ميلوس المحايدة سياسيا عام ٤١٦ ق.م، ودخلوا فى حوار مع سكانها ، فى محاولة لاقناعهم بأن يصبحوا عضوا فى الامبراطورية الأثينية يدفعون الجزية، فيكون من حقهم ـ بذلك ـ الاحتفاظ بحريتهم فى التمتع بثرواتهم . وأوضح الأثينيون ـ لأهل الجزيرة ـ حماقتهم فى الظن أن باستطاعتهم مقاومة أثينا القوية ، وأن الآلهة سوف تحميهم ، طالما أنهم يدافعون عن الصواب ضد الخطأ . وقرر الأثينيون ـ فى غطرسة ـ أن السلوك الحصيف يكمن فى التخلى عن الشعور الزائف بـ « الشرف الذى يجلب على الناس الدمار » ، وطالبوهم باللجوء الى الجانب الأقوى . ورد أهل ميلوس بـ « لا » متحدية : « لسنا مستعدين للتخلى لحظة واحدة عن الحرية التى تمتعت بها مدينتنا منذ تأسيسها وطوال ٧٠٠ سنة . ان ثقتنا فى القدر الذى سترسله لنا الآلهة ، والذى حفظنا حتى الآن » . ويقيم ريتسوس « حوارا ميلوسيا » بين ثلاث نسوة عجائز، قتل أزواجهن وأبناؤهن فى الحملة الأثينية ، وهن ـ الآن ـ مسبيات فى أرض أجنبية .

وبرغم استلهام أحداث تاريخية، فان « **دمار ميلوس** » ـ شأن الكثير من قصائد ريتسوس ـ لا تطرح السياسى بصورة مباشرة . فبدلا من الحديث ـ بصورة محددة ـ عن الاعتقال والاقتلاع الجزافيين اللذين عاناهما ريتسوس ـ مع غيره ـ على أيدى النظام ، فانه يطرح فكرتين شموليتين لا تنفصلان : الوجود والاندماج . فاذ تستيقظ نسوة القصيدة فى بطء ، يتساءلن عما اذا كانت جزيرتهن موجودة ، وعما اذا كن ـ هن أنفسهن ـ موجودات ، أم أنهن قد متن ، ويشهدن الآن مرحلة البعث ؟ لكن هل يتذكر الموتى ويتكلمون ، أم كن نائمات لسنوات ، ويتذكرن الآن

الحلم الفارغ للحياة ؟ وفى مجرى الحوار ، ينتهى الى أنهن الآن موجودات ، وأن ميلوس لم تكن حلما بل مكانا واقعيا • واذ ينظرن الى البحر ، يلمحن جزرا صغيرة تنبثق وهى تومض مثل الجواهر ، وتذوب الى رماد • ويعلقن على المشهد : « لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ، / وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيته ، / وأننا لم نكن وحدنا » •

انها الحقيقة البسيطة ـ أنهن لم يكن وحدهن ـ هى التى تدفع النسوة الى الايمان بوجودهن • وخلال مناقشة حياتهن ـ فيما قبل الغزو ـ يتذكرن القحط القاسى ، والعمل الذى يقصم الظهر فى جمع الزيتون ، وقطف الكروم ، وصنع النبيذ • لكن هذه الحياة ـ بعملها الشاق ـ كان لها مباهجها • تتذكر النسوة الاحساس العميق بالرضاء والأمان الذى كان يلفهن بعد تسديد الحساب الأسبوعى للبقال ، وهن مازلن يجدن زيتا يكفى لأسبوع آخر فى الجرة • يتذكرن الفخر السرى بالانتهاء من الغسيل، اذ تضوع رائحة الثياب المعطرة بالشمس والصابون والجهد • وما يستقر فى الذاكرة ـ بشكل خاص ـ انما هى أعمال المنزل الروتينية ، والاحساس بالنظام والانتماء الذى يتحقق من القيام بها : فى تلك الأوقات يتصالح كل شىء بالمنزل ويصبح واحدا : « المكنسة، والقمر، والكلب ، والعندليب ـ الكل واحد » • يتمتعن باحساس واحد بالانتماء الى بعضهن البعض، يتمشين الى ما وراء الحدائق، يدركن الروائح المتمايزة لكل عشبة وزهرة • هذا الاندماج فى العالم المحيط بهن يقدم شيئا ما أكثر عمقا من بهجة عابرة : انه يجعلهن واثقات من وجودهن ذاته • ادراك العادى والمألوف هو ما يؤكد لهن أنهن وجدن ، ومازلن موجودات • فالوجود والاندماج شىء واحد ، وهما نفس الشىء •

لكن الغازى يقتلع ضحيته،لينتزع الانسان المندمج من العالم المألوف، ليصبح الجوهر العميق لوجود الضحية مهددا بالزوال • فالآن ، وهن فى أرض أجنبية، تعجز نسوة ميلوس عن تمييز الروائح القادمة من الحدائق ، حتى البحر بلا رائحة • وأيديهن لا تتعرف على يد المكنسة ، أو مقبض الباب : كل شىء غريب ، أجنبى • لذلك ، فلسن بحاجة الى مرآة ، ذلك أنهن لن يبصرن ولن يتعرفن على أنفسهن • وحده الوجه القبيح للموت

سوف يعاود التحديق ٠في ميلوس ، لم يستخدمن المرايا أيضـا ، لكنها كانت ـ هنـاك ـ مسألة بسيطة من مسائل الخيـلاء ٠ كن يأكلن نفس الحبوب التي يطعمن بها دواجنهن ، فلم يكن لديهن أى دافع لتمرير مشط فى شـعرهن : « لم نهتم ـ هـل ينظر الحمام والدجاج فى المرآة ؟ » ٠ وعبودية الحياة ـ هنا ـ مشابهة ، بصورة فادحة ، لعبوديـة الحياة فى ميلوس ، عمل شـاق فى الحالتـين ٠ لكن فى ميلوس ، كان البيت ، والاحساس بالانتماء الذى أنقذهن من السقوط فى بئر النسيان ٠

ومع تقدم القصيدة ، تأخذ نسوة ميلوس فى التحول ٠ فبعد العويل على المنـاخ القـاسى وسنوات القحط فى الجزيرة ، يهدأن تدريجيـا ، ويستدعين عذوبة الحياة التى عرفنها ٠ وعند نهاية القصيدة ، يستعدن خصوبتهن من جديد ، ويلقين تحية الصباح على المارة ٠ بذلك ، ينتهى العمل بشارة أمل ورؤية لمستقبل أفضل ٠

« **دمـار ميلوس** » : أول صـوت لريتسوس بعد ظلمـات « جزيرة الشيطان » ، فى مواجهة ظلمات الكولونيلات ٠ لكنها لم تكن أول كتابة شـعرية وسط الاعتقـال ٠ فعقب تلقيه لرسالـة من « ثيودراكيس » ـ يطلب منه فيها احدى قصائده غير المنشورة ليقوم بتلحينها ـ قام بكتابة ست عشرة قصيدة فى يوم واحد (١٦ سبتمبر١٩٦٨) فى معتقله بجزيرة « ليروس » ستكون صلب ديوانه « ثمانى عشرة أغنية قصيرة عن الوطن المرير » ٠ لكنه لن يسمح بنشره وترجمته الا فيما بعد (١٩٧٣) ٠ وما ان قام « ثيودراكيس » بتلحينها ، حتى أصبحت عملا شعبيا جماهيريـا فى اليونان ، ثم عبر العالم الخارجى ٠

لا هتاف ولا عويل ٠ لا شـعارات ولا خطب رنـانة ٠ انها « وردة بخور مريم » الصغيرة التى تشق الصخر ، والفجر الرهيف للربيع ، وتل منسوج من أجراس الماشية وثغائها ، وشراع أبيض ، والفتاة تنسج أشياء المهر ، والشاب يجدل السلال ٠

تتألف كل أغنية من أربعة أبيات طويلة ، حسب التقليد الشعرى للأغانى الدارجة ذات الخمسة عشر مقطعا وزنيا فى السطر ٠ وهناك الكثير

من الملامح المشتركة مع تلك الأغانى، لا فى الشكل فحسب، بل ـ أيضا ـ فى الروح • وأقرب مثيل غنائى لها هى ال « كلفتيكا Kleftica »، تلك الأغانى الشعبية التى تحكى بطولة المقاتلين من أجل الحرية فى حرب الاستقلال الوطنية اليونانية • تشترك أيضا فى الروح ـ بالرغم من الاختلاف فى الشكل ـ مع « روميوسينى » الملحمية • وليس من قبيل المصادفة أن الأغنية الأخيرة من الثمانى عشر تتضمن « روميوسينى » فى عنوانها « من أجل روميوسينى ، لا تبكوا » •

(٧)

رحلت السفن وتركتنا
بلا خبز أو نبيذ أو فحم
فى منتصف البحر •

وفى ربيع ١٩٧١ ، يكتب « حجرة البواب » • وللعنوان دلالته على موقع ومنظور الرؤية والملاحظة ، بما يسمح باستقلال ما عن المشهد ذاته • فكل قصيدة ـ من قصائد الديوان القصيرة ـ مشهد مكتمل • وكل مشهد استعارة أو رمز أو مجاز • لا مجانية فى الألفاظ ، ولا تسجيلية فى رصد التفاصيل اليومية • كثافة مثقلة بالدلالات • وبين كل سطر وآخر فضاء تتقاطع فيه التأويلات • يختلط التفصيلى اليومى بالفانتازى بالسيريالى ، بذلك العصى على التفسير• وغموض ضبابى شفيف يتخلل سماء القصيدة، لعله غموض السماء اليونانية فى ظل الديكتاتورية •

فما الذى رآه ذلك « البواب » الذى يحرس النوم واليقظة ، الحلم والكابوس ، والايماءة والاشارة ؟ وكيف رأى ما رأى ؟

بلد يشبه البقالة الفارغة ، التى مات صاحبها فى مؤخرة الدكان • والهبوط يتم فى الظلام ، فى مكان بلا جدران ، بلا سقف ، بلا سلالم ، بلا أثاث ، كأنه انحدار مدرك فى هاوية من هيولى ، حيث « هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتة » ، أو هروب مما هو أفدح من الهاوية • وفى الخارج : لا أحد ، « لا شيء آخر ، لا شيء آخر » •

ذرائع ، والتواءات ، وأقنعة . والموت خلاص من نوع ما ، حل ما فى مواجهة الغثيان والقرف . ولا اجابة للسؤال الجارح : « كيف كبرنا بين أيدى غرباء ؟ » . نوم ينقسم نصفين ، وحياة توزع أوقاتها ـ كالشظايا ـ بين الأماكن الغريبة . والوقت يتهشم الى فتات بفعل الصراخ والرنين ، وبرقة خضراء ، لزجة تأتى الآن « لتآكل المنزل ، والصور المعلقة على الجدران والحبل المتدلى من السقف » . والوهم بالقفز من شرفة الى أخرى دون تحريك سوى يد واحدة . فهل يكون متأخرا اكتشاف الفرق بين الورق والحديد ؟ وهل ينقسم العالم ـ بالفعل ـ الى اثنين لن يتوحدا ؟

والتعامل ـ برفق ـ مع الدب الأسود سينتهى بالسلاسل التى تتدلى من الجدران ، والسلاسل حول الرقبة . فهل يشبه المنديل الأبيض الذى تنساه العجوز ورقة بيضاء نسيها الشاعر بلا قصيدة ؟ وهل يساوى العثور على « شىء ما بلا أهمية » اللامبالاة باعلان الحرب ؟ هروب الى أعمق أعماق الذات ، وبحث ـ فى النفايات المهجورة ـ لا يمنح سوى قشرة برتقال جافة وكسرة مرآة . انها الأشياء التافهة مدار البحث ، كأنها السبيل الى مخرج ما أو مهرب ، « أشياء كنا نعرفها تماما، فأصبحت مجهولة وبعيدة » ، لن يفضى العثور عليها الى شىء ، انه البحث فى ذاته . أما النباح ، فلا يحمى أحدا « من القمر ، والزمن ، واللصوص » .

انهم يترددون برهة ، ثم ينحنون لالتقاط ما يرمى اليهم من أعلى . أما الوحيد الذى لا يمد يده ، فيخفيها فى قميصه ، ليدارى أنها مبتورة . والمشروع المبرمج المعقد (هل هو النظام الديكتاتورى) محكوم عليه بالفشل . ويظل ممكنا ـ فى « البرودة المظلمة للأعماق » ـ تحديد موقف وموقع « داخل العالم المعلق » .

« كل شىء قد استنفد » . لكن ـ وسط البقايا القديمة ـ يمكن العثور على « الجمجمة المقدسة لأحد حصانى أخيل » و«صولجان البطريرك». بهما معا ، كمجازين ، تتحقق المعجزة : أن يسمع الناس المحتشدون الأخرس الواقف على منصة الخطابة .

ومن بعد ، سيضيء ريتسوس بعض أبعاد هذه التجربة :

« بمرور الزمن ، أتكشف ــ بوضوح أكبر فأكبر ــ أن عملى ، فى تطوره ووظيفته ، يميل الى التحول (بلا قصدية، بلا تخطيط) الى سخرية وحط من قدر كل كابوس واستغلاله (سواء كان ليليا أم نهاريا) ومن الموت على نحو أعم • واذا ما كان ثمة عامل تحريرى هنا ، فهو الراحة من كثافة الألم والخوف (الجسدى ، والأخلاقى ، والاجتماعى) ، الناجمة عن النزعة التهكمية المحكومة تجاه هلوساتنا « التاريخية » ضمن وحدة الشعور بمشاركة أو تورط حقيقى أو خيالى ــ ضمن وحدة المصير المشترك •

ويبدو أن الشخص المغلوب يستمد القوة ــ مهما كانت موضع سؤال ــ من غالب ما ، خلال هذا الميدان الغامض غير المضبوط ، قوة « التثبيت البصرى » للكابوس ، أو تحديده فى مفهوم ، أو حتى تحويله ــ شيء ما يشبه خلاصا أو تحريرا • بذلك ، يتحول « المأساوى » الحتمى الى كاريكاتير (أو الى شيء ما مفارق ــ أى بعيد موضوعيا) ــ أعمق مأساوية ربما، الا أنه ينطوى على حل المأساوى فى تكشيرة باسمة، أخيرة، ارادية ، تتحول أحيانا (خلال الشعر) الى ابتسامة حقيقية ، الى مزاح ،

الى قرار أو حتى الى قوة لبداية جديدة ، ولفعل جديد• وليس ذلك فحسب نتيجة لتأثير الفعل الجمالى على القارىء أو المستمع ، بل ومن خلال واقع الفعل ذاته •

ويتحقق ذلك ــ بوضوح فى قصائد عديدة مبكرة من « شهادات » ، و « تدريبات » ، و « الحائط فى المرآة » ، و « ايماءات » ، و « الممر والسلالم » ، والأكثر فى « حجرة البواب » •

ففيها ، تذوب ــ بسلاسة ــ « الفردية » التى لا تطاق لما هو شخصى فى الكونى الخلاصى الذى يشمل كل شخص وكل شيء • فالافتقار الى التواصل والفهم ينتهى الى حنو وغفران ، ان لم يكن الى قبول وتوافق

بما يسمح بمزحة أو حتى سخرية الأصدقاء ـ كشيء ما يشبه أخوة سامية تمتد فيما وراء الاختلافات والاتهامات المتبادلة (انها كأننا نتكلم عن أخلاقيات للجماليات) • فأمام أناس حميمين لنا ، فقط (أم ربما أيضا أمام غرباء عنا تماما ؟) يمكننا أن نفصل أنفسنا عن أى ادعاء دفاعى أو تهجمى بالجدية أو الأهمية ، وأن « نمزح » معهم • أمامهم ـ وحدهم ـ يمكننا أن نقنع أنفسنا (كممثلين فى نفس المأساة أو الملهاة)، أو ـ حتى ـ أن نتعرى ، فنخلع ثيابنا واحدا واحدا ، والشعر المستعار ، واللحى ، وقبعات الريش ، وحذاء التراجيديات ، والأقنعة ، وسيوف المقنعين الخشبية ـ ممثلين فى دراما حقيقية لم تكتب ، ممثلين يتظاهرون بازالة ماكياجهم وخلع ثيابهم بعد العرض ، لينتهوا بنا الى الفكرة المعزية بأن « الدراما الحياتية » السابقة كانت ـ ببساطة ـ « دراما مسرحية » انتهت ، ولا يمكن تكرارها على الخشبة ، بل لا يمكننا اعادتها على نحو أفضل •

ف « الواقعى » (و « واقع » الخيال والحلم) قد تحول الى «التخيلى»، والاستبدادى الى محاكاة تهكمية ، « مسلية » • ليس دائما بالطبع • ومع ذلك ، فلدى المرء انطباع بأن اعادة التمثيل البسيطة لصور الكابوس المحرقة والمحرقة ، وصور الوجود الانسانى المستعصى على التفسير (وتحولها ومسخها وتحريفها) يمنح (لا الفنان وحده) اشباعا فاتنا معينا ، قد يعنى القدرة وامكانية التحكم والتحكم الذاتى ، بل والشعور الخالص بما لا يستنفد ، بالقدرة على الاحتمال ، بل وبالنجاح » •



ويعود التدفق الشعرى الى مجراه المنشور • فللقصائد القصيرة دواوين « أحجار وتكرارات وقضبان » و « ايماءات » و « الممر والسلالم »، فقصائده التراجيدية الطويلة ، ذات الطابع الأسطورى : « هيلين » و « اسمين » و « عودة ايفيجينى » و « كريسوثيميس » و « أجاممنون »•

وفى يوليو ١٩٧٤ ، تنقشع الظلمات ، مع سقوط النظام العسكرى ، بعد أن تكون قد انغرست فى الذاكرة أبدا • وسيكون له أن

يعود ـ عام ١٩٧٨ ـ اليها ، ليكتب قصيدته « الجسد والدم » ، مهداة الى الانتفاضة الطلابية ضد الديكتاتورية العسكرية. ففى ١٧ نوفمبر ١٩٧٣، احتل الطلبة حرم جامعة العلوم التطبيقية بوسط أثينا ، ودعوا أهل العاصمة ـ من خلال محطة اذاعة أنشأوها بأنفسهم ـ الى الثورة ضد الطغيان ، والقتال من أجل الحرية . وأصبح ذلك الفعل الأول ـ واسع النطاق ـ فى التحدى العلنى للنظام نقطة البداية فى المقاومة . وأرسل الكولونيلات دباباتهم الى الطلبة العزل . وبعد أن كانت الديكتاتورية تنكر كل الممارسات الوحشية التى ارتكبتها فى السر ، فان الطريقة المروعة التى سفك بها دم الأولاد والبنات ـ فى تلك الليلة ـ قد عرت الوجه الحقيقى للنظام .

ومنذ طبعتها الأولى عام ١٩٧٨ ، أعيد نشر « الجسد والدم » فى أكثر من خمس عشرة طبعة . انه نفس العام الذى شهد صدور سبعة دواوين أخرى : « عسكرى المرور » و « البوابة » و « امرأة مونيمفاسيا » و « الرائعة الرهيبة » و « فيدرا » و « اذن ؟ » و « مطرقة الباب ».

وحتى عام ١٩٨٠ ، سيكون قد صدر له ثمانون عملا شعريا ، وسيكون قد ترجم الى اليونانية أعمالا لألكسندر بلوك وأتيلا جوزيف وماياكوفسكى وناظم حكمت واهرنبورج ونيقولا جيين وغيرهم .

وحينما يطرق الموت بابه فى ١١ نوفمبر ١٩٩٠ ـ عن ٨١ عاما ـ سيجده مثقلا بالزمن والنياشين : « كم من الآباد أحمل فوق أكتافى وفى جسدى وروحى . لقد عبرت ميتات كثيرة ، وهاأنذا أموت أخيرا وأنا أحمل بعض الأبدية » .

القاهرة

الثلاثاء ١٦ يوليو ١٩٩٦

أغنيــة أختي

الى أختي لولا

في المرايا المشوهــة للدموع
تهشم وجــه الأبديــة الســاكن
لكننا ما نزال نسمع بداخلنــا
همهمة الســكينة ٠

أخــــتي ،

على أن أقف منتصبا في مواجهة الشمس
وأرفع أعمدة شعري نحو الفضاء الأزرق
فلعلك تتمشين في الأمسيات
مبتسمة بجوار « ايوريديس »
تحت سماوات مترعة بالنجوم
في أصـــياف لا تنتهي ٠
لكنني ، يا أختي ، لا أستطيع فعل المزيد ٠
فاللانهاية حطمت قوسها الساطع على حاجبي
وأنا أدور حول نفسي في اللحظة الأبدية
مبعثرا وحســـيا ٠
صوتي انهار ٠
وفكري قطف زهوره الأخيرة ٠

بالنشيج وحده أنطق أغنيتك ٠
فلا الألم ولا النشوة يجرؤان بشفاه دامية
على التفوه باسمك ٠

على نضارة السماء تركع الرحمة
للتوسل على قدميك ٠
وحمام أحلام الطفولة الأبيض
يحلق خفيضا فى سهول ابتسامتك ٠
وتأملات الحكماء ما بلغت أبدا
حواف عظمتك الجليلة ٠
والشعراء الذين ذابوا فى الضوء
يعترفون — فى ضياء وجهك — بخواء القصائد ٠
وحده الصمت العظيم ، بزنبقة فى يده ،
يلمس فى رفق ظهرك المحنى
الذى رفع الى سدة الرب صرخات الرجال
فيما الليالى الزرقاء القاتمة ، بنجومها المنتحبة ،
كفت — من الندم — عن الحركة ٠

أختى ،
ها أنا أنشر جناحى
أنحنى وأقبل أطراف قدميك الحافيتين ٠
لعل عقلى أن يعرف السكينة
لعلى أغنى الترنيمة المناسبة لك ، يا أختى ،
يا أخت كل العالم ٠

يداك البيضاوان اللتان غطتا جراحنا بالمر
تلتويان الآن مربوطتين خلف ظهرك
فى تقاطع مع جسدك كأنهما ، يا أختى ، يدا لص ٠

وجسدك النحيل مجدول فى العباءة الرمادية للسعار .
وعيناك قلعتان من زجاج خاويتان
حيث تهيم ـ ضائعة ـ أشباح الماضى .
أختى ، كيف تتخلى عنى فى منتصف الليـل
لتبحثى دون مصبـاح
وتعثرى على آثار خطواتك الضائعة ؟
فلتغمرينى أيضا فى نفس الظلام
لعلى لا أسمع بوق صرخاتك
التى لا تحصى المقابر التى لا تحصى .
فجرى فى اللانهايـة عينى
لعلى لا أرى يديك المربوطتين .
فأينما أستدير لا أرى سواك .
أستجدى رحمة الجمال أن تهبنى قطرة ندى .
لكن ما من مجيب لتوسلات المقهورين .
غبار أصفر من ورود ميتـة
تساقط ثلجيا على الحدائـق .
والشاطىء الصامت انسحب فى الغسق
والربيع نام ووجهه المضىء مخفى فى يديه .
أين الصمت الآن بنومه الصافى
بنشوته الثلجية ووروده الذاوية ؟

أخـتى ،

لم أعـد شـاعرا
لا أتنازل بأن أصبح شـاعرا .
أنا نملة شوهاء ضلت طريقها فى ليل لا ينتهى .
أنفخ فى جمرات أبريل الخامد
فلا أجد شرارة تشعل النـار القديمة .
لقد وزنت كنوز القرون فى راحة يدك النحيلة .

وجررت الجبال الى حيث استرخي الشعراء .
وأنا لم أعد شاعرا .
أعرف أن الشعراء
لا يلوثون الأبراج العاجية للمدن بدموعهم .
انهم يمعنون النظر ،
ونظرتهم المحدقة موجهة بلاشبيهة ،
حتى ليمكن أن يحصوا ومضات الضوء ونبضات الكون .
لكنني ، يا أختي ،
أمعن النظر وأنا أعد دقات قلبك وأنفاسك .
أقف ، كبرج معتم ، وسط القذائف المدمرة الوامضة
وألمس — بلا تردد — حد السيف .
أقواس الضوء خبت تحت رموشك .
وما من شيء آخر يحيا خارج الدائرة الجنائزية
التي ترسمها عيناك على العالم .
لا أريد طبول الانتصار
لاعلان مجدي في غابات الربيع .
فابتسامتك تكفيني .
ونبع عينيك يستطيع أن يطفيء عطشي
ويدفع حياتي الى الازهار .

كانت لدى سترة جميلة تدفيء ساعاتي .
كانت لدى صحبة من قصائد تكلمني
في ليالي الحملات الظافرة .
وأنا أجلس صامتا وحيدا في هذه الصباحات الضائعة ،
مهيبا أنصب خيمتي
على حلم بالترحيب اللازوردي
الذي يعده لي أصدقائي المجهولون
وسوف أحدق في سهول الفجر
من السطح الطحلبي لبرج الجرس المغطى باللقالق البيضاء .

أطفال شقر في عيونهم ذهول رائـــع
سوف يفتحون العهود المخطوطة لأغنياتي .
(كم من ابتسامات استدعيتها في وحدتي المزيرة
من أجـل بهجة الآخرين !)
آه ، للحاشية التي انتظرت دخولي الى القدس .
كمسيح صامت أسمع أبواق السماوات
التي تنبأت للشوارع المغطاة بالسعف
والصبر الذي لم يخذلني في عذابي الحارق .
لكنني ، يا أختي ، لم أعـد أعرف
كيف أنتظر وأتوسل
أنصتي ، فهذا المسـاء
الذي ينسج غلالة وردية فوق الحدائق
يعيد الى روحي القديمة .
تغريد الطيور ينتهك حدادي اللائــق .
أختي ، فلتطمئني ،
فشلالات الصداح لا تسعد حزني .
وأنا مقيم على الوفـاء في ذراعي حبك
لم أعد شاعرا ، وأنا موجـــوع .
فلتغفري لي ، يـا أختي ،
حزني هذا الذي يحيا خارج حزنك .

أخـــتي ،

دائما ما كانت غيمة تظلل رموشك .
وأنت تنحنين على الشرفـــة
ـ حتى وأنت طفـــلة ـ
كنت تحدقــين في البحر
فتنشرين الحلم بعزلة لا نهائيـــة .
وكنت تطعمين قلبك بأوراق الخريف .

لغز ظـل الأم انعكس في عينيـك ٠
والضوء الشاحب لوجهك
ظـل باقيـا على الأرض فى بيتنـا ٠
لم نرك أبـدا تبـكين ٠
على صفحتى وجهك وخـدهما
ألمحت الشرايين الرهيفـة
ـ خطوط من ضوء لازوردى ـ
الى حمى شفتيك الموصدتين ٠
(كم من مرة ـ وأنت نائمـة ـ
انحنيت عليهما لأقرأ سرك) ٠
مفعمة بالحب والحنـو
كنت تضمدين جراحنـا فى صمت ٠
صمتك قال كل شىء ٠
وفى أمسيات الشـتاء
كنت تتمشين وحيدة فى الغابـات
لترعى العصافير العاريـة ،
لتدفئى الحشرات المثلجـة ٠
قطرة قطرة ، لملمت داخلك
دموع الفقراء والمقهورين ٠
وعندما انهار بيتنا ظللت منتصبة ساكنة
ـ كظـل للسيدة العـذراء ـ
لترينى النجوم عبر ثقوب السقف ٠
الآن ، انكسر صمتك
وفى الرعشة الصغيرة التى أخفيتها
سمعت صراخ المحيط ٠
أختى ، ما من حجر ظـل لى لأنحنى عليـه ٠

مازلت أمشي في ثغر الزحـــام
في شوارع بلا شبهات ٠
لا أحـــد ٠
الأطفال يلعبون دون حدس بالأجراس
التي تدق بعيدا فتوقف دمهم ٠
والناس يمكن أن يواصلوا الضحك
ويمكن لي أن أسمع حديثا يدور عن أشياء أخرى
ـ مراكب التجارة تمر بالقرب من الفنار الوحيد في البحر ٠
ومن واجهات القصور ترن الساعات :

لا شيء ، لا شيء ، لا شيء ٠
البعض يقعون في الحب بالمصادفـة ،
البعض يفسرون الأحـــداث ،
والبعض يحتفظ بالكتب ، يحكون عن النساك المهزولين ٠
القطارات تحمل ضبابا وأشباحا من محطات مهجورة ٠
الزنابق تنفض بقايا داكنة الزرقـــة
لحلم غارب عن جبهات حجريـــة ٠
لاشــــيء ٠
وهذا الأريج الواهي لذكرى الطفولـة
ذوى ســـدى ـ بلا صـــدى ٠
لا أحـــد يـــرى ٠
غشاوات من رماد تغطى الأرض ٠
يارب ، فلتغلق عيني ،
فلتعقـــد ذراعي
ولتطرحني في رحى الريـــاح ٠
متعب حتى النخاع وأنا أهوى في الهاويـــة ،
وسرعة السقوط تصفر في أذني أغنيـة الارتيـاح ٠
أغلقوا النوافـــذ ٠

فوقاحة الضوء تعشى عيونى •
كفى حديثا ورديا لا يفيـد •
صمت الأم يأتى بيدك الى صفحتى وجهى •
وعلى رأسى العارية تلقى غابات الخريف بظلالها •
أختى ، أنا نعسان • فأين يمكن أن أستريح ؟
أين يمكن أن أنام ، وأنا بلا سرير ؟
الفجر المريض يعثر على مصباح سهرى
مشـتعلا مرة أخرى •
وساعة المساء فاجأتنى مبتعدا عنك ، يا أختى •
جمال جليل نقر على كتفى بيد حانية •
وعلى فجر الأفق شعلة وردة منسية •
والذرى الناعمة تحمل سلال البنفسج
الى الأقدام الشفافة للراحة •
وأنا أمسك فى مريلتى بمصباح وليد
وأغمر روحى فى عينيه الواهنتين •
أحدق فى السهول
مستشفا ـ فى هدوء ـ سكون المساء
وأحيى أرواح الأشياء •
وخلف أشجار الكمثرى المزهرة
يرقبنى ظلك الأسيان •

لم أنسك ، ياأختى •
أعى الطيبة من رحمتك •
أوزع الابتسامات على الخطوط والأشكال
المنيرة بضوئك القدسى •

لكن ، وأنا أجمع لك باقة من زهر الربيع ، فانك يا أختى ،
بعينين مسعورتين كسيف يومض
تنيرين القبـة الزرقـاء ،
لكنك لا تدرين أن الأشياء الحية التى ترينها منعكسة هناك
تسـتعيد صورتك اليـك
خلال طبقات من الصمت والذكرى •

أختى ، وعدتك بأن أجىء لك بالماء الأبـدى •
وعدت بأن أرمى بالشمس عند قدميك •
الآن تصرخين : « أخى ، عطشانـة •
فأين الماء الأبدى الذى أطفىء به عطشى ؟
أخى ، بردانـة ،
فأين الشمس التى أدفىء بها يـدى ؟ » •
وأبقى بـلا حراك ، بـلا حيـلة •
أنا الذى طفت بالسماوات
لا أستطيع تغطية شبر واحـد من الأرض •
وتحت الثلوج أسمع جذور حديقتنـا العجوز
توثقنى الى الأرض •
نسيت كيف أمشى •
أنحنى على هيولى روحك ، مفعما بالرهـبـة •
تتصادم النجوم فى أعماق عينيـك
وتدمى قلبك معارك الأربـاب •
فكيف يمكن تشـكيل احتراقـك
فى سـكون منحوت بـارد ؟
لقد آمنت ذات مرة بالسـماء
لكنك كشفت لى أعماق البحر ، بمدائنها الميتـة
بغاباتها المنسية ، وأصواتها الغريقـة •
والآن ، غاصت السماء ـ كنورس جريح ـ فى البحر •

ويدى ــ التى ابتنت لك جسرا على الهاوية ــ تداعت ٠
انظرى الى
بأى عرى وبراءة أستلقى أمامك ٠
بردان ، يـــا أختى ٠

فمن سيأتى لنا الآن بالشمس لتدفىء أيدينا ؟
أنصت ، صامتـــا ٠
لا أحــد يعبر طريــق الليـــل ٠
والنجوم غرقت فى العينين الصدئتين
للنسر المتحول الذى يتأرجح على حافة معارك الظلام ٠
يداك المقيدتـان تسـدان طريقى ٠
وصوتك يتمشى وحيـدا فى ممرات الليـــل
وسيفه الطويل يرتطم بالقرميـــد ٠
فـــات الأوان ٠
لا الحياة تتقبلنى ولا الموت ٠
فالى أين أمضى ؟

مخطىء يا أختى ٠ فلست ربـا ٠
لا أحــــدد أى شىء ٠
ونارك بخرت قوتى حتى الخمود ٠
ومثلما تنفضين الغبار الذهبى للضوء عن رموش الكون
حدقت فى صلبان الانسان العظيمة
التى تنتصب فى أفقك المســـائى
وأحـببت الحـزانى
الذين يعبرون صامتين ــ كقطعان بيضاء مختومة على الجبين ٠
مختومة على الجبين بخاتـم أحمر ٠

قرأت تاريخ العـالم فى قطرة من دمك .
آه ، يا شعبى ، آه ، يا أخوتى وأخواتى ،
يا أخوة وأخوات أختى ،

فى البحر اللانهائى لقلبكم
تغرق الأحلام بكل أشرعتها ،
مع جرأة الأفكار والتأملات اللامبالية للأربـاب .
كم من رحـلة قمتـم بها !
ولم تحضروا معكم صورة واجـدة للازدهـار
لتزينوا بها بيوتكـم ،
صـدفة بحريـة واحـدة
من تلك التى تطيح بها العواصف على الأرض
تذكارا لامعـا ومفتاحـا موثوقـا
ليوصـد أبوابكم عندما تهب الرياح فى الليـل .

تظل عيونكم أبدا محبوسة وبريئـة ـ
كقطرات مطر ملونة بالصمت والشك .
لا ملجـأ لكـم .
تموتـون بـلا بعث
بلا شفاه ورديـة لطفل تنطق باسمكم من جديـد
تحت السماء الوديعة لمايو الجديـد .
لكننى رأيت ذكراكم ترفرف كحمامـة مهيبة
على كتف أختى .
أخوتى وأخواتى .
فلتستقبلوا الآبـق فى صـدركم الواسـع .
فبـالدموع أغسـل أقدامكم الجريحـة .
بالدموع أنظف يـدى من تراب التعالى
لعلى أكون جديرا بتقبيـل شـعركم .

أختى ، تعالى لنتكىء كطفلين عليلين
على الحديقـة الروحيـة التي غرقت داخلنـــا ،
لنلتفت الى الشذى المتلاشى
الذى ظـل منسيا فى ركن معتم من قلوبنـا .
... وفى ليـــالى الصيف
سوف نرى ـ مفعمين بالبهجـــة ـ
البدر يشرق على شاطىء مسـقط رأسـنا .
والطريــق الفضى سوف يحملنـا
الى الحفيف اللازوردى للكون .
وستكون أمنـــا بجانبنـــا
ملاكا أبيض فى الليـــالى البيضـــاء .
نسمع صوتها البعيـــد
والحفيف النـــاعس لجونلتها
ونحن نغمض عيوننـا فى نوم ملىء بالنجوم .
آه ، أيتها الحماية العذبـة التى سهرت بجانبنـا
وهى تدفىء طيور أحلامنا العاريـة .
لفنـــا ازدهـــار الضوء
وهربنـــا ، يـــا أختى ، بين السماء والبحر .
... وبعد ذلك ، الأبواب المغلقة والنوافذ الجامدة
كل ســـابق تغير .
صـوت الأم ميـــت .
وحيدان ، اليد فى اليد ، في مدائن مجهولة ـ

متسولين صغيرين ، مع حلمنا الدافىء ، تحت سماء متكسرة .
لم يعــد لدينـــا مأوى ولا عكاز .
لكننا ما نزال نعرف كيف نكون محبوبين ، وكيف نحب .
عنـدما أتعب أستند عليـــك .

وتثبتين نظرك فى نظرى
تأتين لى بشقائق نعمان ذهبية
من شقائك الى حلمى .
أختى ، تعالى مرة أخرى
وقبلى جبينى المشتعل .
انظرى ، ها أنا أفتح لك كوة ضوء صغيرة وشعاع مائل
يرسم الخط الخارجى لظل وجهك .
فلتدفعى عنك الليل ، ولتأتى الى
وسيأخذ كل منا الآخر – كآنذاك – يدا بيد
ونطوف خلال مدائن باردة
– متسولين صغيرين بحلمنا القديم ،
– أميرين عظيمين للحب .

. . .

هل تذكرين ؟
ذات مرة أعطتك أمنا ثوبا قرنفليا
ومظلة قرنفلية صغيرة .
وكنت تتسلقين منحدر التل المزهر
فى صباح ربيعى ، أثيرية شفافة –
غيمة قرنفلية من ضوء .
وكنت تحدقين فى السماء
كأن شيئا ما من أعلى كان ينادى عليك .
الضفائر الحزينة لشعرك الفاحم
تنسدل وحيدة ثقيلة على ظهرك النحيل .
كنت خائفا من أنك – فى وقت ما – ستتلاشين
مع الضوء الوردى فى الغروب .
آنئذ ، كنت أجمع أصدافا لامعة
وحصى ملونا على شاطىء جزيرتنا

كى أرى عينيـــك تبتســـمان
وأفتن قلبك الذى كان يذوب ــ صمتا ــ فى حزن العالم ٠
لكنك لم تعرفى كيف تضحكين ٠
وكنت أصنع أجنحـة من دموعـك
لأمضى بعيدا كى أجىء لك بلقـــاح سماوى
لأحـــرر صمتـــك ٠

لكنك لم تعرفى كيف تأخـــذين ٠
كنت تعطين ٠ فقط تعطين ٠
كل مواهبـك ٠٠ كنت توزعينها
لتبـقى يـــداك خاويتـين ٠
أحنيت رأسك ــ طائرا أسيانـا ، فى جناحـك المعتم
وغنيت الغنوة المدهشـة لكل العـــالم الجريـــح ٠

أختى ، فلترفعى رأســك ٠
أنحنى بجوارك وأجىء لك بفجر طفولتنـــا
لعلك تستنشقين ملوحـة جزيرتنـا ، ورفيف المسـاء
وترســين بجانبى ،
عابرة سديـم الاشتياق الى البيت ٠

عودى ، يـا أختى ، الى بتليهيم الصغير
الذى حملنا جميـــلا ومتواضعـــا
ولسوف ترين أننى سأريق أحلام القديس
التى أخـذتنى بعيـدا عنـــك
وسأظـل بجوارك الى الأبد ــ زيزا بسيطا
لأغنى لك فى أمسـيات الربيـــع ٠
ألا تســـمعيننى ؟

رفضنى الجميع ، ورفضت كل شىء ٠
ولا عزاء لى حتى فى الفـكر ٠
فـكل مـا أحببت

أخـــذه الموت مني والجنـــون ٠
وبقيت وحدى ، تحت أنقاض سمائى ، أحصى الموتى
جرفت الريح من طريقى آثار خطى الرب الطاهرة ٠
لا يمكننى العثور على الموت من جـديد
فأحبائى الموتى أعادونى الى الحياة لأبكيهم ٠
والآن ، ما تزال الطاحونة المكسورة تدير أجنحتها
فوق السهول المحصودة ، فى سكون سماوات المساء ٠
آه ، هذه الأجنحة التى تمس رموشى بالحركة الواهنة ل
الصفحـات
وأتبع أمرها الغريب ، بلا ارادة ولا نسيان ٠
فلتنم ـ فى النهاية ـ تلك الأجنحـة
التى تشكل الملامح المتعبـة لطيور جريحـة
فى غيوم الخريف الأبـــدى الكابيـة ٠

يا لها من برودة تستقبلنى بها
الأصـوات والألوان هذا المســاء ٠
يجرجر الغروب تحيتـه الذهبيـة على أكتاف الأشياء
فما الذى يريـده هذا الضـوء الوردى ؟
لم هذا التبرج فى الاحتفال اللامبـــالى ؟
لم هذا الاسـتفزاز لى ؟
الأشـجار والصمت اتخذوا سـمتا مغرورا
لخطباء يتحدثون أمام تماثيـل عميـــاء ٠
آه ، كم أكره الغيوم النــاعمة
التى تتعلق ساكنة مخادعة فى الضوء الراضى ٠
ألا يعرفنى أصدقــائى القدامى ؟
لا ، لاحاجــة بى لشىء ٠
لا تليـق الشـفقة على بى ٠
أقضـم شـفتي وأشرب دمي ٠

اننى أحتقر جمـالهم الميت ·
ـ أيتها السماء ، ما الذى تتباهين به ؟
أنا الذى انسحقت تحت أقدامك
سأتخطى جمالك البارد بأغنيتى الدافئـــة ·
أختى ، لقد تركتنى لتستندى على قلبـك
وتنصتى الى نبض النـــاس ·
وحياتى تواصلت تحت سماء عينيـــك ·
وكنت تجيئين ـ محبـة رقيقـة ـ
فى الأمسيات التى كتبت فيها ـ وأنا أنحنى صامتا ـ
قصائدى الغاضبة عن حروب الضوء والدم التى لا تنتهى ·
أحسست بحضورك خلف الليـــل ·
وغطت سطحى البارد شجرة الساعـات الحانيـة
عنـدما سمعت وقـــع أقدامك ·
كنت تبتســمين
فتـأتى كل السماوات الى غرفتى ·
وانعكاسات لازوردية ترتعش على الجدران
وذكرى بيتنـا تستثير قلبى
عندما أعود مثقـلا بتجوالات الليـــل
والمرارة الأبديـة للوحـــدة ،

كنت أجد عشاء الحب ينفث البخار على المائدة
وذكرى الطفولة ـ فراشة واهية تلعب حول مصباحك ·
وتظلين واقفـــة فى انتظار عودتى ·
وعندما أغرق ـ أنـــا عاشـق اللانهايـــة ـ
فى ظـــلال شـكوك غامضـة ،
فـانك ـ باصبعـك الدافىء ـ
تريننى آثـار الأقـدام على الأرض ،
وتعيدين تشـكيل رمادى من جديـد فى شـكل انسانى ·

تقاسمت معك مقعدك
فاحتفظت بمكان لى على الأرض ٠
قست الزمن بنبضك ٠
أصغيت الى قطرات البرودة عن قرب
وهى تسقط من نبع خفى ٠
وجف النبع ٠
رحلت ٠
فجرجرت السماء ـ غبارا أزرق وراء خطواتك ٠
انها تهطل الثلوج ٠
أيتها الحياة ، الحياة ،
أخذت منى الكسرة الدنيوية الأخيرة ٠
ما من دموع أخرى لدى ٠
ولا خوف عندى ٠
فما من شيء آخر لدى كى يسلبوه منى ٠
فقيرا ، عاريا ، مهجورا ـ
انها ثرواتى التى لا يستطيع أحد أن يسلبها منى ٠
لن أطرق أى باب ٠
لن أنطق بأى رجاء ٠
بلا خبز ، بلا جربندية ، بلا رباط
أتخذ الطريق الى الغرب بخطوات ثابتة طويلة ،
عاريا ومطلقا ، جديرا بأن ألمس الرب ٠

غيمة بيضاء من قمر سهران
تذوب وئيدا فى زرقة الفجر ٠
وزجاج النوافذ على جبهة البحر
ـ كسلسلة من عيون باكية ـ
يعيد فى تصوير شبحى
الأفول الشاحب للقمر ٠

آه ، هذا الشحوب الذى يرمى بظلال الشك
على الليـل والنهار ، ويرفرف بلا وزن .
وفى الأسـفل ، البحر الرمـادى
يعكس الرعشـة ذات اللون السماوى
التى تتوالى على ظهور النوارس الهشـة .
والصوارى الظليلة تخط الأفـق فى سـكون
متـأهبة للحركـة .
لرحلـة جديـدة ؟
لعودة جديـدة ؟
والضبـاب يؤخر برهـان الشمس .
لا شيء يتكرر دائمـا .
الربـح والخسارة يتركان آثـارهما على القمر الأبيض
الذى يتـلاشى تدريجيا فى الفجر .
النوارس تجيء من بعيد ، تحيى القوارب الراسية ،
تحيط ـ كعنقود من الزنابق ـ بالمراسى الصدئـة .
أختى ، شاطئك يتقهقر .
ورحلة الاكتشاف تبـدأ .
ومضة ضوء منقوشة على الجفن الناعس للسماء والبحر .

. . .

أختى ، هناك خط مضيء يرتسم حول بابنا المغلق .
صحوة تغمر الهواء البالى مع صخب البحر .
احدى خنافس مايو تزعج زجاج النوافذ الموصـد .
والشمس تنسكب فى فوضى الغرفـة
ورجفتها المرفوضـة تتملكنـا .
أى يـد للرحمة تسحب ظلها
على الجـدران البـاردة ؟
هـا هو تذكار الحيـاة فوق الركوع .
هـا هى رايـة الربيـع فوق المقـابر .

الأشرعة البالية تنهض ــ تبحر فوق المراكب .
السرير يتحرك .
نسمة .
براح يسلب العقل .
أطيع الأمر
أفتح ذراعى وأتقبل ما لا يقاوم .
الوجوه الفاتنة فى متنزه النساء
وموكبهم الوضىء فى جسدى .
يتراجع الصباح ، مؤجلا
يزيح أيدى الضباب بعيدا عن جبينى .
لا مزيد عندى من البكاء .
هزمنى الغناء .
منحنى الغناء الانتصار .
الشمس ، الشمس تذيب المشهد الثلجى فى عينى .
والأغنية القوية صعدت سقالات السماء
لتبنى بذراعين عاريتين بيتى .
والضوء يتماوج فى عضلات صوتى .
أسمع حلقات القيود تساقط وتنكسر
أسمع الفرسان البيض يمرون بالخارج
منشدين أناشيد الحرب .
انفتحت النوافذ على مصاريعها فوق بحر الصباح .
وعتبة بابى تلتمع كعين مفتوحة .
أختى ، لم تعد لى طاقة على البقاء .
فغيابى سيجىء لك بالماء الأبدى .
وأنا ــ الذى عجزت عن انقاذك من الحياة ــ
سوف أنقذك من الموت .
هناك الطرقات مشرقة واضحة فى ضوء الشمس .
فلتتنحى ، يا أختى جانبا ، كى أمر بيديك المقيدتين .

علقت على صـدرى التعويذة التى صنعتها لى
ذات مساء ربيعى ـ أتذكرين ؟ ـ عندما كنـا صغارا ٠
فيها قطعـة طين حمراء صغيرة
لتذكرنى ببيتنا الأخير ،
وورقـة ورد جافـة من حديقة منزلنـا
وقليل من غبار الجدار الذى حفرناه ذات ليلة بأظافرنا
الى المنفى الطويـل الأخير ؛
وداعـا ، يـا أختى ٠
فقبلى لى العصافير فى باحتنا والأطفال الأبرياء
والأمهات الحزانى اللائى يطرزن بجوار المصباح
والشبان الذين يؤسسون مكانا لهم ـ فى عناد ودون تردد ـ
على حـدود الحيـاة والموت ٠

الآن ، أرد نفسى الى العـالم ٠
فالطبيعة الفاتنة ـ بمروحة شاسعة من جريد النخيل ـ
تنعش أعضـائى وتـذيب دموعى ٠
والمذاق المعـافى للصحـة الأبـدية
يغنى فى فمى ويلذع لثتى كفاكهة نيئـة ٠
أحـدق فى السـماء
وأرمى ـ بمحبة ـ فى الأرض حفنة من بذور ٠
أختى ، فيما وراءك وورائى ، فيما وراء نظرتنا الكابية ،
فيما وراء الخط الكابى للأرض ،
هنـاك عنـد جذر الأشـياء
أنصتى الى موجـة النبض العلويـة
ـ الخارجـة على السيطرة والتفسير ـ
التى خلقتنـا وتحكمنـا ٠
ماذا يمكن أن نقول ؟
أفتح البوابات ـ باندهاش مذعور ـ فى مواجهة الخالق

وأحـول الألم الى نشـوة
والصرخــة الى صــلاة ٠
الضفائر البهيجة للآفاق تجفف قدمى الداميتين
وأقفز ــ خفيفا ، سعيدا ــ الى ذروة الابتسام ٠
أيتها الشمس ، الشمس ،
أبى ، أيها الحامى لى ، تلقفنى الآن ٠
لا قيــد يربط أجنحتى بالأرض ٠
والضوء يشرق متوهجا ، أعلى من حبك ، يا أختى ،
أعلى من حبى ٠

الوجــه الســاكن للأبديــة
يهشم المرايا المشوهة للدموع
وما نزال نســمع بداخلنــا
عاصفة حقيقية من دمــوع ٠



مسيرة المحيط

ميناء ليلي
الأضواء غريقة في الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابط
تضيئها الأنوار العابرة لسفن بعيدة
ثم تغرق في ظلال الرحلة
أشرعة مائلة مزينة بمصابيح الحلم
كأجنحة مكسورة لملائكة آثمين
جنود بخوذات بين الليل ونيران الفحم
أيد جريحة كالاعتذار الذى جاء بعد الأوان .

سجناء مربوطون الى المرسى
سلسلة حول عنق الأفق
وسلاسل أخرى فى أقدام الأطفال
وفى أيدى الفجر التى تحمل باقة زهور

والصوارى مثابرة على عد النجوم
بمساعدة ذاكرة مطمئنة .
ـ باقة من نوارس فى الفجر الساكن

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة .

فهل سنظل - اذن -
نحمى جرح الشمس المفتوح
الذى يفيض ببذور الزهور
على نفس المسيرة
على نفس الهدف
فى شرايين الربيع المخصبة
عندما يستأنف السنونو دورانه
بحثا عن عدم عاشق
على القبة الزرقاء المنيعة ؟

أى جرح
لم يضمن لنا - حتى الآن -
أن نصل بجنة الرب الى الكمال ؟

كانت لدينا حديقة على حافة البحر .
وكانت السماء تنزلق اليها من خلال النوافذ
فيما الأم جالسة على المقعد الخفيض
تطرز حقول الربيع مع أبواب مفتوحة فى منازل بيضاء
مع أحلام بجذوع الأشجار على السطح القش
مرسومة على زرقة فاتحة ناصعة .

لم تأت بعد .
سأتطلع الى الغرب وأراك

ـ في شعرك بريق وردى
ـ في عمق البحر طيف ابتسامة .

أمي تمسك بيدى .
لكننى وراء كتفها الحانى
وراء شعرها الشاحب
الذى يلتمع بأريج الصبر والنبل
أتطلع ـ في وقار ـ الى البحر .

هناك في منحنى الجبال الأزرق
ينادينى أحد النوارس في أعماق المنساء

تهشمت المرآة التى رسمت حدود الفجر والحديقة .
وبالنايات الحزينة للزهور
دفنا السنونو الأول ، أول أمس
ثم جلس الأطفال وحيدين عند نافذة المساء
ليشهدوا الشمس المحتضرة .

وراء جدار الباحة الأبيض كان الطريق يصحو
وحالما تلاشى الضوء الذهبى في البعيد
صعد الظل الهائل للجبال
مع خطوة الموت الصامتة الى أيدينا البيضاء
الى قلوبنا
الى جبهاتنا المحنية .

أمي ، من الذى يدق
الجرس اللازوردي على الأفق ؟

غيمة فضية بجوار القمر .
صيادون عجائز
لم يعد لديهم قوارب ، لم يعد لديهم شباك
يجلسون على الصخرة ويدخنون غلايينهم
يتأملون أحزان الترحال والظل .
لكننا لا نعرف شيئا
عن الرماد فى مذاق الرحلة .
نعرف الرحلة ونصف دائرة الأفق
الأزرق الفاتح مثل الحاجب المخيف لاله البحر .

نقفز فى القوارب
نرخى الحبال
ونغنى البحر
محدقين فى الغيمة الفضية
بجوار قمر ربيعى .
أية مدينة مرصعة بالجواهر
تنام وراء الجبال ؟
أية أضواء ترتجف فى أغوار الليل
تنادى علينا ؟

هناك قبور صغيرة بيضاء
لنوارس بريئة
بعيدا فى جزر مهجورة مجهولة
لم تعرف سوى الضوء القادم من المحيط الليلى .
هناك وضعنا أزهارنا الأولى .
شهقتنا الأولى والفكرة الأولى .

سمعنا أغنية البحر
فلم نعد بقادرين على النوم .

أمـــى
لا تمســكى بيـــدى .

البحـــر البحـــر
فى عقولنا وأرواحنـــا وشراييننـــا البحـــر .

رأينـــا ســفنا تحمل بلدانـــا أسطوريـــة
هنـــا على الرمال الذهبيـــة
حيث يتمشى عابرو المســاء .
ألبســنا محبــات طفولتنـــا طحالب مبلولـــة .
قدمنـــا الى آلهة الشــاطىء حصى وأصــدافا لامعـــة .

ألوان الصــباح تــذوب فى الماء
ونيران الغروب على أكتــاف النوارس
الصوارى التى تشير الى اللانهايـــة
تفتـــح أبوابـــا عنـــد حلول الليـــل
مرفرفـــة فوق نومنـــا الحجرى
متـــألقة ، أبديـــة .
وأغنيـــة البحر
تأتى عبر النوافـــذ الصغيره
فترسم حدائـــق وأحلاما مضيئـــة
على الجوانب الرطبـــة والجبـــاه النائمـــة .

ايقـــاع مؤرق أليـــم .
على الصخور القاحلة فى الخارج نبصر الجمال
نحن الأطفـــال المشردين الحفـــاة
وفيما نمشى بأقدام عاريـــة فى البحر
نسمع صوتـــه الذى يرتجف بأصـــداء هادئـــة

مع الوميض الفوسفورى للنجوم
التى تزرع حكايات ذهبية فى الأعماق الخضراء ٠

قلب مهيب
قلب طفل بلا شبهة
لا تتبرأ منه أبدا ٠

مددنا أيدينا لنقطف زهورا من النجوم
لنقطف نجوما من دقات قلوبنا
التى ردت على نداء البحر لنا
بأن نعتصم بحبل الجمال
ونحن نسافر الى اللانهاية
على طريق قمر الصيف الهائل
المرسوم على البحر المباح ٠

عرايا ، تصارعنا على الرمال فى الظهيرة
بأجساد مبلولة لأطفال الثانية عشرة من العمر
من أجل العناق لا الصراع
من أجل الصراع لا الانتصار
الانتصار وحده ٠

شعر ملحى
أفخاذ أحرقتها الشمس
الموجة الملهوفة فى القبلة
البحر فيما وراء الفوران ٠

الظهيرة تنحدر صاخبة فى زوبعات من نار
تطوى بيوت الصيادين بلهيب أبيض
فتحرق القلوب التى لا تقاوم ٠

خارج النوافذ نسيم البحر الرهيف
الوجه المضيء للسكون
في ذاكرة الصيف البيضاء
مع بصيص طيفي ، داكن الزرقة
منحرف على وجنته الملساء .

نفس ذهبي لماء لانهائي
شباك تتشمس على الصخور
قوارب مملوءة بفاكهة وزهور
وهناك بيوتنا
بيوتنا مكتوبة على البحر .

ايماء من الشاطيء
من الصخور الحمراء
من زهور الزنبق الصغيرة
والبنات .

من ينادي علينا
من شرفة بيتنا ؟
بنينا بيتنا في البحر .
هناك لآليء في الأصداف
وغابات مرجان هائلة في الأعماق المعزولة .

صنعنا ناينا من العظام التي أخرجها مساء أمس
في باحتنا غناء العاصفة .

أنصتي إلى أغنيتنا ، يا أمي ،
أغنية الرحلة الجديدة .

أنت يـا من تنوحين على الموت
لا تعرفيننـا •

البحر لا ينـوح •
بـل يغنى •

متحررة من طقوس الأحـد
باحـة مطلية بالأبيض
فى مواجهة البحر برج الكنيسة الصامت
الذى دق « يوم كل الأرواح » للبحارة
والآن يقهقه فى ضـوء الشمس •

فى أفواهنـا غليون أبينـا
تحت قبعـة المدرسـة •
وعلى صدورنـا مطرز الصليب الجنوبى
والعـذراء العجـوز •

بدلة بحار قاتمة مزررة حتى العنـق
وعندمـا ترانـا الفتيـات
نتخذ المشية المائلة لقباطنة جابوا العـالم •
ويرتعش فى نظرات الفتيـات
صوت غابة صباحيـة شاسـعة
موسـيقى حقيقيـة واضحـة •

لكن فيما المنازل السـاكنة تحيينا فى حنـان
بنبـات المسك المتدلى على الجدار الأبيض
فسوف يدخلنـا من جديد ، ليقهرنـا من جديد
الضوء البـاهر من المحيط العظيم •

هـا أنت هناك أيها القبطان
تأكل خبزك الجاف على عجـــل
والزيتون الأسود المنقوع فى الملح والشمس
على قمة صخرة منحدرة ٠

انه وقت الاحتضـــار
ونحن نلتقط أنفاســـنا
يرتفـــع شراع الزفير الأزرق الفاتـــح
وطياتـــه المضيئة تتماوج
وهى تتلاشى خلف الصـــدور الساكنة للجبال النائية ٠

قلوبنـــا التى عرفت البحر
لا تعرف الحـــدود ٠

علم الصحة الراسخ مغروس فى الصخر
يحيى السماء ، يرفرف فوق الرجـــال
وظلال باردة كبرى من بحر الصبـــاح
مع جزر وأشرعـــة بيضـــاء
فى الازدهار الكامل لمنتصف مايـــو ٠

القمر الفضى يعكس
جموعـــا زاحفة فى عزلتها خلف الصخور
على وسائـــد الطفولة أصـــداف صقيلة
وفى المحيط الأزرق للنوم
أصوات السيرينات مع قياثرهن من عظام الأسماك ٠

آه ياربـــة الجزيرة النائيـــة
الرواسب الكلسية تتـــدلى فى كهفك البحرى

كأنها ترتل نوم السكون الشاحب
كأن صدرك الناصع يتنافس مع دائرة البحر الزرقاء
المضاءة بالنجوم
وهناك باقة ذهبية من نخل
حول النبع حيث يمرق الضوء فى وهن
وهو يعطر ظل الأشجار الضخمة ـ
فأنت تعرف أن الماكر سوف يرحل .

« لا يرتيس » مع كلبه
سوف ينتظر فوق الصخرة سدى .

حين خرج عاريا من البحر
ذهبيا من ماء الفجر
فارتسمت عظام عانته فى اطار الشمس
هربت « ناوسيكا » مع العذارى الفاتنات المرعوبات
خلف الأشجار
وأقدامهن الحافية ترفرف فى الهواء كسرب حمام
وضوء أبيض ينعكس على العشب الأخضر .

...فى الخارج على الشرفة بجوار البحر
مائدتنا المسائية المتقشفة .
غمس الربيع الخبز القمحى فى النبيذ .
ورسم القمر فى السر
على أباريق خزفية يونانية
مشاهد من طروادة .
كنت تعرفين أننا سنمضى ، يا أمى
وملحت عشاءنا بدمعة
وأنت محنية وحزينة تحت النجوم

والفتيات ــ اللائي كن خطيبــات أوديسيوس ــ
تنهدن على عتبــات نافذة الجزيرة

سفحنا الدم والغلال مع الأشرعة العالية والغيوم
فوق المياه الناصعــــة .
مع زوارق خشبية صغيرة في خلجان زرقــاء
تفوح ــ في رقــة ــ بالوداعــات
مع القبلات بجوار القوارب عند حاجز الأمواج القديم
وراء طاحونة الهواء الصيفية المهدومـــة
متأهبين للرحلة الكبرى الى المجهول .

وعندمــا عدنــا في المســاء
بأيد دامية وركبنــا مكسورة
حاملــين غنائــم التعب :
أيقونــات مائيــة تتنــكر للشــكل
أجراس مســاء ورديــة اللون
نــدم الفــوران
خــواء الصراع ــ
هنــاك تحت ظـل المقبرة عنـد البحر
أدركت عيون طفولتنــا الصمت
سمعنا مجيء الليـــل
سمعنا نــاى الجمــال
الذى يمنــح العزاء للجبين الحزين ،
ويبــرر المصــير .

من الذى يهشم روح الرب وفرحتنــا
من الذى يقسم الصمت الى آلاف الأسماء والنجوم
التى تضيء فى حركتها أيدينــا

وترســم دوائر من العزلـة على نفس البحر ،
التي تســتبقي نــار الخلق
دون أن تبــقى ؟

طيور البحر ترفرف عند كهوف الصخر الصامتــة
رسوم لملائكة مطرزة بنجوم عند الحافة المتآكلة للماء
بالقرب من الحصى المقــاوم
في الظــل الأخضر لحاجز الأمــواج
تحت العيون المدهوشة لأولاد حالمين .

جرح يــوم الفــراق
الذى يخط فى الدم آفاقــا وذكرى
يرســم تقيصـة الرب
الايماءة الحــلم الخلــق .

معرفــة صامتــة
فى عيون الأطفــال الواســعة
على الشــفاه الحازمـة للمراهقين
الذين لم يحصوا حطام السـفن
معرفة تمجد النجوم المنفرطــة من جرح الرب المفتوح
لتداوى جرح الانســان .

أغمضنــا عيوننــا
فى سريرنــا الموروث الأبيض .

المصــباح انطفــأ .
وفى اطار النافذة يومض البحر فى السر .

خلف الأسيجة والأشـجار
سمعنا صوتـه العـالى ينـادى علينـا
فيملأ نومنـا بمشـاهد لازورديـة
مزهرة بأشرعـة فى بيـاض الثلج
بحدائـق من نوارس مستغرقة فى التفكير بلا صوت
جاثمة على الحافة الصخريـة للمجهول
فوق الهوة المظلمة الآسرة .

من هنـاك أسمتنا صيحة الريب
غـدا سنسبح من جديـد
غـدا سنرتحل من جديـد
غـدا سيطالبنـا الفجر بالصبر .
وسوف نرد على البحر

كتبنـا السطر الأول على الرمـال
والصوارى الصابرة ترقبنـا فى غبوس
والموج يهمس حنينـا لا ينتهى .

أقمنا على الصخر كأننـا منحوتون فى سرب طائر
وحدقنـا فى أقمار تخط دوائـر
تسألنـا سر سـفن تحمـل أشباحا بيضـاء
سر الرحلة التى لا تنتهى
والمرسى الذى لا يحتمل الماء
لمسنـا جرحنـا ووقتنـا
وهربنـا .

الرحلة دائما لنـا
والهدير الدائـم للبحر .

وصلت السفن عند الفجر
محملة بالقمح والفحم والنبيذ
من أجل القباطنة الحالمين
من أجل وقود النيران .

طوحت بالخبز والنبيذ والفحم
وبقيت عاريا فى البحر
بلا رداء يغطى ضلوعك
أو حب يخبىء عينيك .

كانت الساعة ملونة كلؤلؤة سرية
للتأمل العميق للفجر
وصوتها البعيد مترع بالخطر والاغراء .

نظرت الى جسدك في الماء
فأحببت الماء ونسيت جسدك .

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيذ .

فات الآن أوان الرجوع .

لو كانت الموجة أكثر دفئا من الحب
والسفينة أكثر دفئا من الميناء
أنت ـ نفسك ـ تعرف
أن الطيران يغنى فى شعرك

وأنت تواجه الأفق بنفير البحر
صاخبا بارتحال أبدى ٠

رحلت السفن وتركتنا
بلا خبز أو نبيذ أو فحم
فى منتصف البحر ٠

بكينا طوال الليل
انحنينا على نعش أبيض لنورس ٠
مصباح أمى يشرق من بيتنا
غصن نحيل من ضوء
فى الكف الرهيفة للعذراء ٠

نوم ثقيل عند الفجر
فى حكاية الأصداف
والشموع ذابت
فى الكنيسة المجاورة للبحر ٠

وكانت السفينة تنتظر
بمقدمة منحوتة فى ضوء الفجر
كسيف للريح ٠

النوم فى هذا المساء بقلب ممرور
يشبه خبز صيادين فى العاصفة ٠

غدا سنقتلع الصلبان من المقبرة المجاورة للبحر
ونصنع قوارب الأطفال

وننحت فى شواهد القبور
تماثيل صغيرة للجمال والبحر
لنملأ البيت المهجور
لنغوى الحياة وأنفسنا
رغم رب النكران
دون رب الرحمة .

ضاعت الصوارى
غاص الدخان
وراء المنحنى الصامت للماء
مثل ركبة أم تنام
والرحلة الساهرة فى صدورنا
ساهرة كالريح والبحر فى المساء الشتائى .

تلال ناعمة تسافر فى الضباب
والشمس المريضة ناعسة
على صخور المساء البليلة .

الكراكى فى الأعالى
مثلث للندم .

قداس صغير للعزلة فى مطر المساء
حامل أيقونات « سان - نيقولا » على الشاطىء
حيث يتوقف الخريف
ليلقى بعملة من الأسى المرير وورقة شجر صفراء
فيما هدير العاصفة يتلاشى على الرمال المظلمة
تحت ضوء النجوم الباكى فى سبتمبر صامت .

فلتلملم مرمرا أزرق من أيام اللعب والبكاء الطفولية
فقد تنحت تمثال المحيط
ملطخا يديك بالدم فى أصيل غائم
حينما يرسم الانعكاس الشاحب للبحر
دائرة من نسم مضىء
عاليا فى الهواء الخاوى .

فى البيت الأخضر الصغير على الشاطىء
فاجأنا الشتاء وحيدا .

الشرفات هجرت
وعلى الشاطىء الشاحب
يخطو الضباب بلا صوت .

أوراق صفراء فانية
موت صامت للبرقات
طحالب تسد الأبواب والطرقات
ذاكرة مشجرة بأشجار السرو .

عند منحنى الطريق ظل الصمت .

من النافذة رأينا آخر زوار الصيف يرحلون
والزورق الصغير سلاله فارغة .

السفن تنام فى الميناء
وأعلام الريح الرمادية
ترفرف على الصوارى العارية .

عما قليـــل ســيأتى المطر المحزن
ليزيـل الأسماء الغنائيـــة
ورسوم الطفولـــة
ووميض البحر
من قوارب الصيف ٠

فى ومضـــة ضـــوء
ستقرأ المصير فى كفوفنـــا المفتوحـــة
ولن تملك كلمة واحـــدة تطعم بها العزلة
أو كسرتين من خبز لنطعم العصافير القليـــلة
التى تموت على الطريـــق المعزول ٠

الأشجار على جانب الرصيف محنية ومهجورة
ـ قشرة خشبية للصيف
فى الغسق المنهوب ٠

أين ذهب أوركسترا الفتيات الصغيرات فى الحديقة البحرية
هناك حيث سكر البحارة فى المساء وسط الأشـجار
وتقافزوا ـ راقصين فى الهواء
لأن عملة القمر الذهبية انعكست
فى شعر الفتـــاة خلف نباتات الريحان ٠

فى الليـــالى
يتمشى الانعكاس الأخضر الهائـــل للبحر
وحيدا ، مهجورا ، على الصخور المنحدرة ٠

صـــامتين نمر خلال غرف مظلمة
أمام مرايـــا معتمة لم تعد تعرفنـــا ٠

ونسمع خطى الصمت
والريـــح والبحر
على حواسنـا الناعســـة .

شيء ما من أمان الفراغ ــ
بـاب موصـــد فى المسـاء
أو موكب من أشـجار السرو
مرسوم في الضباب الفضى لضوء النجوم الخريفى .

وعندما يهطل البـدر المعزول بالصبر والسلوى
نفتـح النافـــذة ونبتهـــل .

نحمدك يـا رب
على أن تركتنا وحيدين هكذا محزونين هكذا
كى نستطيع التحديق بلا رهبة فى السماء
ونكون أنقياء وبلا حدود مثـل اللانهايـــة
منسيين ومجهولين مثـل المجهول .

ليـل . أقف فى البـاب المظلم
الجبـل المخفى يمتد بعيدا
يتلو اسم الرب فى العاصفة الثلجية للنجوم
فى الظل الشفيف حيث ينام الرجال ويموتون
فى العزلة التى تعيد صوتى ألف صوت .

أين ذهبوا جميعـــا
ليتركونى أحـدق فى كفى الخاويتين
لأصـادق الصمت والمطر ؟

حزين حتى الموت .
أرى السماء الخاوية
وأحتفى بغيمة كبيرة
وأنا مثل حمل حزين ، مهجور ووحيد
فى منتصف واد مظلم

آه ، يارب ، لماذا رحلوا عنى جميعا ؟

تحت ثيابى الممزقة
أمتلك قلب الطيور والأزهار الحانى . .
(كم من ليلة بكيت فيها سرا
على جرح فراشة) .

فليذهب كله . فليذهب كل شىء .
فسوف أبقى مرة أخرى فى مواجهة السماء الفسيحة
فى مواجهة البحر الشاسع
لأغنى بلا مرارة أو شكوى
فليذهب كل شىء .
فحينما أبقى وحيدا أقترب أكثر من الناس
فأقترب أكثر من الرب .

أسمع صوتى
مهجورا فى الريح
وأدفىء أيامى .
جوقة طفولة تتبع المساء
وهى تعرى الصمت

وهي تحيي الربيـــع ·
لكنني ، يا أمي ، ما أزال بردانـــا ·

حـــل المســـاء ·
جداجد الخريف الأخير تتمازج في الظلام عند الأسيجة
بأصوات صغيرة واثقـــة ·
فلتفتش قلبـــك
عن الشمس التي رحلت ·

واذ يمتـــد الشفق الى أرواحنـــا
سيقطر أريج وردة قطرة ندى على الرموش ، ..
والضوء الأخير للمسـاء
على يدين عاريتين معقودتين
على وجـه تحول الى رخـــام
بفعـل القوس الفضي للبحر ·

أخذوا منـــا أغنيـــة البحر
قيـدوا أقـــدام بحرنـــا ·

أطفـال مدهوشون وصـامتون بأهداب ملحية
بعيون زرقـــاء واسعـــة
نمر — خائفين — عبر مدن كبيرة
تحت مستشفيات تفوح بالنوم والعرق
تحت بيوت بمصابيـح حمراء
تحت أبنيـة كبيرة
نبتعث ليـــل الدم والغنيمـــة ·

أمي يــا أمي
تتكرنـا لحكمة دموعك الحانيــة
فأين يدك الغفورة باحتمالها الصبور
أين يــــدك
فلعلنــا نسـمع الفجر والبحر
وتدفيء عزلتنـــا ؟

أمي
السماء ماتت فى دموع البرىء ٠

نحن الذين سرنـا فى الليـــالى
فى غابـــات ناصعـــة كاللآلى
نحن الذين نحتنــا فى الصخر
الشـــكل الصـافى للحلـم
لا نعرف كيف نسير على طرقـــات
تتلطخ كل يوم بـدم المسيح العـــادل

خلف الجدران يتمددون فى انتظارنـا
ومن الأركان ، تنطلق ـ مرتاعـــة ـ
أسراب من حمام خشبى ٠

أبواب تتثاءب فى الليـــل ٠
ومضــــة سـيف ٠
قمر مقطوع الرأس ٠

بعظام آدميـــة يصنعون سـلالم
ليصعــــدوا ٠

سـيدى المسيـح ، سـيدى
ونحن هنـا ، فى منتصف الطرقـات الكبيرة
مرتبكون ومحزونون
بحقائب خـاوية فى أيدينـا
بقفص عندليب على ظهرنـا
بذكرى البحر الشاسـع على جبيننـا
بأيـد بريئة مندهشـة ، لا تستجدى .

لم يبـق لنـا شىء ، يـا أمى :
أين سـنأوى ؟
أين سـننام ؟

هناك حيث الأيدى والبيوت خاويـه
يحتل البحر مكانه الرئيسى فى غرف الليـل السودا .
ثيـاب من ظـلام
أقنعـة من جبس
ابتسـامة حب معسـولة
صور لأطفـال يكبرون
لم تعـد تعلـق على الجدران .

هنـاك ، منفردا يتماوج
شامخـا بـاردا ـ بـلا كلل ـ وحرا
المحيط الوامض .

طفـل بنى البشرة بعينين زرقاوين
وشعر كثيف مشـطه البحر
طفل لم تتشكك خطوتـه المبتهجة بالأرض أبـدا
طفـل أبى رفض طقوس الأحـد

لقد صنعت مراكب وطائرات ورق من كتب التدريبات
هل تذكر القبطان العجوز
الذى نسى الميناء وهو يحدق فى النجوم
مغنيا للبحر كى يستعيد شبابه ؟

هكذا ، فى الساعة المقررة
رحلت عنا بسمة الليل الأخيرة
وما كان لدينا سفينة أخرى نبحر بها
وأرصفة الميناء بلا أضواء أو مسافرين
قابلنا ظلنا آه يا طفل البحر
قابلناك وقمر ربيعى فى يديك
تتمشى وحيدا على الشاطىء وسط الصخور
حيث الفقمات والسراطين تحلم فى سكينة ٠

شبعت العيون من صور الماء
لكنها تهفو ــ ما تزال ــ الى الماء
النجوم تتنزه فى ذكريات النوارس النائمة
انقضاض مفاجىء للدلافين المذعورة من كائنات البحر
وعلى مرايا الماء المكسورة
طيران المجرة الدائرى ٠

صمت مرعوب يرحل من جديد
الى الشاطىء النائم البعيد
ــ الابنة الجميلة للقباطنة الغرقى
تعيش فى أنقاض حاجز الأمواج
وكل ليلة حين يكتمل القمر
يطاردها البحارة السكارى ٠

رب السماء والأرض والبحر
الى متى سنظل نرقب وننتظر
الى متى سنـــظل عطاشى
الى متى ســـنظل لا نموت ؟

أن نصــل الى حيث توقف الضــوء
مهشما الى جراح وورود
ذلك ما سيوقف دوران السنونو المتعب
لابد أنك قد كدحت حتى السلمة الأخيرة من الغسق
وتقطعت أنفاسك حتى الموت ·
فى أمســيات مكسورة
حين بكت المصابيــح فى البيوت
حين صلى الأطفال عند سرير العذراء المريضة
فى الثلوج حيث كان قمر كبير وحيد يموت
فى الريــح التى صلبت ريش الطيور العاشق
للمنـــا الدفء والضــوء
لنجعل من الزهــر ترنيمــة للربيـــع ·

لكن الانتصار لم يجىء ، لم ينتـــه ·

ونحن منعزلــون
الى حــد أن الموت لم يقــع فى غرامنــا
وظلنــا يتمشى على الشــاطىء الأبيض
مثــل طائر مســالم للمحيط
مترع بالبهاء والســكينة
منهك من الليـــل والعشــق ·

لكن الساعــة التى تسبق الفجر لم تجىء ·
فمن الآن ســيأتى لنـــا

برجوع السفن المنفية
المحملة بالصباحات والحمام
بابتسامات الطفولة ودموعها ؟
من سيعيد لنا الصحبة العظيمة للنجوم
التى انهارت في عيوننا المشرقة ؟

رب ، يا رب
أعد لى من جديد عباءة المصلى الألهية
هات لى القلب الذى يجهل المطر
والازدهار مع السنونو
امنحنى ارتحالات وعودات
لعلى أستطيع البكاء من أجل جرح فراشة
لعلى أستطيع الخطيئة
والندم
عندما يدوى جرس جزيرتنا فوق البحر
ببراءة يوم الأحد الطاهرة
ببراءتنا الضائعة
وصحتنا المفقودة .

فى العيون الرهيفة للطيور
سوف يبقى طيف السهول بخشخاشها القرمزى
والفيض الذهبى للشعير .

وفى نوافذ صغيرة على الشاطىء
سيزهر الحب والجيرانيوم من جديد
وسيأتى مسيح طفل ليأخذ بيدنا

ونلعب حتى المساء تحت الزنابق
مع اللقالق ونسيم البحر والشمس ·

وعندما يحل الليل سنقفز الى زوارق بيضاء
وبشباك صيادين توارتيين محزونين
سوف نصيد القمر المائى
ونستلقى معه فى هدوء
فنبهج نومنا بملائكة صامتين
لم يتعلموا بعد الضحك والبكاء
بل الابتسام ـ وحده ـ فى حلم خلق لم يولد ·

جزر ذات أشجار صامتة فى مساء الصلوات
حمامات السلام هناك ساكتة
ونحن صامتون أثناء جمع ورود النهار
فيما يسقط ظل المساء على الصفحة البيضاء
حيث نقتفى أثر الحياة بجوار الشاطىء ·

لن نقرأ ما كتبناه
سنرفع عيوننا فى انتظار المجرة الساقطة
خلف شجرة لوز من غيم أبيض
يتمشى فوق البحر ·

يأتى ـ من جديد ـ الموسم
الذى لا يعرف الزمن ولا الندم ·
صوت صاف لماء ساكن
ضوء خطى الصيادين على الرمال
الأطفال نائمون فى القوارب
والملائكة يستحمون فى أحلامهم ·

رائحة عشب ونكهة نجوم
سلاسل الجبال تذوب بعيدا فى السماء المتلألئة ·

أيدينا المتعبة تنضح ندى عذبا
وشعرنا معطر بظل حزن الأمس ·

العالم بلا حدود ، يا أمى

القيثار العظيم للشفق
رحل فى الغابة الكثيفة الظلال
غيمة وردية تشتعل فى حريق الغروب ·

يقبض الرب هذا اللون
لعلنا نعرف عقلنا
ذلك الذى انهزم لكنه لا يعرف الخضوع ·

سنحتاج الى ذلك التعاطف البعيد
الذى يقاسى من أجل ما فسد
محافظا على الحلم بالاستقامة ·

يمر المساء على الشاطىء المهجور
وجرة الرماد على كتفه العارى ·

على وجهها المتأمل أشرقت بسمة
تغذى ضالتنا المنشودة ، تغذى سهرنا
وهى توجه الوحى المجيد لمصيرنا ·

فى هذا المساء يستنشق الكون
أريج بذرة الرب اليقظان ·

نروى الجذور من النبع الأبدى
الذى يتفجر من أعماق الليل
ويملأ جماجم الموتى بالورود ٠

أضىء الأنوار على الأرصفة البعيدة
وطرز البحر النائم بالنجوم
ولترفع الأيدى السليبة ٠

صمتها يتخذ صوتا ٠
حيواتها دائما كل ما مضى ٠
هنا لا طيران ولا فناء ٠

أغنية المساء فوق البحار
مصحوبة بغياب الأشياء
التى تزهر فى الدائرة الأبدية
للصمت والحب ٠

البحر يحدق فى وجهه
فى البحر ٠

فلتأخذ المثل المقهورة
خذ المعرفة التى غضنت حواسنا الشابة ٠

خذ الهدوء العقيم
الذى يبقى متعبا على الصخر
فيبنى معبده ومقبرته
بأخشاب سفننا القديمة

ولتدع لنا غبطة الليل وحدها
عندما تنتظر الأمهات على الباب المزهر
أطفالهن الغريبين الخارجين على الترويض

الذين أضاعوا وجبتهم المسائية
الذين يسبحون عرايا طوال اليوم
الذين يبحثون عن أعشاش النوارس
وينطقون طوال الليل بكلمات لا نعرفها
عن السفن والغيوم والملائكة
عن ملائكة مجانين يعيشون فى سلاسل مرجان قرمزى
عن ملائكة جميلات مخطوبات للبحر
والرب المنكر لذاته يعزف على أبواق مسعورة
مصنوعة من عظام شعراء محطومين .

دع لنا غبطة الليل وحدها
حينما يصيد الأطفال من أجل النجوم
فى زوارق بيضاء كالثلج
حينما يواجه المراهقون العرايا الجميلون
الجمال فى العيون بلا شكوك أو خوف .

أعد لنا قوارب الورق
لعلنا نرسو فى الميناء المعهود لبيتنا الأول .

وسوف نركع - برهة - على الرمال
وسوف نصلى أمام ظلنا الذى لا يركع
فيما عذراء البحر الحزينة
ستفتح - فى هدوء - باب الكنيسة
وتأتى لتقبل شعرنا المبلول بندى النجوم العذب
بندى الصمت والليل .

لكننا سنرفض من جديد
قبلة الحب التى تسترضى وتأسر .

مجهولين فى المجهول
فاتنين لا نعرف الخضوع
سوف نرتحل - أبدا - فى غابات القمر الفضية
فى الجزر الوحيدة للنجوم
دون أن نعرف ربا
دون أن نعثر على رب
مثل نبض الألوهية الذى - فى خلقه - يدمر ذاته .

ميناء ليلى
أضواء غريقة فى الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابط تضاء بالتعاقب
من الأضواء العابرة لسفن بعيدة
ثم تغوص فى ظلال الرحلة الأبدية
أشرعة مزينة بمصابيح الحلم
مائلة مثل أجنحة مكسورة للملائكة آثمين
جنود بخوذات بين الليل ونيران الفحم
أيد جريحة كالاعتذار الذى جاء بعد الأوان .

نار كبيرة على القمة
تحرق قلب الظلال .

سجناء مربوطون الى المراسى
فى الوهج الأحمر
سلسلة محكمة حول عنق الأفق
وحول أيدى الفجر التى تجمل زهرة الربيع .

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة .

أخوتى وأخواتى
كيف يمكن أن أبقى بعيدا عنكم ؟

البحر ، البحر
الكتب لا تجيب عن السؤال
والسؤال لا يداوى الجرح .
من جرحنا يبدأ البحر .

أحلام الرحلة
عند منحنى الدموع الأخير

من يطرد الشمس عن شعر الأطفال
عن قلبنا العظيم ؟

ارفعوا الأشرعة
ارفعوا المرساة .
هيا والموانىء القديمة تنزلق بعيدا
هيا والفجر يشرق بكل دموع أسلافنا .

سلسلة لا تليق بكاحل البحر
سلسلة لا تليق بقلب بحرنا .

وداعـــا للحب والبـــلاد ٠
طيور البحر فى الضـــوء والملوحـــة
نحلم بالارتحالات فى شراع كامــل
آذاننـا ليست صماء عن أصـوات السيرينـات
وعيونتـــا يقظانـــة ٠
ما من دخـان ولا ايشـاكا ٠
ما من أفـق آخر وراء الآفـــاق ٠

أغنيـــة البحر الأبديـــة تجيب على الفراغ
وتملأ خـواءه بقلب وشمس ٠

آه ، ليـــال عاصفـــة
ريـاح قويـة مندفعـــة فى عنف
زبـد على زجـاج النافـــذة
مصابيـح داخنـة فى بيوت الصيادين
مخاوف الفتيـات الحزانى
رتـق الجوارب للمنفى
منـارة سهرانة مع عيون الأمهات
والبحر لا يرحـم ولا نهائى كعقـل الرب.
يمتلك الرقـة ولم يروض مثـل قلوب الشـعراء ٠

أشباح القباطنـة الغرقى
غلايينهم ما تزال فى أفواههم
يطفون على ومضـات البرق
سـفن غريقـة راجعة الى موانىء الليـــل
والطاقـــم الضائـع واقف خارج الأبواب الموصـدة
ينتظرون
يبحثون ـ صـامتين ـ عن حيواتهم

يحملون صورا استوائيـــة
سهولا لازوردية وزنـابق هائـلة
ونسـاء عرايـــا من أبنوس ٠
يولولن بـنـلا بصر

لكننا ، نحن الذين تكلمنا ساعات مع البحر
نحن الذين نحمل فى شفاهنا دائما
مذاق الرحلة العذب القوى الجديـد
نتقبـل هبات الموت الأبـــدية ٠

وعندمـــا تلعن الأمهات البحر
ويتمشى القباطنـــة العجائز قلقين فى غرف موصــدة

نفتـــح نحن الأبـــواب
نركض الى الصخور العاليـــة ٠
وتطلق صيحتنـــا فى الليــل
تاركين العاصـفة وراءنـــا
ناسين الخبز والمدفـــأة
لتبرد جبيننـــا المحموم
بغضبيـــة البحر الواســـع ٠

أيها البحر ، البحر
مثلما نحن معك ، فلتكن معنـــا
لن نستسـلم لليـــل
وللنـــوم ٠

لـــن نتبـاهى بالصراخ :
لقـد كسبنـا النصر الى الأبـــد ٠

فـرح العاصـــفة
الســـكينة
الرحيـــل
فرح الارتحـال الأبـدى
فلتنطفىء الأضـــواء على الشـــاطىء
لعلنـــا ندخـل قلب المحيط
ترنيمة أمواج الليـــل التى لا تتفـــد
بينما الرب من عليـــاء عزلتـــه الشاسعة
يقـذف اجتراءنا بالصخور مع الأحـلام المشرقـة ٠

أيها الألم اللانهائى أيها الفرح باتسـاع العالم
نـار كونيـــة
تلك التى تحرق شـعر الليـــل الأسود
تضىء الفجر عاليـــا فوق أشرعـــة بيضـاء
فوق صـوار عاليـــة
حيث يصعد الشـعراء ليمجدوا الوجـه الجديد للرب
المنعكس ـ وهو يبتسم ـ في الماء
فى اطار من نورسين منتشيين ٠

أيتها الشمس ، الشمس
التى تصـبغ البحر بالدمـاء
عاريـــا أقـــدم نفسى للهيبك
لتضىء عيـون النـــاس ٠

أمهاتى ، أخـواتى
أنصتوا الى صوتكم ، صـوتى
أنصتوا الى أغنيـــة الشمس والبحر ٠

★★★

روميوسيني

(١)

هذه الأشجار لم تخلق لسماء أقل ،
هذه الأحجار لم تخلق لخطى الغرباء ،
هذه الوجوه لم تخلق الا من أجل الشمس ،
هذه القلوب لم تخلق الا من أجل العدالة ٠

مكان قاس كالصمت ،
يضم الى صدره أحجاره الحارقة ،
يعانق في الضوء أشجار الزيتون والكروم اليتيمة ،
وينشب فيها أسنانه ٠
لا ماء ـ ضوء وحده ٠
تلاشى الطريق في الضوء
وظل الحائط من حديد ٠
الأشجار والأنهار والأصوات تحولت الى رخام في كلس
الشمس ٠
الجذور تطفر على الرخام ٠
وحقل العدس يغطيه الغبار ٠
بغال وأحجار ٠ يلهثون ٠ لا ماء ٠
الكل ظامىء ٠ منذ أعوام ٠
الكل يمضغ كسرة سماء ليكبحوا مرارتهم ٠

عيونهم محتقنــة بالدم من السهر
وبين حواجبهم خط عميق محفــور
كشجرة سرو بين جبلين عنــد الغروب .

أياديهم ملتحمــة ببنــادقهم
وبنـــادقهم امتـــداد لأذرعتهم
وأذرعتــهم امتـــداد لأرواحــهم ـ
على شــفاههم يرقــد الغضب
والألم ـ في أعماق أعماق عيونهم ـ يشبه نجمة في حفرة ملح،

عندما يشدون قبضتهم ، تصبح الشمس واثقة من العالم
عندما يبتسمون ، يطير سنونو صغير من لحاهم الوحشية
عندما ينامون تتساقط اثنتا عشرة نجمة من جيوبهم الخاوية
وعندما يقتلون ، تندفع الحياة الى أعلا بالطبول والرايات .

لسنوات طويلة جاع الجميع ، عطش الجميع ، قتل الجميع
حوصروا بالأرض والبحر ،
أهلك القيظ الحارق حقولهم ، والملوحة غمرت بيوتهم
خلعت الريح أبوابهم وأشجار الزنبق القليلة في الميدان
يجيء الموت ويمضي خلال ثقوب معاطفهم
وألسنتهم لاذعــة مثــل مخروط السرو
نفقت كلابهم والتحفت بظلالها
والمطر يــدق على العظام .

متسمرين في مواقع الحراسة ، يدخنون روث البقر والليــل
ويراقبون البحر الثلجي
حيث غاص صاري القمر المكسور .

نفـد الخبز ، نفـدت الذخيرة
والآن يحشون مدافعهم بقلوبهم :

طوال سنوات حوصروا بالأرض والبحر
جاع الجميع ، قتل الجميع ، وما مات أحد ــ
في مواقع الحراسة تتوهـج عيونهم رايـة شاسعة ،
حريقا هائلا يشتعل بالاحمرار ٠

وفى كل فجر تنطلق ألف حمامة من أياديهم
نحو البوابـات الأربـع للمـدى ٠

(٢)

وكل مرة يهبط الليل فيها بالزعتر المحروق على صدر الحجر
تسقط قطرة ماء ، تحفر منذ عصور فى جوهر الصمت
والجرس المدلى من شجرة الدلب العتيقة ينوح على السنين ٠
تنام الشرارات فى رماد الخراب
والأسطح تتأمل الزغب الملون على الشفة العليا لشهر يوليو ــ
زغب أصفر كشعيرات كوز الذرة التى دخنها حزن الغروب ٠

السيدة العذراء مرمية وسط الآس بثوبها الفضفاض المبقـع
بالعنب ٠
وفى الطريق طفـل يبكى والسهل يرد عليـه بشاة فقـدت
صغارهـا ٠

ظل على النبع ٠ والماء فى البرميل بارد ثلجى ٠
ابنة البيطار بقدمين مبلولتين ٠
خبز وزيتون على المائـدة ،
ومنارة المساء تتوهـج فى تعريشة الكروم

وعاليا هناك ، تبث المجرة ــ وهى تدور على سفودها ــ
نكهة الدهن والثوم والفلفـــل الحــار ٠

آه ، كم من حرير بلمعان النجوم سنحتاج اليـــه
لنطرز بابر الصنوبر « هذا ، أيضا ، سوف ينقضى » على جدار
الصيف المحروق
ما أطول ما ستغتصر الأم قلبها على مذبحة أبنــائها الســبعة
الشجعان
قبل أن يجد منفذا الى طريق روحها الشاهق ؟

هذه العظمة التى تبزغ من الأرض
تقيس الأرض باردة باردة وأوتار العود
والعود والكمان من المساء الى شروق الصباح
يرويان حزنهما الى النعناع وأشجار الصنوبر
والحبال ترتعش على السفن كالأوتــار
والملاح يشرب البحر المرير من كأس أوديسيوس ٠

آه ، فمن الذى سيسد المدخـل اذن ، وأى ســيف ســيقطع
الشجاعة
أى مفتاح سيوصد القلب ، ونوافذه مفتوحة على اتساعها
كأنها تشاهد حدائق الله المبذورة بالنجوم ؟

رائعة هذه الساعة ، كليالى السبت فى مايو، فى حانة البحارة
رائعة هذه الليلة ، كالمقلاة على حائط السمكرى
رائعة هذه الأغنية ، مثل الخبز فى عشاء صياد الاسفنج ٠
وهناك ، يندفع القمر الكريتى على الحصى وسط التلال
دقة دقة ، بعشرين صفا من قطع الحديد فى نعل الحذاء

وهنــاك يكونون ، هؤلاء الذين يصـعدون ويهبطون ســلالم
« نافبليون »

وهم يحشون غلايينهم بأوراق الظلام الخشنة ،
شواربهم زعتر من روميلى مبذور بالنجوم
وأسنانهم مثـل جـذور الصنوبر فى الصخر وملـح البحر
الايجى ٠

فى الأغلال ذهبوا وفى النار ، تحدثوا مع الأحجار
واستضافوا الموت الى « الراكى » فى جمجمة أجدادهم ،
فى نفس باحة الدراس ، قابلوا « ديجينيس » على العشاء
ليقطعوا حزنهم اثنين ، تماما كما يكسرون على ركبهم أرغفتهم
الجـاف ٠

تعالى ، ياسيدة الأهداب الملحية ، والأيدى الملطخة بالدخان
من رعاية الفقراء ، ومن السنوات الطويلة ــ
فالحب ينتظرك وسط الأســـل
وفى كهفه تعلق النوارس أيقونتك المسودة
وقنفذ البحر المرير يقبل أظافر قدميـك ٠

وسط الأعناب السوداء للكرمة يفور العصير أحمر زاهيا
يفور التوت فى العشب الشوكى المحترق
فى الأرض ، يطلب جذر الشجرة الميتة الماء ليثمر شجرة تنوب
وأم تحتفظ بسكين عميقا تحت تجاعيدهـا ٠
تعالى ، أيتها السيدة التى ترقد على البيض الذهبى للرعد ،
ففى يوم بزرقة البحر ، ستزيحين وشاحك وترفعين الســلاح
من جديـــد
من أجل أن يضرب برد مايو جبينــك
من أجل أن توزعيها حبة حبة على أيتامك الاثنى عشر
من أجل أن يتوهج البحر في كل مكان كحد السيف وثلـج
أبريـــل

من أجل أن يظهر السرطان على الحصى ليشمس نفسه ويعقد مخالبـــه ٠

(٣)

عاليا هنا، لا تستنزف الشمس زيت عيوننا ولو لبرهة واحدة
عاليا هنا ، تحمل الشمس عنا نصف ثقل الصخرة
التي كنا نرفعها دائما على ظهورنا ٠
قرميد السقف ينكسر بلا نفس تحت ركبة القمر
والناس يسيرون أمام ظلالهم كالدلافين أمام قارب «سكياثوس»
وظلهم يصبح ـ بعدئذ ـ نسرا يصبغ جناحيه في الغروب
لينجثم ـ بعدئذ ـ على طرفيه ويتأمل النجوم
حينما تستلقى على الحجرة الشمسية وسط الأعناب السوداء٠

عاليا هنا لكل باب اسم محفور عليـــه ،
اسم عمره حوالى ثلاثة آلاف عـــام
كل صخرة مرسوم عليها قديس بعينين وحشـيتين وشـعر يشبه الحبـــال
كل رجل له حورية موشومة على ذراعه الأيسر ، غرزة غرزة
كل فتاة لها قبضة من ضوء ملحى تحت جونلتها
وللأطفال خمسة أو ستة صلبان صغيرة موجعة على قلوبهم
كآثـــار النوارس على رمل الأصيـــل ٠

لا ضرورة لأن تتذكروا ٠ فنحن نعرف ٠
كل الآثـــار تفضى الى طوابق الدراس العليـــا ٠
والهواء ـ عاليا هناك ـ قارص ٠

عندما يبلى الرسم الجصى المينوى للغروب فى البعيد
وتذوي النار في مخازن التبن على الشاطىء

تتسلق النسوة العجائز هذا البعيد على درجات منحوتة فى الصخر
يجلسن على الصخرة العظيمة ويغزلن البحر كخيط بعيونهن
يجلسن ويحصين النجوم كأنهن يحصين ميراثهن من الفضيات
ويهبطن آخر النهار ليطعمن أحفادهن بارود « ميسولونجى »٠

نعم ، حقا ، فالمكبل له مثل هذى الأيدى الحزينة فى الأغلال
لكن حاجبه يضطرب فوق عينه المريرة كصخرة توشك دائما على الانفلات ٠
ترتفع الموجة من الأعماق فلا تبالى بالتوسلات
ومن الأعالى ، يهب الهواء منحدرا بالراتينج فى شريانه والمريمية فى رئته ٠

آه ، سيهب ذات مرة ليجرف أشجار البرتقال من الذاكرة
آه ، سيهب مرتين كى تطلق صخرة الحديد شرارة مثل كبسولة التفجير
آه ، سيهب ثلاث مرات ليدفع بغابات التنوب فى « لياكورا » الى الجنون
ويوجه ضربة بقبضته فيطيح بالطغيان
ويهز دب الليل من حلقة أنفه فيرقص لنا « التساميكو » فى المتاريس
ويعزف القمر لنا على الدف الى أن تمتلىء شرفات الجزر
بحشود الأطفال الناعسين وأمهات « سوليوت » ٠

يجىء كل صباح رسول من الوهد العظيم ،
على وجهه تشرق الشمس الجميلة
يتقدم تحت سلاحه ـ فى تصميم ـ الى « روميوسينى »
كما يتقدم العامل الى ذروته فى كنيسة ٠
آن الأوان ، يقول ٠ فلتستعدوا ٠
فكل ساعة لنا ٠

(٤)

بكبرياء الجائع زحفوا - أماما - الى الفجر ،
ونجمة تكشفت فى عيونهم الســاكنة
وعلى أكتافهم حملوا الصيف الجريـــح .

مر الجيش من هنا ، والرايات ملتصقة بالأجساد
والعناد مغروس فى أسنانهم مثل كمثرى برية نيئـة
برمل القمر فى أحذيتهم العسكرية
وغبار فحم الليل ملتصق بآذانهم وأنوفهم .
شجرة شجرة ، صخرة صخرة ، مروا خلال العالم
مروا - حاملين الشوك وسائد - خلال النوم
وبين أيديهم الظامئة جاءوا بالحياة مثل نهر .

مع كل خطوة كانوا يكسبون فرسخا من سماء - كى يتخلوا عنـــه .
فى مواقـع الحراسة كانوا يتحولون الى سكون الحجر مثـــل أشجار محترقـة
وعندما رقصوا فى الميدان
ارتجت أسطح البيوت وقعقعت الأوانى الزجاجية فى الرفوف.

آه ، أية أغنية هزت ذرى الجبال -
وضعوا بين ركبهم طبق القمر وأكلوا
سحقوا آهـة فى أعماق قلوبهم
كما يسحقون قملة بين ظفريهم السميكين .

فمن سيجىء لكم الآن برغيف خبز دافىء فى الليل كى تطعموا أحلامكم ؟
من سيحرس زيز الحصاد - فى ظل شجرة زيتون -
لئلا يهوى الى الصمت

وقت أن يدهن طلاء الظهيرة جدار الأفـق المحيط
فيطمس أسماءهم الرجولية العظيمـــة ؟

هذه الأرض التى كانت تفوح بالأريج فى الفجر .
هذه الأرض التى كانت لنـــا ولهم ــ دمهم ــ أى عبير كانت تمنحـــه ! ــ
كيف أوصدت الآن دوننا أبواب كرومنا
كيف ذوى الضوء على السطوح والأشجار
من يحتمل أن يقول أن النصف يرقد ــ الآن ــ تحت التراب،
والنصف الآخر فى الأغـــلال ؟

بكل هذه الأوراق تقول الشمس لكم « صباح الخير »
بكل هذه الرايات تشرق السماء ،
غير أن هؤلاء الرجال فى الأغلال وأولئك تحت التراب .

فلتصمتوا ــ ففى أية لحظة سوف تدق الأجراس .
هذه الأرض لهم ولنـــا .
وتحت التراب ، يمسكون بحبل الجرس
بأياديهم المعقودة ، فى انتظار الساعة ،
لا ينامون ، أبدا لا يموتون فى انتظار دق جرس النشور .
هذه الأرض أرضهم وأرضنـــا ــ
ما من أحد يستطيع أن يأخذها منـــا .

(٥)

فى الأصيل جلسوا تحت أشجار الزيتون
ينخلون الضوء الرمادى بأصابعهم القاسـية

فكوا أحزمة الخرطوش وحسبوا كم من العناء يمكن أن يتسع له
ممـر الليـــل
كم من المرارة فى عقـد الخبازى البريـة
كم من الشجاعة فى عيون الولد الحافى الذى كان يحمل الراية
عاليـــا ٠

فى السهل ، مكث السنونو الأخير طويـلا ،
كان يتأرجح فى الهواء مثل شريط أسود على كم الخريف ٠
لم يبق شيء آخر ٠ البيوت الخربة ـ وحدها ـ تحترق ٠
وأولئك الراقدون تحت الأحجار رحلوا عنا منذ زمان ،
قمصانهم ممزقة وقسمهم مكتوب على الباب المتهاوى ٠
ما بكى أحد ٠ لم يكن لدينـا وقت ٠ لكن الصمت سرعـان
ما اتسـع
والضوء الساقط على الشاطىء كان ناعما وأنيقـا
مثل التدبير المنزلى للمرأة المقتولة ٠

ما الذى سيحدث لهم الآن عندما ينسرب المطر الى الأرض
مع الأوراق العطنة لشجر الدلب
ما الذى سيحدث عندما تجف الشمس على بطانية الغيمة
مثـل بقـة مسحوقة على سرير أحد الفلاحين
حينما يقف لقلق الثلوج محنطا على المدخنة فى المساء ؟
الأمهات العجائز ينثرن الملـح على النـار ، يهلن التراب على
شـعرهن
يقتلعن كروم « مونيمفاسيا » لئلا تسكر حبة عنب واحدة فم
عــدو
يضعن عظام أجدادهن فى كيس مع الفضـيات
ويهمن خارج جدران وطنهن
بحثا عن مكان يغرسن فيه جذورهن فى الليـل ٠

سيكون من الصعب علينا الآن أن نجد كلمات أقل قوة
أقل صخرية من كلمات شجرة الكرز ــ
تلك الأيدى التى بقيت فى الحقول أو على الجبال أو تحت البحر
لا تنسى ــ
سيكون من الصعب علينا أن ننسى أيديهم
من الصعب على الأيدى التى تصلبت على الزناد أن تبحث عن
زهرة اللؤلؤيــة
أن تقدم الشكر على الركبتين ، على كتاب ، على صَـدر نجمة ٠
سوف يستغرق وقتا ٠ وعلينا أن نرفــع صوتنـــا ٠
الى أن يجدوا خبزهـــم وعـدلهم ٠
مجدافان تسمرا فى الرمل ، عند الفجر ، فى العاصفة ٠
أين القـــارب ؟
محراث مغروس فى الأرض والريح تهب ٠ الأرض احترقت ٠
أين الفـــلاح ؟
شجرة الزيتون والكروم والبيت ــ رمـــاد ٠
ليـلة قارصة فى حـذاء مزارع ٠
أوراق غار جافة فى دولاب الحائط ــ لم تلمسها النيران ٠
براد شـاى مسود فى الموقد ــ والماء يغلى وحـده فى البيت
المغلـق ٠
لم يكن لديهم أى وقت للأكل ٠

على مصراع الباب شرايين الغابة ــ الدم ينساب فى الشرايين ٠
وهناك الخطوة المألوفـة ٠ من يكون ؟
الخطوة المألوفة بمسامير الحذاء ، تصعد ٠
زحف الجذر فى الصخر ٠ شخص ما قادم ٠
كلمة السر، التوقيع الموثق ٠ شقيق ٠ مساء الخير ٠
بذلك ــ اذن ــ سيجد الضوء أشجاره
والشجرة ستجد ــ ذات يوم ــ ثمرهـا ٠
دورق الرجل الميت ما يزال به ماء وضوء ٠

مساء الخير ، يا أخي · أنت تعرف · مساء الخير ·
وفي كوخها الخشبي تبيـــع السيدة العجوز « غروب » خيطا
وتوابـــل ·
لا أحد يشترى · فهم تحولوا الى الأرض العليا ·
ومن الصعب عليهم الآن الهبوط ·
بل من الصعب أن يبوحوا بارتفاعهم ·

وفي طابق الدراس ، حيث تناول الشبان الشجعان عشاءهـم
ذات ليـــلة ،
تبقى هناك نوى الزيتون والدم الجاف للقمر
مع المقياس الشعبى للبنادق ·
فى اليوم التالى ، أكلت العصافير فتات خبز العسكر ،
ومن الكبريت الذى أشعل سجائرهـم ومن أشـجار زعرور
النجوم صنع الأطفال اللعب ·

والحجر الذى جلسوا عليه تحت أشجار الزيتون
فى الأصيل ، فى مواجهة البحر ،
سوف يتحول غدا الى طلاء فى الأتـــون ،
وبعد غد سنطلى بيوتنا وعتبة « سانت سافيور »
واليوم التالى ، سنبذر البذور حيث ناموا
وسوف تنبثق براعم الرمان مثل الضحكة الأولى للطفل على
صـــدر الشروق ·
وسنجلس ــ فيما بعد ــ على الحجر لنقرأ قلوبهم جميعا
كأننا نقرأ ــ للمرة الأولى ــ تاريخ العالم ·

(٦)

هكذا ، مع الشمس فى صـدر البحر ، وهي تصـبغ الثوب المقابـل للنهار ،
فان صاعقة وعذاب العطش احتسبا ضعفين وثلاثة أضعاف
والجرح القديم احتسب من البداية
والقلب احترق في القيظ مثل بصل « ارجيف » أمام الدور .

أكثر فأكثر تشابهت أيديهم والأرض
أكثر فأكثر تماثلت عيونهم والسماء .

جرار الزيت الطينية خاوية . بعض الثفل فى القاع . والفأر الميت .
شجاعة الأم نزفت مع الجرة الطينية والصهريـج .
ولبـان الخراب لاذع بالبـارود .

فأين ستجد الآن الزيت لقنديل « سانت باربرا »
والنعناع لتبخير أيقونة المساء الذهبيـة .
كسرة الخبز لليلة المتسولة لتعزف لنا غنوة النجم على كوكبة القيثـارة .
فى حضن مرتفعـات الجزيرة ، تحولت الكمثري والبرقـوق الشوكى الى أشباح .

حرثت الأرض بطلقات المدافع والقبور .
المواقع الرئيسية المدمرة ترقعت بالسماء . لاغرفة أبدا لموتى آخرين .
لا غرفة للأحزان كى تتوقف وتجدل شعرها .
وخـلال محجر العين الخاوى ، تبصر البيوت المحترقـة البحر الرخامى فى البعيـد
والرصاصات مغروسة فى الجـدران
كسكاكين فى ضلوع القديس المربوط فى شجرة السرو .

طـوال النهار ، والموتى يشمسـون أنفسـهم ، ممددين على
ظهورهـم ٠
وعنـدما يحل المسـاء يجرجرهـم الجنود على بطونهم فوق
الصخور المسودة ،
فيبحثون بأنوفهم عن الهواء خارج الموت
يبحثون ــ وهم يمضغون قطعة من نعال ــ عن حذاء القمر ،
يضربون الصخور لتفرج عن قطرة ماء
لكن الجدار ــ فى الجانب الآخر ــ أجوف
يسمعون من جديد قذيفة المدفعية المنطلقة تسقط فى البحر
ويسمعون مرة ثانية صراخ الجرحى أمام البوابـة ٠
فالى أين تمضى ؟ فأخوك ينـادى عليـك ٠

الليل ــ فى كل مكان ــ مشيد من ظلال سفن أجنبية ٠
الطرق مسدودة بالجدران المهدومة ٠

فى اتجاه المرتفعات وحدها ما يزال الطريق مفتوحا ٠
يلعنون القوارب ويعضون ألسنتهم
ليحسوا بالألم الذى لم يتحول بعد الى عظام

على المتاريس يقف القادة المذبوحون يحرسون الحصن ٠
وتحت ثيابهم تبلى أجسادهم ٠ هيه ، يا أخى ، ألم تتعب ؟
الرصاصة فى قلبك تبرعمت ،
خمس زنابق نبتت تحت ابط الصخرة الجافة ،
نفسا نفسا يروى الأريج العذب الحكاية الخرافية ــ ألا تتذكر ؟
لدغة لدغة ، يحكى لك الجرح عن الحياة ،
وزهرة الكاميليا التى تبرعمت من أقذار اظفر قدميك
تحكى لك عن جمال العـالم ٠

تتعلق باليد • انها يدك ، ملحية رطبـــة •
والبحر بحرك • عندما تنتزع شعرة من رأس الصمت
يقطر لبن شجرة التين مرازة • أينما تكون تراك السماء •

ونجم المساء يلف روحك كسيجارة بين أصابعه
فيمكنك تدخين روحك ، وأنت تستلقى على ظهرك
مبللا يدك اليسرى في الليل الواضح ، ذى النجوم
واذ تلصق يدك اليمنى ببندقيتك ، خطيبتك ،
تذكر أن السماء ما نسيتك أبـــدا
عندما تأخذ رسالته القديمة من جيبك الداخلى
وتقرأ ــ فيما تفتح القمر بأصابعك المحترقة ــ عن الشجاعـة
والمجـــد •
سوف تتسلق ــ فيما بعد ــ الطريق صاعدا الى نقطة مراقبـة
الجزيرة
وباستخدام نجمة ــ ككبسولة تفجير ــ تطلق قذيفة فى الهواء
فــوق الجــدران والصوارى
فوق الجبال التى انحنت كجنود جرحى
كى ترعب الأشباح وتدفعهم الى مكمن الظل ــ
ســتطلق قذيفـة مباشرة الى صــدر السماوات لتصيب درع
الزرقـــة
كأنك ستعثر فى قميصها على حلمة المرأة التى سترضع طفلك
غـــدا
كأنك ســتعثر ــ بعد مرور الأعوام ــ على مقبض بـاب بيت
أســـلافك •

(٧)

البيت ، الطريق ، الكمثرى البرية ، الدجاجات التى تنقر لحاء
الشمس فى الباحة •
تعرفهم ويعرفــونك •

وهنا فى الأسفل وسط العليق ، بدلت حية الشجرة جلدها
الأصفر
هنا فى الأسفل جحر النمل وبرج النحل بمعاركه الكثيرة ،
وفى نفس شجرة الزيتون قوقعة زيز العام الماضى ،
وصوت زيز هذا العام
فى حقول العدس، ظلك الذى يتبعك مثل كلب صامت ، يعانى
طويلا ،
كلب وفى — يجلس فى الأصيل بجوار نومك الأرضى ويتشمم
الدفلى ،
وفى المساء ، يلتف على قدميك ويرقب احدى النجوم .

هناك ، صمت الكمثرى التى تنمو على سيقان الصيف
نعاس الماء وهو يتسكع حول جذور شجرة الخروب —
نبع له ثلاثة أيتام على مريلته
ونسر يموت فى عينيه
وعاليا هناك ، خلف غابة الصنوبر
تذوى كنيسة « سان جون » بالقرية
مثل قطرات العصفور البيضاء التى تجففها الشمس على ورقة
توت عريضة .
وهذا الراعى الذى التف فى جلد الغنم
له نهر جاف فى كل شعرة من جسده

له غابة بلوط فى كل ثقب من نايه
وعصاه لها نفس العقد كالمجداف الذى كان أول ما ضرب
زرقة « هيلليزبونت » .
ليس عليك أن تتذكر . فشريان شجرة الدلب له دمك .
والجزيرة زنبق وكبر
فى ذروة الظهيرة يجهر البئر الصامت
بصوت دائرى من زجاج أسود وديح بيضاء

مستدير كجرار طينية قديمة ـ نفس الصوت القديم •
وفى كل ليلة ، يقلب القمر الموتى على ظهورهـم
يفتش فى وجوههم بأصابعه الثلجية عن ابنه
ذى الجرح فى ذقنـه ورموشه الحجرية
يفتش جيوبهم • فسيجد دائما شيئا ما • دائما ما نجد شيئا ما •
مفتاح ، خطاب ، ساعة توقفت على السابعة • نملأ الساعة من جديد •
وتنطلق الســاعات •

وعندما تبلى فى الغد ثيابهم ، ويبقون عرايا وسط أزرارهم العسكرية
مثـل كسرات سماء وسط نجوم الصيف
مثـل النهر بين شجيرات الغـار ،
مثل الممر الملتوى بين أشجار الليمون فى أوائل الربيع ،
آنئذ ، قد نعثر على أسمائهم ونهتف : اننا نحب •
آنئذ • • لكن من جديد ، قد تبدو هذه الأشياء بعيدة ،
لكنها مع ذلك قريبة تماما ، مثلما تشد على يد فى الظلام وتقول :
« تصبح على خير » •
بالشفقة المريرة للمنفى حينما يعود الى وطنه
فلا يتعرف عليه حتى أهله لأنه عرف الموت

وعرف الحياة قبل الحياة وفيما وراء الموت
ويتعرف عليهم • ليس مرة فى الغد ، يقول •

وهو على يقين من أن الطريق الأطول هو الأقصر الى قلب الرب٠
وساعة أن يقبله القمر في أسى على رقبتـــه ،
وهو ينفض رمادَ سيجارتـه عبر سياج الشرفة ، قد يبـكى
بسبب يقينـــه
قد يبكى بسبب يقينه فى الأشجار والنجوم والأشقاء ٠

أثينا : ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧



* عمليـــة

كان يتجرد يومـا بعد يـوم ٠
خلـع ثيابـــه أولا ،
ملابســه الداخليـة فيما بعد ،
جلـده بعـد ذلك ،
وبعـده لحمـه وعظامـه ،
الى أن تبقى ــ في النهاية ــ ذلك الجوهر البسيط ، الدافىء ، النظيف ،
الذى يشـكله ــ خفيـا وبلا يـدين ــ
أباريـق صغيرة وقصائـد وناسـا
ربما كان ــ هو نفســه ــ واحـدا منهم ٠

* منظـــور

بيوتنـا مبنيـة أعلى بيوت أخرى ، في صف ، من رخام ،
وأولئـك أعلى بيوت أخـرى ٠
أقيمت أساساتها فوق رؤوس تماثيل منتصبة ، بلا أيد ٠
لهذا ، فمهما كان انخفاض أكواخنا في السهل ،
تحت أشجار الزيتون لتتحامى بها ،
صغيرة ، مسودة من الدخان ، وبجانب الباب ابريق وحيد ،

فانك تتخيل أنك تسكن عاليا ، وحولك يتلألأ الهواء ،
أو تتخيل أحيانا أنك خارج البيوت ،
أنك بلا بيت ،
وأنك تتخذ طريقك عاريا متصلبا ،
وحيدا تحت سماء زرقاء ـ بصورة زائدة ـ أو بيضاء ،
و ـ عرضا ـ يلمس تمثال بخفة كتفك بيده ·

* ماء وطين

انحنى فوق البئر ـ دائرة من ظلام ،
ظلام بارد يتلألأ ·
وهناك ، في المركز ، وجهه المضيء محصور ·
آنئذ رمى الدلو وسحب الماء · كان عطشانا ·
شرب · لم يكن فى الماء أحد ·
هل يمكن أن يكون ـ في عطشه ـ قد شرب وجهه ؟
سيحتاج الآن ـ على الأقل ـ الى قناع يشبهه
(والا فكيف سيعيش وسط الكائنات الانسانية ؟)
أخذ ماء وطينا ، عجن الطين بعناية ،
لكنه لم يعد يستطيع تذكر شكل وجهه ·
نظر الى يديه ، ـ
طين يتدلى ـ أحمر لامعا ـ من أصابعه ·

* أصيل

الدجاج ما يزال ينقر فى الطريق ·
وزوجة القبطان العجوز جالسة فى الباب
تحمل حفيدها فى حجرها المفتوح ·
طفل يحمل سلة ·
البيوت العشوائية تواجه الغروب ، بجذوعها القديمة .

وأسرتها ومناضدها الحديد ـ وصورها المؤطرة ·
الملاءات تنشر تاريخها في مستطيلات عريضة ·
البحر غير مسموع ·
ويد كبيرة خفية ترفع المقاعد شبرين فوق الأرض ·
كيف يعيش الناس بلا شعر ؟

* مهندس معماري

مجموعة فتيات في ثياب وردية
يضحكن في ركن البيت المهدوم ·
البناءون يعلقون بنطلوناتهم وقمصانهم في مسمار بالمبنى الجديد ،
يأخذون لوح الملاط ، والمسطرين
ويصعدون السقالات الكبيرة ، العارية
كأنهم يصعدون الى السماء ·
والمهندس يحسب ، يتذكر ، يقارن ، يراقب ،
ينظر باكتئاب ، كأن تخطيطه قد ظل نصف مكتمل ،
كأن المبنى الكبير لن يكتمل أبدا ·
يأخذ مسمارا ويسمره بنفسه في اللوح ،
انثنى المسمار · ضحك العمال · ضحك أيضا ·
خلع قميصه وهو يشعر أن ـ في ضحكتهم الشعبية هذه ـ قد توحدت يداه وتخطيطه وبناؤهم ·

* بناءون

أرأيت من هم بناءون بالغريزة
وأولئك الآخرين بحكم المهنة
والطائفة الثالثة ممن يبنون للثأر من الموت
وأولئك ممن يبنون عن وعي وتصميم ؟

كلهم يتوقفون الآن جميعــا ؛
يمسحون أيديهم التى تغطت بالجبس فى بنطلوناتهم ،
يمســحون عرقهم ويبــكون ٠
لا يمسحون دموعهم ٠

والآن ، يلتصق الملاط أفضل بهذه الطريقة ٠
وهو ما يحدث فيما وراء قصدهــم
ذلك هو السبب فى أن البنائين ــ فى الليــل ــ
يحلمون بهذا الـ « ما وراء » المجهول ، الغامض
فيبنون كل صباح الـ « هنــا » أفضــل ٠

* نهايــة خطبــة

فى اللحظة الأخيرة ، وهو ينهى خطبته وسط التصفيق ،
أضــاف تعبيرا غامضــا وهــادئا :
« الرجل الذى صفقتم لــه لم يكن أنــا ،
وكلماتى لم تكن لى ــ
انها مرايــا صغيرة فى مواجهتكم
ترجــع شظايــا من وجوهكم أو توقعكم ،
وفى مواجهة كلماتى كنت أقف أيضا كضوء بعيد
ينعكس فى المرايــا ، ويرمى أشعته الناصعة فى عيونكم
لتمنعكم من رؤيــتى ٠
كلماتنا الحقيقية تكمن عميقــا فى الصمت
(ولا حاجــة بنــا اليها ، على أية حال) ٠
وأفعالنا الحقيقية دائما ما تقصى الشهود أو تقتلهم ان استطاعت
أو تتخلص منهم مقابل ثمن باهظ
ما نمتلكه هو ــ فقط ــ ما لا يحتاج الى برهان ٠
وكل التصفيق هو شهادة تالية أو زائفة بلا وعى » ٠
فى تلك اللحظة ، انطفأت الأضواء فجأة

وبدأ الجميع يتدافعون ناحية أبواب الطوارىء ،
فلم يستطع أحد أن يرى التعبير على وجوههم أو وجهه ·
ربما فقط ، كان هناك صمت اجبارى معتم ، يرفرف حرا
فى المرايـا المعلقة بقاعـة الاسـتماع ·

* تحت النسـيان

الشيء المادى الوحيد الذى تركه بعده هو سترته ·
علقوها هنـاك ، فى الدولاب الكبير ·
نسيت ، وأزاحتها ثيابنـا الى الوراء ،
ثيـاب الصيف ، ثيـاب الشـتاء ،
ثياب جديدة كل عام من أجل احتياجاتنا الجديدة ·
الى أن لفتت انتباهنـا ، ذات يوم ، ــ
ربما كان لونها الغريب ،
ربما كان أسلوب خياطتها القديـم ·
على الأزرار كانت هناك ثلاثة أماكن دائرية موحدة :
حائط الاعدام بأربعة ثقوب ، محاطة بندمنـا ·

* ربما كان يعرف

بعد أمراضـه المتواليـة ، تبقى هذا الوهن ،
يومىء برأسـه صـعودا وهبوطـا ،
ويهمهم بابتسامة : « حقا ، حقا ، حقا ، حقا » .
بطريقة مضحكة بالفعل ، لكنها أيضـا ودية ·
« حقا ، حقا » ، يهز رأسـه طوال الوقت
كغصن معتم هش به ورقـة خضراء وحيدة ، ــ
والريـح تعصف به أبـدا
فى مشهد طبيعى أجـرد ورقيـق
لعرفـان بلا تبريـر ·

* نفس البرودة ؟

أيام كثيرة ، ليال كثيرة ، أعوام كثيرة ، ـ كان متعبا ٠
لم كل هذا العنـاء ؟
بعد منتصف الصيف ، كل صيف ، يسمع مجموعة من الشبان
يمرون خارج نافذته يضحكون ، يغنون ، يمزحون ٠
وهـو ؟

عندما أضاء المصباح من جديد للمذاكرة
رأى حلزونا يصعد المحبرة ببطء ٠
لكن في الخارج أيضا ، ـ تذكر ـ بجوار البئر ،
المزهريات ، في مساءات الصيف ، في كل الحدائق المروية ،
وبجوار الزهور يتمشى سرب من الحلزون ٠

* العرافـة

شعرها فوضى ، دائمة ،
كأنه عويل على جثة ما خفية ،
أو على جثتها هي ٠
« نعمة العرافة » ، تقول « نعمة شريرة » ٠
والشبكة المظلمة في الحمام المعلقة أمام عينيها
تشبه شعرها ـ
ليست شبكة موت فحسب ، بل أسوأ ،
شبكة اصطياد ، شرك للحسد أو اللاجدوى ٠
والآن تقترب ـ من جديد ـ تلك الساعات الفاتنة الهشة من
الربيـع ـ
كطفل يغمس قدميه في ذلك الحوض العميق ،
يلعب بالصابون ٠٠
بأطراف أظافرها تصنع شقين في شعرها المنسدل ،
كأنها تعزف على قيثارة ،
ثم تحدق في الثقوب ،
تخمن عن صواب و ـ عن صواب ـ تبتسم ٠

* ليلـــة قديمـــة

هنـــاك عاليا ، حـل الظلام مبكرا .
ليلـــة شـفافة ، مضيئـة كالنهار .
بسـتان الزيتون المعتم ،
الشجيرات المحترقة من الشمس وسط كتل الرخام .
المسرح المقفر المعلق على جانب التـــل .
ترس كبير مرمى ووجهه فى الأقـــذار .
اذا ما أمطرت ، فلسـوف يمتـلىء بالماء ،
وستأتى السنونوات الى هنـــاك لتشرب ،
مع الدب والأسـد والثور و « كريسـوثيميس » ،
وكلاب حارس الغابـة الثلاثـة ، والقمر .

* صورة جانبيـة يونانيـة

بحر معتم ، يتنفس سرا فى الليـــل .
قوارب الصيد الفارغـة راسية على الشـــاطىء ـ
والسر العميق فى أجسادها المبلولة ما يزال غير منطوق .
أشعل شخص ما كبريتـا ، ثم سـيجارة .
هذه الصورة الجانبية لعشرين عاما من العمر على القـارب ـ
نعرفها منذ ثلاثة آلاف عام (الشعر منسدل هكذا تماما) .
وراء الأشرعـة المعتمة ، اندفـع شهاب كالبرق ،
وهو يكشف شلال شـعر لفتـاة منحوتة فى الخشب .

* ضـــوء غامض

غربت الشمس منـــذ ســـاعات .
فمن أين يأتى ـ اذن ـ هذا الضوء الكبريتى ،
فيـدفن السهل فى أقدام هذه الجبال العموديـة ، كما لو فى
السـديم ؟

قلامة ظفر القمر القرنفليـة تغوص في الغرب .

ويمكنك ـ بالكاد ـ أن تسـتكمل النوافذ الأربعمائة وثلاث للمدابـغ القديمـــة ،

وحتى جلود حيوانـات الأضـحيات ، المنشورة على الأسـلاك الشـائكة ـ

وفي أقصى الطرف الأسـفل ذلك الصوف الذهبي ،

الذي يلتمع بجوار مقبض البـاب الحديـدى .



أوريست

(شابان ، كلاهما فى حوالى العشرين من العمر ، توقفا أمام الأروقة. بديا كأنهما يحاولان تذكر شيء ما، واستعادة التعرف عليه ، لكن ما استثارهما أن كل شيء كان مألوفا بصورة لا تصدق ، برغم أنه أصغر الى حد ما - بكثير - مما تخيلاه في المكان ، كمكان وزمان مختلفين تماما : الجدران ، هذه الجلاميد الهائلة ، بوابة الأسد، والقصر فى ظل الجبل... جل الصيف. كان الظلام يهبط. رحلت العربات الخاصة والأتوبيسات السياحية الكبيرة ، وأطلقت الساحة المسترخية زفيرها فى السكون ، زفيرا عميقا ينطلق من مقابر ذكريات ما قبل التاريخ . قصاصة جريدة ترتعش على العشب المحترق ، وقد لمستها هبة واهية من ريح . وكان للمرء أن يسمع وقع خطى الحارس الليلى ، وصوت مفتاحه الثقيل فى الباب الداخلى للقصر . آنئذ ، بدأت الجداجد تقرع طبولها النحيلة ، كما لو ان ندى الليل الدافىء قد أطلق سراحها . ضوء غامض زحف خلف الجبل - ربما القمر . فى هذه اللحظة - بالتحديد - انفجرت صرخات حادة عند الدرج الرخامى - عويل امرأة أليم ، بلا تفسير . وقف الرجلان دون أن ينظر أحدهما الى الآخر ، مندمجين - كظلين كبيرين - فى الجدار الوطىء . ثم أخرج أحدهما وشاحا ومسح جبهته، وأشار - فى ارهاق - باصبعه ناحية الصخب.

وبدأ فى الحديث الى رفيقه ، والذى سيظل صامتة
منتبها بصورة فاتنة ، كما « بيلاديس ») ·

أنصت ··· انها لم تكف حتى الآن ، لم تستنفد نفسها ·
ذلك لا يحتمل فى ليلة يونانية نموذجية ، دافئة ، ساكنة ،
منعزلة ولا مبالية ،
وان منحتنا هذا العزاء الفريد :
أن نكون فيها ، أن نراها من داخلها ،
و ـ فى نفس الوقت ـ عن مسافة منها ،
أن نشهدها عارية حتى أوهى اختلاجة لجداجدها ،
وأقل رعشة لجلدها المظلم ·

مثل هذا الاستقلال ،
هل نجرؤ ـ نحن أنفسنا ـ على الحلم به ؟
بفرحته الفاتنة باللامبالاة ، والصبر ،
فيما وراء العالم ، فى العالم ، وفى أنفسنا :
وحيدا ، متحدا ، متحررا ،
فيما وراء هذه التنافسات ، والمقارنات ، والتعسفات ،
فيما وراء معيار الآخرين فى الآمال والرغبات ·
يكفى أن ترى رباط صندلك ،
حيث يفصل الاصبع الكبير ليديره تجاهى ،
وتجاه مكان يجاوز زهور الدفلى ، سرى ، ولى وحدى ،
فيما تتساقط أوراق الليل الفضية مرتعشة على كتفيك
ومسيل النبح يمر ـ واهيا ـ تحت أظافرنا ·

أنصت اليها ،ـ
فصوتها يغلفها كمقبرة تطن بالنحل ،
وهى ـ نفسها ـ تتدلى داخل صوتها

كلسان جرس يقرع ويقرع جدران الجرس ،
لكن لا من أجـل جنـازة أو حفـل ـ
فليس هناك سوى هذه الصحراء الصخرية الطاهرة ،
و ـ في الأســفل ـ صمت الصحراء المستكين ،
الذي يحول غضبها الطائش الى سـكينة ،
وكل ما حولها كطائرات ورقية بريئـــة ،
نجوم بـلا حصر تتحرك مع الحفيف الورقي الأبـدي لذيولها الهائلـة .

فلنمض الى خارج مدى السمع ـ الى التل الخلفي
لكن ليس الى مقـابر الأسـلاف .
فلن أقدم ـ الليـلة ـ أيـة قرابين ،
لن أجز شـيئا من هذا الشـعر
حيث كثيرا ما هامت يـدك ...
ومع ذلك ، فهي ليـلة فاتنـة ،
تبـدو كأنها جزء منـا
وقد انفلتت وانجرفت بعيـــدا ،
ننصت اليها وهي تتحول الى نهر أسود يسعى الى البحر ،
مزبدا ـ بين حين وآخر ـ تحت الأغصان ،
تحت البريـق الخشن للنجوم ،
في صيف ظالم محروق مجدب من الرحمـة ـ
نهر مفعم بالانقطاعات القصيرة ، الغامضـــة ،
والقفزات غير المتوقعة (ربما كان أحدهم يرميه بحجر) :
الخرير المرح والنوافذ عبر الكروم تومض .
أمر غريـب ،
فطوال حياتي كانوا يؤهلونني لذلك ،
والآن ، وأنا أقف هنـا أمام البوابـة ،
أحس بعدم التـأهيل تمامـا .
فالأسـدان الرخاميـان ـ هل تراهما ؟

كم أصبحا أليفين ! ـ
رغم أنهما كانا يبدوان غاية فى الشراسة عندما كنا صغارا ،
وحشيين ، وعرفاهما ينتصبان لقفزة مستحيلة ...
ها هما الآن ينتهيان على مؤخرتيهما فى قناعة
على الزاويتين العلويتين للمدخل ،
فراؤهما بلا حياة ، وعيونهما جوفاء
ـ لا شيء يخيف فيها ـ
ولهما نظرة الكلاب المكدودة ،
لكن ـ حتى ـ دون أن تكون تعيسة :
وفية ، عمياء ، بلا أثر لضغينة ،
فقط ، بين الحين والحين
يمدون ألسنتهم ليلعقوا النعل الفاتر لليل .

حقا ، غير مؤهل .
لا أستطيع ذلك .
لا شيء داخلى مع هذا المشهد ،
مع الزمن ، مع هذه الأشياء والأحداث .
ليس ذلك لأننى جبان ، ـ
غير مؤهل عند بدء الفعل ،
غريب بكاملى عند غاية رتب لها الآخرون .
فكيف حدث أن نجحوا ـ شيئا فشيئا ـ فى تحديد مصيرنا ،
فى فرضه علينا ،
وفى أن نقبل ـ نحن أنفسنا ـ به ؟
كيف حدث أن نجحوا فى نسج حياتنا كلها
من أجمل الخيوط للحظات ماضية معدودة ؟ ـ
رداء خشن ، كالح يلفنا مثل كفن من الرأس الى القدم ،
ليخفى وجهنا كله ، بل وأيدينا
التى أقحموا فيها سيفا لم نره من قبل أبدا ،

وبريقه القاسي يكشف مشهدا لا ينتمي الينـا ـ
متأكد أنـا من ذلك : لا ينتمي الينـا ٠

وكيف حدث أن قبل مصيرنا الحقيقى ـ أيضا ـ بذلك ،
متراجعـا وهو ينظر شزرا الينـا
والى مصيرنا المغاير مثـل غريب :
أصـم ، صـامت ، مسـتغن ، نسـاء ،
دون ـ حتى ـ سيماء المهابة أو الرزانـة ،
دون ليـاقة أن يتوارى ، أن يموت ،
ويتركنا فريسة لهذا المصير الزائف
(مصير واحد فحسب : غير متضارب أو ممزق) ٠
انظر اليـه وهو يسـتلقي هنـاك ،
ناعسـا فيما يبـدو ،
واحدى عينيه مغمضة ، لكن الأخرى مفتوحة قوية ،
ونحن نعرف (كما يشتهى نكون) أنه ما يزال يراقبنـا ،
ويمكنه أن يرى اختـلاجنا الأبـدى ،
دونما اداتـة ولا غفران ٠

هناك ـ فيما يبدو ـ قوتـان متعارضـتان
تتوافقان مع قدمينـا ،
كل واحدة تشد قدما الى أبعد ما تستطيع عن الأخرى
توسـع خطوتنـا الى حـد تمزيق الأوصـال ،
ويصـبح الرأس نوعـا من الرابـط
الذى يحفظ هذا الجسد الممزق فى كتلـة واحدة ٠
بينما خلقت الساقـان ـ فيما أعتقـد ـ
لتتحرك كل واحـدة بالتبـادل ،
والاثنتان فى خطوة واحدة ، فى اتجاه واحـد ،
هبوطا الى السهل بكرومه المعنقـدة ،

فى اتجاه الأفــق الذى يتوهج على البعــد ،
فيولــد الجســد بكرا .
أم أن الحقيقة أننــا خلقنـــا
من أجــل تلك الخطوة الأخــرى ــ
تلك الخطوات الكبرى ، الساخقــة
فوق الهاويــة المجهولــة ،
فوق القبور ، فوق قبرنـــا ؟
لا أعـــرف .

ومع ذلك ، فتحت الجذور الراقدة العديدة للفوضى والخوف
يمكننى أن أحس الامتـــداد اللانهائى للصمت :
نوعــا من العدالــة ،
توازنـــا مكتفيــا بذاتـــه
يضمنــا فى نظام واحــد مع البــذور والنجوم .
فهل لاحظت ذلك ؟

ففى طريقنــا الى هنــا ، فيما بعد الظهيرة ،
كان ظـــل غيمـــة يمتــد عبر السهل ،
فيغطى حقول القمـــح ، وأحراش الزيتون والكروم ،
والخيول ، والطيور ، والأوراق ــ
كمشهد بعيــد فى الســماء
مطبوع بخفــة فى الأســفل هنــا على الأرض .
والمزارع يسير على طول حافــة السهل
فيبــدو كأنــه يحمل ــ تحت ذراعــه الأيسر ــ
ظــل الغيمة الكامــل كمعطف هائــل ــ
مهيب ، وان يكن بسيطا كثوبه المصنوع من جلد الغنم .

هكذا تصـــبح الارض حميمــة للســـماء ،
متخذة لمحــة من زرقتها ، من غموضها ،

والسماء ـ بالمقابل ـ تتخذ شيئا من الأرض ،
شيئا ما دافئا وأسمر مصفرا ،
شيئا ما من أوراقها ،
من جذورها وصريرها الأرضى ،
وشيئا ما من العيون الصبورة للبقر ـ هل تذكرها ؟
ومن الساقين الثابتتين لذلك المزارع
وهو يختفى من البصر ٠

لكن أختى تحاول الابقاء عليه ٠
أنصت اليها ٠
كيف يمكنها ألا تسمع صوتها ؟
كيف يمكنها الابقاء على نفسها محبوسة
فى لحظة ساكنة من زمن غابر ،
من مشاعر غابرة ؟
كيف ، وبأى شيء ، يمكن احياء
هذا الهوى الحقود ، وصوت الهوى ،
عندما تكذبها كل الأصداء ، بل وتسخر منها ؟
ـ أصداء من الأروقة ، من الأعمدة ،
من الأثاث ، من الدرج ،

من جرار حفظ رماد الموتى بالحديقة ، والقناة ،
من كهوف زارا ، من الحظائر بالوادى ،
من الحراس القائمين على التلال ،
من الثنيات الموجودة على تماثيل الالهات فى الساحة ،
من القضبان الرخامية الضخمة لرماة القرص والعدائين ٠

حتى الزهريات داخل المنزل تبدو كأنها تعارض صرخاتها
مع ايماءة الموافقة من بضع زهرات رقيقة

رتبتها ـ بـذوق ـ يـد الأم ،
هنـاك على الخزانـة المنحوتـة ،
فى واجهة المرآة الموروثـــة ،
فى وهــج (مزدوج من الانعكاس)
يبـدو كما لو من خلال ماء ـ أتذكره منـذ الطفولـة ؟ ـ
ذلك ـ على الأقـل ـ ما احتفظ به عقلى صافيـــا :
وهـج مائى ، بـاهت ، حيـــادى ـ
غموض فيما وراء الزمن والخطيئة :
شيء ما ناعـــم ، وأثـير ،
كحزن فتـــاة صغيرة ،
كزغب على الشـفة العليـا لصبى ،
كرائحـة جسـد نضر من الحمام ،
على الملاءة الدفيئـة بأنفاس ليلـة صيف مترعـة بالنجوم .

لكنها لا تعى شـيئا من ذلك ،
ولا حتى الأصـداء التى تسخر من صوتها المتنافر .
انـنى خائـف :
لا يمكننى الاستجابـة لنـداءاتها ـ
الفـادحـة والمبتذلـة فى نفس الوقت ـ
لكلامها المفحـم هذا ، البـالى
الذى يبـدو خارجـا الى النـور
من صناديق كتانية تنتمى الى ما يحب العجائز أن يسمونـه
« السنين الخوالى » ،
كأعـلام مكرمشة هائلـة ،

وغضونها يتخللها النفتالين ، وخيبـة الأمـل ، والصمت ـ
كلامها العتيق الذى لا يحمل أى شك فى عمره الحقيقى .
وهو يواصل القرقعـة بعيـدا بايماءات غابـرة

فوق رؤوس السائرين المتعبين ، المتبرمين ، بلا ارتياب ،
فوق الشوارع الأسفلتية ،
التى ما تزال — برغم حجمها — متواضعة ،
بنوافذ محلاتها الأنيقة
المتلئة ببضائع البللور وأربطة العنق ،
وملابس البحر ، والقبعات ، وكتب الجيب ،
وأمتعة السفر التى تستجيب لاحتياجات اللحظة
والاحتياج الدائم للحياة التى تقودنا ٠
لكنها تمضى فى اعداد الميد والمؤن للموتى ،
الذين ما عادوا يشعرون بالجوع أو العطش ،
بل وما عاد لهم أفواه ،
والذين لا يحلمون أبدا بالعودة أو الانتقام ٠
انها — والى الأبد — تستحضر عصمتهم
(لكن أية عصمة ؟) ،
ربما لتتهرب من عبء الاختيار والقرار —
عندما تصبح أسنان الموتى ، النظيفة المبعثرة فى التراب ،
بذورا ناصعة فى واد أسود بلا مثيل ،
لتنبت أشجارا من عظام بيضاء ، لا مرئية ، معضومة ،
تومض كالفوسفور فى ضوء القمر حتى نهاية الزمن ٠

كيف يمكن للسانها أن يحتمل النطق بهذه الأشياء ،
بكلمات منزوعة من صناديق قديمة
(من نفس النوع الذى اعتادوا صنعه بمسامير حديدية هائلة للزينة) ،
منزوعة من بين القبعات القديمة للأم ،
ذات الطراز القديم ، التى لم تعد ترتديها :
لن يدركها الموت فيها ٠
هل تراها فى الحديقة هذا الأصيل ؟
انها فاتنة كما كانت ، لا أكبر حتى بيوم واحد ،

ربما لأنها تضـع الزمن نصب عينها ،
وترعـاه كل لحظـــة ـ
أعنى أنها عادت شـابة من جديـد
على وعى بالشباب الذى فقـدته ،
وذلك ـ ربما ـ سبب استعادتها له ٠

وصوتها ، الآنى تماما ، اليومى تماما ، المعافى تماما ، ـ
وهى تستخدم أكبر الكلمات وأصغرها بصورة طبيعيـة ،
بأعظم المعـانى الممكنـة ـ مثلما تقول :
« هنـاك فراشة تدخـل من النافـذة » ،
أو « العـالم أروع من أن يحتمـل » ،
أو « يمكن اضافة مسحوق تبييض أكثر للبياضـات » ،
أو « لفحـة واحـدة من شـذا المساء تراوغنى »
ثم تضحـــك ،
كما لو لتستبق شخصا ما تخشاه ، يوشك على الضحك ٠

وفهمها الكامل وتدليلها الرقيق لكل شخص وكل شىء ـ
هو ـ غالبـا ـ احتقـار ما ٠
كنت دائما معجبـا بها ،
بل وأخافها ، لهذا الوعى الذاتى ، لهذا الزهو الرفيـع ،
فتختلط لدى ضحكتها الخفيضة ، المتعددة الأبعـاد ،
بذلك الهسيس والشعلة الخفيضـة لعود الكبريت
وهى تشعل المصباح المعلق فى غرفـة الطعـام ـ
وستكون هنـاك ، مضـاءة من أســفل ،
بأقوى ضوء مركز على الخطوط الناعمة لذقنها
وعلى فتحتى أنفها الرقيقتين ، المتسـعتين ،
اللتين توقفتا ـ لحظـة ـ عن التنفس وضاقتـا ،
كما لو ان ذلك سيبقيها الى جانبنـــا ،

سيتمهل بها ، يبقيها ســــاكنة ،
دون أن تذوب كخيط دخان فى ريـاح المساء النشيطة ،
ودون أن تتبدد بفعل الغصون الطويلة للأشجار ،
ولا أن تضــع فى اصبعها كشتبان احـدى النجوم
من أجل تطريز بلا نهايـــة ٠

وكان لها أن تنفــرد بحركتها ،
وتوقفها الدقيق في نقطـة الغياب بالذات ــ
كنت دائما ما أخشى أن تتـلاشى ،
أو تهبط كأحـــد الآلهة ،
حينما تنحنى لتربط الصـــندل
الذى يترك أظافر قدميها الملونـة مكشوفـة ،
كنبات « بخور مريـم » النحيــل ،
أو عندما تعـد شـعرها أمام المرآة الضخمـة
بتلك الطريقـة اللافتـة فى تحريك يدهـــا ،
الفتيـة الرشـيقة ،
بدت كأنها تشبك ثلاث نجمات أو أربع فى جبين العالم ،
أو تدفــع زهرتى ربيــع الى قبلة بجوار النبــع ،
أو تنظر بارتيــاب ، فى تأثـر واضــــح
اذ يتسافد كلبـان وسـط الشـارع المترب
فى أصـــيل صـيفى حـــار ٠
كانت الأم ــ فى آن ــ بسيطة للغاية فى اقناع،وقوية للغاية ــ
مهيبـة لايسبر غورهـــا ، معـــا ٠
ربما كان ذلك الشباب الأبـدى هو ما لم تســتطع شـقيقتى
غفرانـــه ــ
فهى نفسها قد شـاخت فى الســن ،
عاقلة فى تناقضاتها،معارضة ــ فى تعصب ــ للفرح والجمال ــ
زاهـدة ، بغيضـة في حـذرها ،

وحيـدة ومنعزلــة .
حتى الأشـياء التى ترتديها ــ
عتيقـة مزمنـة ، فضفاضـة ، رثـة بائسـة ،
والحبل الذى يربطهم الى الخصر قديم متهالك ،
كشريان جاف حول بطنها (ما تزال تربطه باحكام) ،
كجبل بعض الســتائر الســاقطة ،
التى لم تعـد تنغلق أو تنفتـح ،
لتمنح المرء ــ فحسب ــ تلك اللمحة الجانبيـة
لمشهد طبيعى ضيـق وأجـرد ــ
عالم من صخور ناتئـة وأشـجار هائـلة بـلا أوراق
تمد أغصانها تجاه ستارة خلفية من غيوم مخططة بدينة ،
وهنـاك ، فى البعيد ، الحضور الخفى لخروف ضائع ،
كلطخة باهتـة للحياة ، نتفـة من رقـة لاتبين ،
وأختى نفسها جلمود منتصب،موصدة فى صدفتها القاسية ــ
لا تحتمــل .

أنصــت اليها ،
فهى ــ عمومـا ــ تـافهة .
دائمـة المراقبـــة للأم ،
تنفجر فى الغضب حينما تضـع وردة فى صدرها أو شعرها ،
أو حين تمر خلال الردهة بهذا الكمال الايقاعى فى خطوهـا ،
أو حين تميل برأسها قليـلا الى جانب فى تسليم ،
وقرطاها الطويلان يقطران نغما فاتنـا على كتفيها ،
نغما هى وحـدها التى يمكن أن تسـمعه ــ
انــه هبتها الالهيــة .
وهو ما يترك الأخرى مسـتشيطة .

وهى تغذى غضبها بحـدة صوتها ــ
(بذلك الذى ذهب أيضا ، ما الذى استبقته ؟) ــ
أشك أنها خائفة من الفعل ذاته الذى تصرخ من أجله ،
خائفـة ــ حقـــا ــ من أن يتركها بـلا شىء ٠
فهى لم تسمع أبـدا الحفيف السرى لعشب المســاء
وأحـد الكائنـات الخفيـة الرشـيقة
يزحف الى ما وراء النوافـذ فى الغسق ،
ما رأت أبدا سلم الحبال المعلق بلا سبب من أعلى ،
على جـدار قاحـل ، فى احـدى العطلات ٠
ولم تلحظ هذا الافتقار الى سبب ٠
ولم تر الريشـة على أذن من ذرة
وهى تنظف قـدم غيمـة نحيـلة ،
أو شكل ابريـق ، مرسوم قبالة النجوم ،
أو المنجل الذى سقط بجانب النبـع ، فى أوج النهار ،
أو حتى الظل الذى يرميه نول فى غرفـة مغلقة ،
وهـم يرشون الكروم بالكبريت ،
وصيحات الحصادين تطفو من السهل ،

بينما العصفور ، وحيدا تماما فى العالـم والســاحة ،
يشاكس الذبـاب ، والبـذور ، والفتـات القليـل ،
ويحاول اكتشـاف حريتـــه ٠
لم تر أى شىء ٠

بليـدة ، مسـجونة فى عماهـا ٠
كيف يمكن لها ــ مهما كان ــ أن تعيش حياتها منفردة
فى تضـاد مع حياة شخص آخـر ــ
بـدون مكان حقيـقى لها ــ
بدافـــع كراهيتها لحياة شخص آخر
لا بدافـع حبها لحياتها ؟

ماذا يريـــدون ؟
ما الذى يريـــدونه منى ؟
الانتقـــام، يصرخـــون .
الانتقـــام !
اذن ، فعليهم أن يتلقوه ضـــدهم ،
طالما أن الانتقـــام هو ما يبقيهم أحيـــاء .

لا أستطيع أن أسمع المزيـــد . كفى .
فما من أحد يمتلك الحق فى التحكم فى عينى ، وفمى ، ويدى ،
وقدمى اللتين تختاران الأرض التى أمشى عليها .
خـــذ بيـــدى .
ولنمـــض .

ليالى صيف طويلة ، كاملـــة لنـــا وحدنـــا ،
مزيج من نجوم ، كؤوس نبيـــذ مهشمة ، آبـــاط عرقانـــة ،
حشرة تئز فى رقـــة فى طبلة أذن الصمت ،
سحالى تتـــدفأ عنـــد أقـــدام شـــبان من رخـــام ،
يرقانات على دكك الحديقة ، أو فى دكان الحدادة المغلق
تمشى فوق الســـندان العمـــلاق ،
تاركة خلفها على الحديـــد الأسود
آثـــارها البيضاء من الســـائل المنوى واللعـــاب

علينـــا ألا نعود الى ميســـيناى .
فالأرض هنـــا تمور بصـــدأ البرونز والدم الأسود .
و « أتيـــكا » أقـــل ظلمـــا بكثير .
اننى أحس أن هذه الساعة هى ساعة نكرانى الزاهـــد الأخير :
فلن أكون أحد شؤونهم ، خادمهم ، أداتهم .
ولا حتى الحاكم عليهم .

انه أوان البدء في أن أعيش حياتي الخاصة ·
ولا مكان فيها للانتقام ·
فلماذا نستبقي موتا آخر ، موتا قاسيا ،
مستمدا من الموت ذاته ؟
ما الذي سيضيفه الى الحياة ؟
ذلك كله قديم غابر ·
ذهبت الكراهية ·
فهل نسيت ببساطة نفسي الممزقة ؟
لا أدري ·
بل انني أحس بتعاطف مع القاتلة ـ
فقد حدقت في قلب جحيم عظيم ،
وعي هائل فتح عينيها عن آخرهما في الظلام ، لترى ـ
ترى ما لا ينفد ، مالا ينال ، ما لا يتغير :
تراني ·

وأنا ـ أيضا ـ أريد رؤية مقتل أبي في الضوء المعزى للموت المجرد ،
وأن أضيعه في توحد الميتات التي تنتظرنا جميعا ·
لقد عرفت الليلة براءة كل غاصب ·
ونحن جميعا غاصبون لشيء ما :
بعض الناس ، بعض العروش ،

الحب من الآخرين ، أو حتى الموت ·
وأختي قد اغتصبت حياتي الوحيدة ،
وأنا اغتصبت حياتك ·

صديقي ،
لقد شاركتني ـ في صبر ـ هذه الشئوون الغريبة ، التافهة ·

لكن يـــدى هى يـــدك ـ
خذهـا ، اغتصـبها (نعـم ، حتى أنت) •
فهى لك ، ولى أيضـــا •
امسـك بها ، ضمها اليـــك •
أعرف أنك تريدهـا متحررة من الذكريـات ،
من الجراح القديمة ، وآثـــام الأســـلاف ـ
متحررة بشـــكل حقيقى •
أنـــا ـ أيضـــا ـ أحلـم بذلك ،
فآنئـذ ـ فحسب ـ ســتكون بأكملها ملكى ،
ملكى ـ آنئـذ ـ لأمنحها لآخر •
اغفرلى هذه العزلـة والانقسام الداخـلى ـ
فأنت تراه بوضــوح ـ والذى يتركنى ممزقـــا •••
يـــا لها من ليـــلة فاتنـــة •

أريج حاد لزهور الكبر ، والأورجانو ، والزعتر ـ
أم انــه منقـــار الكركى ؟
اننى أخلط بين الروائـح المختلفـة •
فأحيانا ما يفوح الدم برائحـة تشـبه ميـاه المحيط المالحة ،
ورائحة السائــل المنوى تشبه الغابة ـ تحول واع ربما ـ
فذلك ـ بالتحديد ـ ما أبحث عنـــه الليـلة •
هل تذكر ما أخبرنا به الجندى ذات ليـلة فى أثينـــا ؟
كيف أنه أخفى نفسه ذات مرة فى الأكمـة المظلمة

على شاطىء دمرته الأنـــات ، وحديد المعركة المصلصــل ،
وهو يرقب الظــل المتأرجح الذى يرميـه ضوء القمر
لعضوه شـــبه المنتصب تجاه فخـذه ـ
محـاولا أن يثبت وجـوده ،
ويختبر قوة ارادته على جســده ،

على أمـل الانتقال من السهل المفعم بالموت ،
على أمـل حريـة يؤمن ـ جزئيـا ـ بها ٠

فلنمض بعيـدا فى الأسـفل ٠
لا يمكنني الاسـتماع الى ذلك ٠
فصرخـاتها تسحق أعصـابى ، وأحـلامى ،
والطريقة التى ارتطمت بها مجاذيفنا بالأجساد الطافيـة
التى كنا نلمحها بين حين وآخر على ضوء مشاعل السفينة ،
وشهب أغسطس التى تومض بالشباب والشهوة ،
أبـدية أبعد من الظن
فى هذا الموت المنسـاب الذى حمم ظهورهـم وكواحلهم ،
وأفخاذهـم ٠

يجىء تحول الفصول فى صمت تـام
ودائما ما يتزايـد الظـلام ٠
مقعد خيزران يقف منسيا تحت الأشـجار
فى الرطوبة الشفيفة والبخار الصاعدين من التربـة ٠
انـه ليس الأسى ٠
ولا هو ـ حتى ـ الأمـل ٠
لاشـىء ٠
حركة تمتـد بـلا حركة الى الأمس والغـد ٠
سلحفاة فى العشب تبـدو كحجـر ٠
سرعـان ما سـتتحرك ٠
انقياد بـلا توقـع ، مشاركة سرية فى جريمة ، فى سعادة ٠

ما يزال فى بسمتك أثر واه من خواء ـ
أهو بسبب ما أحكيـه لك ،
أم بسبب ما سأحكيـه وان كنت لا تعرفـه ،

ما لم تكتشفه في ايقــاع كلماتي
التي تواصــل الركض بعيدا الى الأمام من أفكاري ،
فتكشف ايقــاعي ، وذاتي ؟
مثلما ذات مرة ،
وأنا أتفرج على العدائين يأتون متناثرين الى خط النهاية ،
وقد تحمموا بالعــرق ،
حين لاحظت أحدهــم وقد ربط قطعة خيط صغيرة الى كاحله
بــلا ســبب ،
ببســـاطة عن نــزوة ٠
ذلك كل شيء ٠

انها تبحث عن بطولة ، عن تضــحية ٠
ســنوات عديــدة ، وما الذي تغير ؟
أم أننــا من أجــل ذلك قد أتينـــا ــ
من أجل هذه النبوءات الصغيرة بالمعجزة الكبرى
التي لا تعرف كبرى ولا صغرى ــ لا قتــل ولا خطيئــة ؟

كل شيء هو حب شــبقي ــ
سحر وفتنة ، كما اعتادت أمي أن تقول ــ
حينما تمس أوراق المساء العريضة ، الشهوانية جباهنــا في
هـــدوء ،
والثمرة الساقطة تصــبح رســالة راسخة لا تصــل أحدا
كالدائــرة ، والمثلث ، والمعــين ٠
ويرى عقلي منشارا قديما يصــدأ في مخزن أخشاب مهجور ،
والأرقام على البيوت تزحف الى الأفق ــ ٣ ، ٧ ، ٩ ، ٠٠٠ عدد
بــلا حصر ٠٠
لكن انصــت ٠
لقــد توقفت ٠

سكون عميق ـ سكون فوق التصديق ،
لا بد أن ألف حصان أسود يتحركون في غموض أعلى المنحدر
الى « تريتوس » ،
كنهر من ذهب يفيض في الجانب البعيد تجاه السهل ،
تجاه ينابيعه الجافة ـ وتكناته الخاوية ،
تجاه الحظائر حيث ما يزال يرسل الدخان
مع الدفء الأبدي لحيوانات وكلاب غائبة وذيولها بين أرجلها
تختفي كبقع حبر في أعماق الليل الوامضة .

أخيرا ، رحلت .
هذا الصمت عجيب ـ انعتاق .
انظر كيف تخلف ظلال الحشرات الهاربة
آثارا دقيقة من رطوبة على الجدار ،
أجراسا دقيقة سترن بعد دقائق قليلة .
وذلك الوهج الأرجواني في البعيد ، كشيء مريب :
القمر شعلة نار صغيرة ، وحيدة بعيدا وراء الأشجار ،
والمداخن ودوارات الرياح بالبيوت
التي تلتهم القراص الكبير والجرائد القديمة ،
لتخلف وراءها قبولها ـ
بحياة بلا أمل ، بلا انتظار ،
بعبث قابل للاثبات :
تمجيد قريب يمتد الى البراري التي لا تجفل ، الى حافة الطريق
والوميض الشبحي القاسي لقطة ما .

حينما يظهر القمر ، تغوص البيوت في السهل الى أسفل ،
وتصدر سيقان الذرة صريرا مع الصقيع ، أو قانون التكاثر ،

وتلتمع جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
المحصودة في حرب صامتة ،
وتعلق الشارات فوق الدكاكين الصغيرة المغلقة ،
كنبوءات شهدنا تحققها ٠

لا بد أن المزارعين كلهم ـ الآن ـ نائمون ،
وأياديهم الضخمة مستقرة على بطونهم ،
والطيور ـ بمخالبها الصغيرة ـ تقبض ، في ارتخاء ، على
غصن في نومها ،
كأن الاستمرار لا يحتاج الى مجهود ،
كأن المجهود لا شيء أبدا ،
كأن شيئا لم يحدث ،
ولا شيء على وشك الحدوث ـ
هكذا بخفة بالغة ، تبدو السماء كما لو دخلت أجنحتها ،
كما لو ان شخصا ما يسير في ممر طويل بمصباح في يده
وكل نوافذه مفتوحة على آخرها ،
بينما في الخارج ، في الساحة، ترعى الماشية في سلام كامل،
كما لو خارج الزمن ٠

أحب هذا الصمت الشافي ٠
في شرفة قريبة ، امرأة تمشط شعرها الطويل ،
تفرده بجانبها ، ومخاوفها الداخلية تتنهد في ضوء القمر ٠
يصبح العالم سائلا ، زلقا ، مرحا ٠
الأباريق الكبيرة في الحمامات تصب الماء فوق أكتاف وصدور
الفتيات ،
والصابونة الصغيرة المعطرة تنزلق على القرميد ،
تنبثق الفقاعات خلال أصوات الماء والضحك ،
تنزلق امرأة وتهوى ،

وينزلق القمر من ضوء السماء ،
يصبح كل شيء زلقا بالصابون ،
ولا يمكنك أن تمسك به ، ولا ــ حتى ــ بنفسك :
هذا الانزلاق والسقوط العاجز هو الإيقاع المتوالد للحياة :
تضحك النساء وتسقطن بيضاوات كأبراج من رغوة، بلا وزن
فوق الأحراج الصغيرة لأفخاذهن ٠
هل تشبه السعادة ذلك ؟

ان بقاءنا هنا هذه الليلة يضعنى فى موقف بين بين ٠
وبالكاد يمكننى التمييز :
هناك ــ ربما ــ أقنعة كبيرة مهشمة ، وزخارف من حديد
وصندل الميت يتوه فى الرطوبة ،
يتحرك من تلقاء نفسه كأنه يمشى بلا أقدام لا تمشى :
والشبكة الكبيرة فى حوض الاستحمام ــ من الذى نسجها ؟ ــ
عقدة عقدة ، سوداء ، لن تحل ــ لم تكن أمى ٠

ظل بلا حدود ينتشر فوق القناطر ٠
حجر يتقلقل ويهوى أسفل واجهة الجرف ــ
لكن لا أحد كان يسير هناك :
ثم لا شيء ٠
ومن جديد ، غصن ينكسر تحت أوهى ثقل للسماء ،
وضفادع صغيرة تقفز بلا صوت فى رشاقة خلال العشب
المبلول ٠

سكون ٠
فأر رمادى يسقط فى الآبار ويغرق ،
وسط الأشكال البطيئة ، المتخثرة لدائرة البروج ،

هناك يرمون ببقايـا المآدب من الأباريـق والكراسى وأكواب
النبيـذ والمرايـا ،
وعظام الحيوانات والقياثر ، وكلمات الحكمة .
ولا تمتـلىء الآبـــار أبـــدا .

شىء ما يشبه أصابع اللهب والندى يمر - متعاقبا - خـلال
صـــدورنا ،
يرسم دوائر حول الحلمة مثلما حول ضحيـــة ،
ونحن أنفسنا منطلقون ، دائـرة فوق أخـرى ،
حول مركز غامض فوق الادراك ، لكنـه راسـخ :
لوالب لا نهائية حول صرخـة كظيمـــة ،
جـرح من ســكين ،
والسكين ، فيما أظن ، مغروسـة فى قلبنـــا ،
لتصـبح المركز ،
كالوتـد فى منتصف سـاحة الدراس ، على التـل ،
والأحصنة ، والقمح ، والفوانيس ، والبغالـة ، والحصادون
يستلقون أمام أكوام التبن ، والقمر يريح رأسه على أكتافهم ،
وهم يستمعون الى الأحصنة تصهل عند حدود النوم ،
الى الثور وهو يبول على الصفصاف والشجيرات ،
الى الخطوات الألف لـ « أم أربع وأربعين » على الصرير الخزفى،
الى الأفعى الكسولة وهى تزحف على بطنها خلال أجمة الزيتون،
الى صوت الأحجار التى ألهبتها الشمس وهى تبرد وتنكمش .

هناك كلمة صامتة عن الحب ، موصدة - أبدا - فى أفواهنا،
كحصاة أو مسمار ناتىء فى صندلنـــا :
لا نكلف أنفســنا عنـــاء التوقف وخلعـه ،
أن نحـل السيور ، فنتـأخر :

نحن أسرى الايقاع اللاواعى للرحلة فيما وراء الوجع الأليم
للحصاة ،
فيما وراء ما يلح على تذكيرنا بتعبنا ، وارجائنا .
ولربما نحس — حتى — ببعض الوهن ينخس الابتهاج
حين نتذكر أن الحصاة من شاطىء نكن له محبة خاصة ،
تمشية سارة ، مفعمة بالأفكار المضيئة والصور المنثالة ،
ونحن نستمع الى هذر التجار فى مقهى الشاطىء ،
والى أغنية البحارة ، وأغنية البحر :
أبعد ، أبعد ، مفقود ، أقرب ، غريب ، ملكنا .

لقد توقفت ، تلك المرأة البائسة .
وتلتمع جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
كأننى أستطيع أن أسمع حقيقة كلماتها في صمتها —
مباحة فى غضبها ، مقهورة ،
وشعرها يسقط على كتفها فى مرارة كزهور جنائزية —
مكفنة فى صدقها الهزيل .
ربما تكون — الآن — نائمة ، ربما تحلم ببلد بلا خطيئة ،
بماشية أليفة ترعى وسط بيوت مطلية بالأبيض ،
وشذا الورود والخبز الساخن .

لا أعرف السبب ،
لكننى فكرت — فحسب — فى تلك البقرة
التى رأيناها هذا المساء فى السهل الأتيكى — هل تذكرها ؟
متحررة من النير ، وقفت تحملق فى البعيد
وريشتا البخار من منخريها تضببان أرجوان الغروب، وذهبه،
وبنفسجه .
صامتة ، تتحمل جراحا جديدة فى ضلوعها وظهرها ،
علامات للضرب على وجهها ،

كأنها جـاءت لتعرف الطاعـة والعصيـان ـ
فالعناد والحقـد يوجـدان متوافقين •

لقد وازنت أثقـل جزء من السماء بين قرنيها ، مثل تـاج •
ثم خفضت رأسها لتشرب من الجدول ،
ولسـانها المتخثر يلعـق ذلك السـائل الأبرد من صـورته السائـلة ،
كأنها بهذه الملاطفات الرحيبة ، الأمومية ، المحتومة ،
تلعق ـ في سكينة ـ جرحها الداخلى ، من الخارج ،
كأنها تلعق الجرح العميق ، الدائرى ، الصامت ، للعـالم ـ
فـربما يرتـوى عطشها •
من يدرى ، فربما لا يروى عطشنا غير دمنـــا •

وحين رفعت وجهها عن الماء .
دون أن تمس شـــيئا ، أو تمس
مهيبة كقديس ، رفعت بين القائمتين الأماميتين الراسختين فى المـــاء
بحيرة قرمزيـة ، صغيرة ، دائمة التحول ـ دما من شفتيها ـ
كخريطة للعالم تنتشر وتتلاشى تدريجيـا ،
متبددة كأن الدم قد انسرب الى شريان أرضى ، خفى ،
ليتحرر أخيرا ، أبعد من الألـم :
وكان أن عثرت هنـا ـ بالتحديد ـ على سكينتها ،
كأنها عرفت أن دمنـا أبدا لا يهدر ،
أن لا شىء أبـدا يهدر ، لا شىء ،
أن لا شىء قد أهدر فى هذا اللا شىء العظيم القاسى ، بلا عزاء ،
وغير المتكافىء فى النهايـة :
فادح العذوبة ، فادح العزاء ـ فادح العـدم •

فى ذلك تكمن لانهائيتنا الانسانيـة .
فلأى هدف ـ اذن ـ لهاثنا ، والحاحنا ، ومجدنـا ؟
بقرة مشابهة تتبعنى كظلى ـ غير مربوطـة .
تأتى معى من تلقاء ذاتها ،
هى ظـلى على الطريـق حين يظهر القمر ،
ظـلى فى غرفـــة مغلقـــة .
ولا تنسى أبـــدا :
فالظـل ناعـــم ، بـلا جسـد ،
وظـلا القرنين يمكن أن يتحولا بسهولـــة
الى جناحين مدببـين ليرفعاك فى الطيران ـ
كأن هنـاك طريقـة أخرى لعبور البـــاب .

ورغم أن ذلك غير هام، على نفس النحو، فاننى أتذكر عينيها :
عينين مظلمتين ، واسعتين ، بلا بصر ،
مســتديرتين كتلتين صغيرين من ظل أو زجاج أســود .
وكان هنـاك برج كنيسة ينعكس على الزجاج بلا وضـوح ،
مع طيور « الزاغ » الجاثمـة على الصليب ،
آنئذ ، صاح شخص ما ، ففرت الطيور من عيون الحيوانات .
كانت البقرة ـ كما أظن ـ رمز احدى الديانات القديمة .
لكن مثـل هذه الأفـكار ، وهذه التجريـــدات ـ
لا تعنى لدى شـيئا .
بقرة عادية مهمتها لبن الفـلاح ، والمحراث ،
مع كل حكمة عملها ، والصبر ، والفائـدة .
ومع ذلك ، ففى نفس اللحظـة الأخـيرة ،
قبيـــل أن تبـدأ الحيوانات فى العودة الى القريـة ،
استدارت الى الأفق وخارت بصورة تدعو الى الرثـاء
تبددت الغصون القريبة ، والعصافير والسنونو ، والأحصنة.
والأغنام ، والمزارعون ،
ليتركوها وحيدة ، وسط دائرة جرداء

انبثقت منها الكواكب اللولبية فى أعماق الفضـاء ،
الى أن تلاشت البقرة نفسها ، هبطت ٠٠٠
لا ، لا ــ أظن أنها كانت هنـاك فى القطيـع ،
صامتة ، طيعة ، تشق طريقها فى الممر المعشب نحو القرية ،
والذى كان ــ فى تلك الساعة ــ يضىء مصابيحه فى ساحات
تخفيها الأشـجار ٠

انظر ٠ شروق النهار ٠
الديك الأول يصـيح من وراء الأسـيجة ٠
يقظة البستانى : ربما يسـند شجرة فى الحديقة ٠
وهذه الأصوات المألوفة الحميمة لأدوات العمال :
المجارف والمنـاشير ، حنفية مفتوحـة فى الساحـة ، شخص
ما يغتسـل ، روائح التربـة ٠
ماء القهوة يغـلى فى البراد ،
نسيج ناعم من دخان فوق السطح، والأريج الدافىء للمريمية٠
هكذا ، عشنا ليـلة أخرى ٠

تعال ، ساعدنى فى رفع هذه الجرة التى تضم رمادى المزعوم ــ
فمشهد التمييز على وشك الابتـداء ٠
سيعثرون فى على الرجـل الذى ينتظرونـه ،
سيعثرون على « الرجل الحق » ، حسب قوانينهم ،
ونحن وحدنا اللذان سنعرف أن هذه الجرة
تضم ــ فى الحقيقة ــ رمادى ، رفاتى الحقيقى ٠
ووسط احتفال الناس بالصنيع الذى قمت به ،
سيكون لنـا ــ نحن الاثنين ــ أن نبـكى على السيف اللامع ،
المجيـد ، الدامى ،
نبكى هذا الرماد ، الذى كان ــ ذات يوم ــ لهذا الرجل ،
الذى يواجـه ــ فى مكان ما ــ رجـلا آخر ،

وجلد وجهه الممزق يختفى تحت قنـاع من ذهب ـ
قناع طاهر ، كريـم ، وربما ـ حتى ـ مفيد ،
فى شكله المنحوت الخشن ، كرمز أو تمثال ، كمخدر للشعب،
صورة للرعب من الطاغيـــة :
تدريب يدفـع التاريـخ الى الأمـــام ـ
مهما يكن ببطء ، وخراقـة ـ مع كل انتصار وموت متتابع ،
لا بأدوات أى وعى جديد رهيب (غير متاح للجماهير) ،
لكن من خلال بعض الأعمال الصعبة ، والايمان السهل ـ
ايمان صارم ، اجبارى ، وبائس ، معقود ألف عقـدة ،
حيث يتشبث به الكثيرون بأسنان وأظافر روح الانســان ـ
ايمان جاهـــل يمكن ـ كالنملة ـ أن يجترح معجزات تحت
غطاء الليـــل ٠

وأنا ـ غير المؤمن ـ قد اخترت هذا الايمان
(طـالما أنهم لا يختارونـــنى)
لكننى أفعـل ذلك عن وعى ٠
أختـار معرفـة وفعـل الموت الذى يهذب الحياة ٠
فلنمض الآن ، لا من أجـل أبى أو أختى
(لا بـد أن يجىء الوقت لأودعهم) ،
ولا من أجـل الانتقـام ، من أجـل الكراهيـــة ،
ولا ـ حتى ـ باسم العقـاب (من يعاقب من ؟) ـ
ربما ـ فحسب ـ من أجل استكمال برهـة وقت ما ـ
ذلك ـ على الأقـل ـ يظـل اختياريا ـ
ربما ـ فحسب ـ من أجل انتصار بلا معنى على خوفنا الأول
والأخـير ،
أو من أجل نوع ما من « نعـم » ، التى ستشرق غامضـة ،
بـلا فســـاد ،
فيما أبعد من كل منـــا ،
على أمل أن تساعد هذه الأرض على التنفس ٠
انظر كم هى جميلة هنـاك فى الشرق ٠

يمكن أن تكون رطبة قليــلا فى الصباح البــاكر فى الأرجو ـ
والجرة مثلجة تقريبـــا ، تلتمع بقطرات قليــلة من النــدى
كأن الفجر ذا الأصابع الوردية ، كما يقولون ، قد نضح عليها
دموعـــــا ،
وهو قــابض عليها بــين ركبتيـــه ٠
فلنمض الآن ٠
فالساعة الموعودة قد حلت ٠
لماذا تبتسم ؟ هــل اتفقنــا الآن ؟
أكان ذلك لأنك كنت تعرف كل شيء ، دون أن تتكلم ؟
هذه الخاتمة العــادلة لصراع أكثر عدالـــة ؟

فلتسمح لشفتى أن تقبــلا ابتسامتــك هذه المرة الوحيــدة
الأخــيرة ،
الآن حيث لا يزال لدى شــفتان ٠
فلنــذهب بها ٠ فمصيرى الآن واضـــح لى ٠
هيـــا بنـــا ٠

(حينما وصلا البوابة ، تنحى الحراس كأنهم كانوا يتوقعونهما ٠ فتح حارس البوابة العجوز الباب الكبير، مطأطئـــا رأســه فى احترام كالترحيب ٠ وسرعــان ما تصاعدت ـ من الداخل ـ آهة ثقيلة لرجل ، تلتها الصرخة المفاجئة الأليمة لامرأة ٠ ومن جديد ، سكون عظيم ، لم يكسره سوى طلقات الرصاص المتقطعة من الصــيادين فى السهل ، وزقزقــة الخضيرى والدورى الطنــان والشــحرور والقبرات غير المرئيــة ٠ طيــوز السنونو تنعطف ـ فى حــدة ـ على الجنــاح الشمالى للقصر٠ خلع الحراس ـ بلا حراك ـ قبعاتهم ، ومسحوا

الشريط الجلدى الداخلى بأكمامهم . وبعد لحظة ، انبثقت بقرة ضخمة تحت قوس بوابة الأسد ، وعيناها الكبيرتان الساكنتان الفاحمتان تحدقان عميقا فى سماء الصباح) .

بوخارست ، أثينا ، ساموس ، ميسيناى
يونيو ١٩٦٢ ـ يوليو ١٩٦٦

١٨ غنوة عن الوطن المرير

* اعـادة تعميـد

كلمات بائسة تلك التى تعمدت من جديد فى المرارة والعويل
لتثمر أجنحة وتبدأ فى الطيران ، كطيور تبدأ فى الزقزقة ٠

أما هذه الكلمـة ، الأكثر تفردا ، الكلمة السريـة للحريـة
فانها ــ بدلا من الأجنحة ــ تنبت السيوف وتمزق الريح اربا٠

* حديث مع وردة

بخور مريم، وردة بخور مريم صغيرة داخل شق صخرى عميق
أين وجدت الألوان لتزهرى ، من أين الساق لتتماوجى ؟

داخل الشق ، قطرة قطرة ، أنسـج الدم الذى ظللت ألملمه
منديلا ورديا ، وألملم ــ الآن ــ الشمس ٠

* الانتظـار

أصبحت الليالى طويلة طويلة بكل هذا الانتظار الذى لا ينتهى
حتى أن غنوتنا مدت لها جذورا وكبرت بطول شـجرة ٠

وأولئـك المقيدون فى أغـلال من حديد وأولئك البعيدون فى
المنفى
يحاولون أن يطلقوا تنهيدة مريرة ــ فتنبت ورقة حور ٠

* الشعب اليونانى

كثيرا ما يواصل اليونانيون القتال بدون سيوف أو رصاص
من أجل شعوب العالم ، وخبزهم ، وأغنيتهم ، وضوئهم ·

تحت لسانهم يحتفظون دائما بالعويل والهتاف
واذا ما بدأوا فى الغناء عنهم ، فستشق أغنيتهم الصخور ·

* طقس جنائزى

الجد يقف فى ركنه ، وعشرة أحفاد فى الركن الآخر
وعلى المنضدة رغيف خبز ، مع تسع شمعات فوقه ·

الأمهات يمزقن شعرهن ، والأطفال محتفظون بهدوئهم
ومن النافذة تنظر « الحرية » وتنوح ·

* فجر

عظيم فى البهاء ومترع بالشمس ، الفجر الرهيف للربيع
لكن أين من له عينان لينظر اليك ، ومن هناك ليحييك ·

فى موقد البخور جمرتان وبضع حبات بخور
وصليب أسود ، مرسوم بالسبناج ، على عتبة باب وطننا ·

* غير كاف

متواضع وبليغ لكنه يرى بضع كلمات على الأرض
يظنها ظل طائر صغير وظل الأعالى ·

هل يعلن ذلك ، وما الفائدة ، فالسباب وحده لا يكفى ·
آه ، بلا عمل تتعلق بندقيته الحزينة فى شجرة الكمثرى البرية ·

* يــوم أخضر

يوم أخضر ، يتلألأ فى الشمس ، منحدر جميل لتـل منسوج
من أجراس وثغاء الماشـية ، من آس وخشخاش ٠

الفتـاة تنسـج أشـياء المهر ، والشـاب يجـدل السـلال
وقطعان الغنم على طول الشاطىء ترعى الملح الأبيض ٠

* طقـس ديـــنى

تحت أشـــجار الحـور سرب طيـور وقباطنـــة متمرديـن
يبـدأون معا طقسـا دينيـا مع مايو الجديـــد ٠

الطابـق الأرضى للوطن تضـيئه أوراق الأشـجار كالشموع
ونسر كبير يقرأ ــ من أعلى ــ الأناجيـــل ٠

* المـــاء

ماء قليـل من الصخرة ، تطهر بالصمت
وبسهر الطائـــر ، وظـــل الدفـــلى ٠

يشربـه المطاريد فى السر ويرفعون أعنـاقهم عاليـــا
تماما كالعصافير ، يباركون اليونان ، وطن الفقراء ٠

* نبـــات بخـور مريـم

طائر صغير ، وردى اللون ، مربوط بخيـط نحيـــل
وبجناحيـه الصغيرين الملتويين يرفرف تحت الشمس ٠

اذا ما نظرت اليه مرة واحدة ، فسيبدأ فى الابتســـام
واذا ما نظرت مرتين أو ثلاثا ، فستنطلق فى الغنـــاء ٠

* فتيــات نحيــلات

فتيات صغيرات نحيلات بامتداد الشــاطيء يجمعن الملح
ممرورات ، محنيــات ـ لا ينظرن الى المحيــط ٠

هناك فى الخارج ، شراع ، شراع أبيض أبيض يوميء اليهن من
الزرقــة
وعندما لا ينظرن اليه ، ينقلب الى أسود من الأسى ٠

* الكنيســة البيضــاء

الكنيسة البيضــاء ، على المنحدر ، التى تواجــه ـ مبــاشرة ـ
الشمس
تطلق الرصاص من خلال نافذتها الضيقة والقديمة ٠

وجــرسها المربــوط عاليــا ، أعلى من أطول شــجرة دلب
يستعد طوال الليل ليدق احتفالا بعيد « الشعب المقدس » ٠

* تــذكار

الشــبان الشجعان سقطوا فى المعركة ، محافظين على رأســه
مرفوعــة
لن يهال عليها الطين ، لن يمسه أبــدا الدود ٠

الصليب فى عنقــه كجناحــين ، وما يزال يندفــع عاليــا
ينضــم الى نســور قويــة هناك والى ملائــكة من ذهب ٠

* هنــا الضــوء

هذه الكتل الرخامية الناصعة البياض لن يلوثها أى صدأ قبيح
ولا يمكن ليونانى أو لريــح وحشية أن تقيــد من كاحلها ٠

هنا الضوء ، هنا البحر ــ ومضات ذهبية وزرقاء فاتحة ،
وعاليا على الصخور ينطلق الدب حرا، محطما الأغلال الحديد.

* تزايــد

كيف للبيت أن يبــنى ، من سيركب الأبواب فى أماكنها ،
طالما أن الأيــدى العــاملة هنــا قليلة ، والأحجار ثقيــلة ؟

فلتصمت ، فالأيدى ستزداد ــ أثناء العمل ــ عددا وقوة
ولا تنس أن الموتى أيضــا يقومون بالمساعدة طوال الليــل .

* ضمــان

صامتــة هنا كل الطيور ، والأجراس أيضا صامتة
وصامت اليونانى المزير وجميع موتــاه حولــه .

وعلى هذا الصمت ، كما على صــخرة ، يسن أظــافره ،
وحده ، بلا مســاعدة ، نحو حريــة مضمونة أبــدا .

* من أجل روميوسينى لا تبكوا

لا تبكوا من أجل روميوسينى : عندما يلتف على عنقها الطوق ،
والسكين تدنو من العظم ، على حافــة الاحتضار ،

فهنا سوف تثب ، مبتدئــة من اللا شيء ، الى القوة والعنفوان
وتطعن الحيوان الوحشى بشمس كأنها حربــة .



* معنى البسـاطة

أتخفى وراء الأشـياء البسـيطة كى تعثروا على ،
وان لم تعثروا على فسـتعثرون على الأشـياء ،
ستلمسون ما لمسـته يـدى ،
وتمتزج بصـمات أيدينـا ٠

قمر أغسطس يتوهـج فى المطبخ
مثـل قـدر مطـلى بالقصـدير
(أخذ هذ الشكل بسبب ما أقوله لك) ،
يضىء المنزل الخاوى والصمت الراكع للمنزل ـ
دائما ما يظـل الصمت راكعـا ٠

كل كلمة باب للقـاء ،
لقاء من ليس فى الحسبان ،
ذلك حين تكون الكلمة صادقة : حينما تتمسك باللقاء ٠

* جـوع

انقضى الليـل بفمـه الملىء بماء أخـرس ٠
فى الصباح ، أشرقت الشمس مبلولة على الخطوط المتعرجة ٠

ظلال الوجنة ، ظلال الصارى ، الرحلات ـ
رأيناهم واضحين ـ وجوعنا لم يشبع ٠

كان شخص ما يصيح وراء الجبل ،
وشخص ما آخر وراء الأشجار ، وآخر من جديد ،
ومن جديد الامتداد الأقصى للغروب ـ
أين يجب أن نجرى ، أى طريق أولا ؟
هل يمكن أن نكون الأشخاص الذين كانوا يصيحون ؟
والجبال تصبح أكبر وأكثر حدة
مثل أسنان الشخص الجائع ٠

* وجه

وجه صاف ، صامت ، وحيد تماما
مثل وحدة كاملة ،
مثل انتصار كامل على الوحدة ٠
هذا الوجه ينظر اليك بين عمودين من ماء ساكن ٠

وأنت لا تدرى أى الاثنين يستحثك أكثر ٠

* صيف

النوافذ الأربع معلقة تنظم رباعيات
عن السماء والبحر فى الغرف ٠
شجرة خشخاش وحيدة
ساعة فى معصم الصيف ،
تعلن الثانية عشرة ظهرا ٠

وهكذا تحس بشعرك تقبض عليه أصابع الشمس
لترفعك حرا فى الضوء الريح ٠

✻ ربما ، ذات يوم

أريد أن أريك هذه الغيوم الوردية فى الليل ٠
لكنك لا ترى ٠ انه الليل ـ
فماذا يمكن للمرء أن يرى ؟

الآن ، لا اختيار عندى سوى أن أرى بعينيك ، قال ،
وبذلك ، لا أكون وحيدا ، لا تكون وحيدا ٠
وفى الحقيقة ، لا شىء هناك فى الأعلى حيث أشرت ٠

وحدها النجوم تزاحمت معا فى الليل ، متعبة ،
كهؤلاء العائدين ـ فى عربة نقل ـ من نزهة ،
محبطين ، جائعين ، لا يغنى منهم أحد ،
بزهور برية ذابلة فى أيديهم الغرقانة ٠

لكننى أصر على الرؤية وأن أريك ، قال ،
لأنك ان لم تر أنت أيضا ، فكأننى لم أر ـ
سأصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك ـ
وربما ذات يوم ، من اتجاه مختلف ؛ سوف نلتقى ٠

✻ اكتفاء ذاتى ؟

الصباح الخاص حمل الشمس على ظهره
وهو يتسلق التلال الأتيكية
كشاب يحمل أكورديونه ٠

انقضت الليلة الأخيرة بمتعتها ،
وبخوفها من متعتها .
انقضى أيضا ذلك الحزن الذى لم يأمل فى انتهائه .

أشجار الصنوبر ، والشمس ، والنوافذ – هناك .
تحت الأشجار كرسيان . لماذا هما اثنان ؟
آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجليك .

* اتفاق نهائى

عندما ضرب المطر زجاج النافذة بأحد أصابعه ،
انفتحت النافذة الى الداخل .
أهو صوتك ؟
صوتك تشكل فى أذنيك .
وفى الطرف البعيد هناك وجه ، وصوت مجهول –
فى اليوم التالى ، زحفت الشمس الى الحقول ،
مثل نزول الفلاحين بالمناجل والمذارى .
وخرجت الى الطريق تصيح ،
دون أن تدرى علام تصيح ،
لتتوقف برهة وابتسامة تحت صوتك ،
مثلما تحت المظلة القرنفلية ، المشرقة
لامرأة تتمشى بامتداد سياج حديقة .
هناك ، أدركت – فجأة – أنه كان صوتك الحقيقى
متوافقا مع كل الأصوات غير المتشككة
التى تملأ الهواء .

* اعادة تشكيل

ما تسميه سلاما أو انضباطا ، شفقة أو لامبالاة ،
ما تسميه فما مغلقا على أسنان مطبقة ،

لتشير الى الصمت العـذب للفـم ،
وهو يخفى الأسـنان المطبقـة ،
هو ـ فقط ـ الاحتمال الصبور للمعـدن
تحت المطرقـة النافعـة ،
تحت المطرقـة الرهيبـة ـ
هو معرفتك بأنك تنتقل من اللاشكل الى الشـكل .

* فجـاة

ليلـة هادئـة . هادئـة .
وقد توقفت تنتـظر .
كانت ـ تقريبـا ـ آمنـة .
وفجأة ، لمسـة على وجهك ، مفعمـة بالحيويـة ،
من شخص غائب . سـيأتى .
ثم صوت المصاريـع وهى تنغلق بنفسها .
الآن ، تتزايـد الريـح .
وأبعـد قليـلا ، كان البحر يغرق فى صوتـه .

* سـيرك

سيرك ليـلى ، الأضواء ، الموسـيقى ،
العربـات الوامضـة بامتداد الشـارع .
عندما تنطفىء الأضواء فى المنطقة المجاورة
عندما تلقى الملاحظة الأخيرة كورقـة جافـة ،
تبدو واجهة السـيرك
مثـل طاقـم ضخم من أسنان مستعارة
آنئذ ، تنام آلات النفخ النحاسية فى صناديقها ،
وتسمع الحيوانات تخور على المدينة ،
والنمر يحدق فى ظله ، فى قفصـه ،
يخلع مروض الحيوانات رداءه ، ويدخن سيجارة .

وبين حين وآخر تضيء المنطقة المجاورة
عندما تومض عيون الأسود خلف القضبان ·

* أصيل

في الأصيل سقط الجص كله، وحجارة سوداء، وأشواك جافة·
للأصيل لون صعب صنعته خطى عجوز تعرج فى المشى ،
وجرار قديمة مدفونة في الباحة ، يغطيها التعب والتبن ·

قتل اثنان ، قتل خمسة ، اثنا عشر ـ كثيرون كثيرون ·
كان لكل ساعة قتلها ·
خلف النوافذ وقف أولئك المفقودون ،
والاباريق المملوء بالماء الذى لم يشربوه ·

وتلك النجمة التى هوت على حافة المساء
تشبه الأذن المقطوعة التى لا تسمع الجداجد ،
لا تسمع تبريراتنا ـ لا تنزل لتسمع أغانينا ـ
وحيدة ، وحيدة ،
وحيدة ، معزولة تماما ،
لا تبالى بالادانة أو البراءة ·

* فهم

الأحد · أزرار السترة تومض
مثل ضحكة متناثرة · الأتوبيس رحل ·
أصوات سعيدة ـ
غريب أن تكون قادرا على أن تسمع وتجيب ·
تحت أشجار الصنوبر عامل يتعلم العزف بآلة نفخ ·
وامرأة قالت صباح الخير لشخص ما ـ

صباح خير بسيطة وطبيعية
حتى أنك ـ أيضا ـ ستحب أن تتعلم
كيف تعزف بآلة نفخ تحت أشجار الصنوبر ٠

لا قسمة أو طرح ٠
كى تستطيع النظر خارج نفسك ـ دفء وسكينة ٠
لا أن يكون « أنت وحدك » ، بل « أنت أيضا » ٠
اضافة صغيرة ، حسبة عملية صغيرة ،
سهلة الفهم ،
الى حد أن طفلا يمكنه حلها ،
وهو يلعب بأصابعه فى الضوء ،
أو يعزف بآلة النفخ تلك للمرأة التى تسمع ٠

* نسخة مصغرة

وقفت المرأة أمام المنضدة ٠
تبدأ يداها الحزينتان فى تقطيع شرائح ليمون نحيلة للشاى
مثل عجلات صفراء لعربة صغيرة جدا
مصنوعة لاحدى حكايات الأطفال ٠
الضابط الشاب الذى يجلس فى المواجهة
مدفون فى الكرسى القديم ٠ لا ينظر اليها ٠
يشعل سيجارته ٠
يده التى تمسك الكبريت ترتعش ،
وهى ترمى بالضوء على ذقنه الرقيقة
ويد فنجان الشاى ٠

أوقفت الساعة دقتها برهة ٠
شىء ما تأجل ٠

مرت البرهة . فات الوقت الآن .
فلنشرب شاينا . أيمكن للموت ، اذن ،
أن يأتي في عربة من هذا النوع ؟
يمر علينا ويمضي ؟
ويكون لهذه العربة وحدها أن تبقى ،
بعجلاتها الصفراء الصغيرة المصنوعة من ليمون ،
متوقفة لسنوات طويلة في شارع جانبي منطفىء ،
وبعدها غفوة صغيرة ، وضباب قليل ،
ثم لا شيء ؟

* نساء

النساء بعيدات ، بعيدات .
تفوح ملاءاتهن ب « تصبح على خير » .
يضعن الخبز على المائدة حتى لا نشعر بأنهن غائبات ؟
تدرك ــ آنئذ ــ أنه خطأنا .
ننهض من الكرسي ونقول :
« لقد بذلت اليوم جهدا شاقا » ،
أو « دعيه ، سأضيء المصباح » .

عندما نشعل الكبريت ، تستدير ببطء
وتخرج الى المطبخ في احتشاد غير مفهوم .
ظهرها تل حزين ممرور ، مثقل بموتى كثيرين ــ
موتى العائلة ، موتاها ، وموتك .

وأنت تسمع خطواتها تفرقع
على ألواح الأرضية العتيقة ،
تسمع الأطباق تصرخ في الرف ،
ثم تسمع القطار الذي يأخذ الجنود الى الجبهة .

* لوحـة ثلاثية :

١ — الى أن حل الظلام :

أمسك بيدها فى يده • لم يتكلم •
سمع بعيدا ، وربما داخله ،
البحر ، وأشجار الصنوبر ، والتلال كانت يدها •
ان لم يقل لها ذلك ، فكيف يمكن أن يمسك بيدها ؟

كانا ساكنين ، الى أن حل الظلام •
وتحت الظلام ، لم يكن هناك
غير تمثال بيدين مكسورتين •

٢ — امرأة :

تلك الليلة : وهى عسيرة المنال ، لم تقبل أحدا —
وحيدة فى خوفها من عدم وجود من يقبلها ،

بخمسة أصابع من نجوم تخفى جميلة تشعر بيضاء ،
وهى جميلة مثل انكار ذاتها الفاتنة •

٣ — لماذا هو خطأنا ؟

تحت لسانك بقايا رقيقة من سمك البوري ،
بذور عنب وألياف خوخ
فى ظل رموشك بلد دافىء •
يمكننى أن أتمدد وأسترخى بلا سؤال ، قال •

ما الذى يعنيه ذلك الآن • هذا البعيد أمامنا • ؟
لماذا هو خطأك • دون شك ، أن تظل وسط الأوراق —

جميلا ، بسيطا ، فى الشكل الذهبى لحرارتك ؟
ولماذا هو خطئى أن أمضى قدما فى الليـــل ،
سجين حريتى ، قال ، أعاقب المعاقب ؟

* ممطـــرة

موسيقى ليلـــة ســبت بائســـة
تأتى من مدرســة الرقص المجاورة .
موسيقى بائســة ، مثلجة ، بأحذيــة خشبيــة ــ
فى كل مرة ينفتح البـــاب غير المطلى
تنـــدفـــع الموسيقى خارجــة الى الشوارع ،
ترتعش تحت الضوء ــ فى الركن ،
تحدق فى نافذة عاليــة أو فى الليـــل ،
ثم تهبط بنظرتها الى الطـــين ،
باحثــة عن شىء ما ، منتظرة شيئا ما ،
كأن شخصا ما مريض ، وأبطأ الطبيب فى المجىء اليـــه .

موســـيقى بائســـة . برد .
لا أحـــد يفتح نافذة ليقدم لك قليلا من الضوء ،
أو بعض الزبيب الأسود ،
ليقول لك : اننى أذكر ــ منذ عشرين عاما أو ثلاثين ــ
بعض الأصوات من عربات قديمة فى المطر ،
مشهدا طبيعيا ضبابيا مرسوما على نظارات «تيلوس أجراس» .

لكن الأحذيـــة طينية ومليئـــة بالثقوب ،
الأزواج يهربون الى الشارع . لا يسمعون .
رجـــل يتوقف بجوار الحائط .
لا . لا يســـــمعك .

يلصق شيئا ما بالحائط .
والسكين وحدها على المائدة فكرة ، ومضة ضوء .

موسيقى بائسة ، ان استطعت أن تتوافق
فلتتأت عبر فتحة ابط الجوار .

* نفس النجمة

الأسقف تلتمع ـ مبلولة ـ فى ضوء القمر .
النساء يتدثرن بالشيلان .
يندفعن ليختبئن فى منازلهن .
واذا ما ترددن قليلاً على العتبة
فسيمسك بهن القمر صارخا .

ذلك الرجل يشك فى أن كل مرآة
بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسة فى عريها ـ
تقريبا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ .
تستغرق فى النوم وهى تتشمم نجمة .

ويستلقى يقظانا وهو يتشمم نفس النجمة .

* نتيجة

هذه النافذة وحيدة .
هذه النجمة وحيدة .
كسيجارة منسية على المنضدة ـ
تدخن ، تدخن فى الزرقة ، وحيدة .

وأنـا وحيـد ، قال ·
أشـعل سيجارتي ، أدخن ·
أدخن وأفكر · لست وحيـدا

* ننتظـر

ببطء يحل الظـلام حولنـا · لا نستطيع النوم ·
ننتظر الصباح · ننتظر الشمس
أن تضرب صفيح السقيفة مثـل شاكوش ،
أن تضرب جباهنـا ، وقلوبنـا ،
أن تصـبح صوتنـا
وأن يصـبح الصوت مسموعـا ـ
صوت مختلف
لأن الصمت ملء بطلقات البنادق من أماكن مجهولة ·

* هـل تسـتطيع ؟

رأينـاه يركـع فى أقصى الأوضـاع عموديـة ،
ينفخ تحت القـدر النحاسى الضخم
ليطعم النـار باستهلاك نـاره ·
نافـد الصبر ، وهو ينفـخ بقـوة ،
يكبحه جلده ، عاجزا عن التـلاؤم داخلـه ·

ارتعش الضوء فى الأفـق
عنـدما انفتحت عروقـه وانغلقت ·
من نبضه انتفـخ لحـاء الكروم
ودفـع الأوراق الجديدة مدومـة بلا حركـة ·

هكذا ، منحنيـــا ،
أنفق نفســه من أجـل أن تظـل منتصبين ،
أنت وأنا ، دون أن يفكر مرة واحــدة
أننـا مدينون له ، ذات يوم ، بشيء .

كيف ـ اذن ـ يمكنك أن تظل منتصبا على الأقــل ؟

* الشـــكر

لن تقول شـكرا لي ،
مثلما لا تقول شكرا لدقـات قلبـك
وأنت تنحت وجـــه حياتـــك .

لكنني سأقول لك شـكرا
لأنني أعرف ديني لك .

هذا الشـكر هو أغنيتي .

★★★

* نقـاهة الطفولـة

فلنغلق أعيننـا برهـة
ليمكننا أن نسمع الأم وهى تغسل الأطبـاق في المطبخ
ليمكننا أن نسمع السـكاكين والشوكات وهى تسـقط فى الدرج
ليمكننا أن نسمع حفيف ثوبها فى الممر
وابتسامة السيدة العذراء تطوف بحاجز الأيقونات .

في الغد لن نكون مرضى بعد : انظر فى الترمومتر .
ما يزال دافئـا من ابطنـا . .
أبانـا الذى فى السمـاء
فلتقل لابنـة عمى الصغيرة أن تأتى غـدا
كى نستطيع أن نقوم بنزهـة قصيرة فى الغابة مع الأيـل .

سـأجمع لوزا طازجـا لها .
أيل أزرق سـياتى ، يا أبانـا ،
لنستطيع النوم
أيـل أزرق أزرق
يـا أبانـا
الذى
فى السمـاء .

* تــأخير

متأخرون دائما . وساعتنا أيضا مخطئة . بطيئة .
نبحث عن مقعـد فى الظـلام ،
مثـل تلك المرة فى نهاية المسرحيـة
ـ مر وقت طويـل من العرض ـ
ونحن نسقط على ركبنا فى الممشى وفوق المساند الخلفية .
وفجأة يضيئون الأنوار وسط التصفيق .
ونحن واقفون ، ما نزال نبحث ، كأنهم يصفقون لنـا
نحن من لا نسـتحق .
انتهينـا الى أول مقعـد
ونحن ندوس على أقدام عجوز قبيحة .
لم تصرخ .

* تبـديد

بددنـا نظرات ، وكلمات ، وحركـة .
فى الظهيرة سنحدق ـ نحو البحر ـ فى خسارة ما
بين أصوات زيز الحصاد ، بين الأوراق ـ
نظرات مبعثرة كى لا نرى ما بأيدينـا .
فى المساء أخفت العتمة ظلالنا المتناثرة .
مقعد خشبى ، طويـل ، ضيـق
مع قمصان رياضيـة ليست للبيـع
منتصب خارج الطريق فى الميدان المجاور .
فاح الميدان برائحـة شموع منطفئة .
ما من ذريعـة أخرى لنـا
غير الاستماع الى فواق نجمـة خلف البـاب .

* نمط الاكتساب

أيا ما كان ما تمسكه في يدك
بكل هذا الحرص ، بكل هذا الحب ،
مهما كان ــ بكامله ــ ملكا لك ، يا رفيقي ،
فعليك بالتخلي عنه
ليمكن له أن يصبح ملكا لك ·

* حنان منسي

كانت الجدة امرأة طيبة ، كانت هادئة ·
بجانب عينيها كانت هناك تجاعيد دقيقة كثيرة
كتجاعيد مفارش الشاي المطرزة بعناية ·
كان لها أيضا قلب خفيف
مثل حقيبة صغيرة ملأى بالقطن ·

رحلت الجدة ·
ربما ذهبت لتغزل قطنها على حافة مستوقد الليل العظيم ·
لكن كيف أمكن للجدة أن تخرج من المنزل ، وفى المطر ،
بل وحتى دون أن تأخذ شالها الصوفي ؟

الفتاة الصغيرة تبكى فى كرسى المدخل ·
المطر الخفيف يبكى أيضا على سلالم كنيسة « الكومينوس » ·
لم يبك أصغر الأحفاد ، وهو يرى كم هو جميل
أن يبكى المطر والسلالم والكرسى والفتاة الصغيرة جميعا
على الجدة الصغيرة التى تنسج الآن صوفها الخفى ·

* كسل

جلس وحيدا فى ظلام الغرفة يدخن ·
ما من شيء كان يرى ·

وومضة سيجارته وحدها تحركت ببطء ، بين حين وآخر ،
باحتراس ، كأنه كان يطعم فتاة مريضة بملعقة من فضة ،
أو كأنه كان يداوى جرح احدى النجمات بمبضع صغير .

✻ أيـدى

كثيرا ما تشبه الأيدى الوجـوه أو الأجساد بكاملها .
هذه الأيدى تبـقى كسولة فى الربيع المبتسر ،
تعطس ، تكح ، تشكو ، تصمت ،
كعجوزين على كرسيهما ، وأزرارهما مفتوحـة ،
بأعضائهما التناسـلية الذابلة فى الشمس .
فى المواجهة ، امرأة ترضع طفلها .
ويداهـما ، برغـم سـكونهما ، عداءان عاريـان
فى حلبـة شاسعة من رخـام .

✻ تقويـم مكتبى

شهور على شهور ، أسابيع ، أيـام ـ عام غير معروف .
أبريل بنظارات قصر النظر على دكة الحديقـة .
يوليو يمنعك من النوم وحيـدا .
سبتمبر يتـذكر المنـازل المغلقـة ـ
وردتان من ورق ومشط بأسنان كبيرة على المنضـدة .
فى نوفمبر يحمل رجـل ما حجرا على ركبتـه .
يناير ، فبراير ـ الجميع ذهبوا الى الخـارج
ملامح اليـأس من الريـح
فى واجهة البـاب الزجاجى للفنـدق المغلق .
ثم تظهر خادمـة النهار الصـامتة فى الفجر
بممسحة كبيرة لتنظيف النوافـذ .

* ليـــلى

الليـــل يعريك ، يـداه ترتعشـــان .
عاريـــا تماما ، يلتمع جسـمدك فى الظـــلال .

ذلك الصفر الحكيم الذى اعتصر رقابنــا
ينقسـم فجأة نصفين
كبيضـة مسلوقـــة تنشطر بسـكين .

* نقطـــة

هديـر عميق يطن حـول كل نجمـــة .
قوة ما سريــة ، محزنـــة
أعتمت الأشـــجار .
نقطــة الجذب الوحيـــدة فى العتمـــة :
دوائر ضوء لمدة دقيقتين ،
وركبتـــا المرأة الصامتـــة .

* اقتصـــاد

لا أريـــد أى شيء ، قال .
انــه يشـبه ذلك تمامـا .
فما يرى طوال الخريف كله
غير النوافـــذ المغلقـــة لبيت المســـنين .

ذلك الحبل الذى استخدموه فى ترويض الحصان
مرمى الآن وحيـــدا حـول جـــذع الشـجرة .

* الوحيــد

ذلك الذى توقعوه ـ لبعض الوقت ـ لم يحدث ٠
فى الشرفــات ، أنزلوا الأعــلام ٠
الجدران تفوح ـ بقوة ـ بالغربـة ٠
السند الوحيد ـ الآن ـ هو الافتقار لأى تبرير ٠

* نفس الشـوكة

وقف الليـل فى مواجهتنـا ،
تماما كواجهة لدار أيتام من طابقين ، مغلقة النوافـذ ٠

فى اليوم التـالى ، أخرجت امرأة ـ تحت الأشجار ـ
شوكـة من باطن قـدمها ـ

نفس الشوكـة التى ندوسها كل يـوم ٠

* مؤكـد ـ غير مؤكـد

العـالم سلسـلة طويـلة من أغـان
عليـك أن تغنيها ، قال ٠
العـالم شـجرة ملأى بفـاكهة
لا يقطعها غير سـيف ٠

السـيف يقطـع الأغنيـة ٠
والأغنيـة تثـلم السـيف ٠
فما الذى تختـار ؟ قال ٠
كيف يمكنك الاختيار بين ما تم اختيـاره بالفعـل ؟
العـالم أغنيـة عميقـة مغلقـة ٠

* الذى لم يرقص

حرك أصابعه الضخمة على المنضدة
كأنه يغمسها فى نهر • لم يتكلم •
وجهه مصبوب فى حديد •
أحس بصهيل حصان أحمر
يحمحم داخل غرزات سترته •
لم يرقص • رمى بعملات كبيرة ، غليظة
الى عازفى الكمان كى يرقص الآخرون •

* تخطيط

يحل الظلام • والنساء الفقيرات مازلن ينتظرن فى طابور أمام المخبز •
الشعراء ينتظرون فى طابور أمام القمر الجديد ،
حتى لو كان العشب المعزول على حافة الطريق
لا يسمح بأية فائدة بالمرة •

أتوبيس مر • أضيئت الأنوار •
كم تحدثنا – ببساطة – هذه الليلة •

* صوت الصمت

ليل • لا صوت أبداً •
هدير الفضاء وحده
وذلك القمر الشفاف غير المحدد
والذى ظل ضوءه بلا شكل ويجرحه •

* علامة

أحيانا ما لا يكون في الغابة كلها غير شجرة وحيدة
تهتز أوراقها جميعا ، بلا أية نسمة أبدا ٠
وفى الحال تتحول الى سكون وخامى من جديد
مثل شمعدان غير مضاء فى قلب الليل
يقطع أنفاس الرعاة والأحصنة والنجوم ٠

* فى أطلال معبد قديم

حارس المتحف كان يدخن أمام حظيرة الغنم ٠
كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية ٠
وفى الأسفل البعيد كانت النساء يغتسلن فى النهر ٠
وكان يمكنك أن تسمع طرقة المطرقة فى دكان الحداد ٠
صفر الراعى ٠ جرت الغنم اليه كأن الأطلال الرخامية كانت تجرى ٠
والقفا الغليظ للماء التمع بالبرودة خلف أشجار الدفلى ٠
نشرت امرأة غسيلها على الشجيرات والتماثيل ـ
نشرت سراويل زوجها الداخلية على أكتاف هيرا ٠

الفة صامتة ، ساكنة ، غريبة ـ عاما بعد عام ٠
على الشاطىء الأسفل ، مر الصيادون بسلال عريضة
ملأى بالسمك على رؤوسهم ، كأنهم يحملون
ومضات ضوء طويلة وضيقة :
ذهبية ، وردية ، بنفسجية ـ
موكب شبيه تماما بنفس ذلك الموكب
الذى كان يحمل وشاح الربة الطويل المطرز بترف ،
الذى قمنا به فى اليوم الآخر
لنصنع منه مناشف ومفارش لمنازلنا الخاوية ٠

* جزيبة

منحدر التل يتغطى بأقماع الصنوبر وأشواك الصنوبر -
في القمة توقفنا لنتسمع الأسفل
الوهد يهدر بأشجار البلانيرة في البعيد
مع النعيب الوحشي للطيور والأنهار
والشكوى المزقزقة الخافتة من طائر أسود
نقشت المساء المتجمد فوق الهدير العظيم ·

هنا تزاوجت الأحصنة المتعجرفة، دون ارتباط بحب أو أبوة -
الأفق صهيل بلا حدود
وفي الأعلى هنا ، لا يحقق الركوع أي غفران ·

روح الجبل ظلت ساهرة — في عناد — على المعرفة والجهل بالموت ،
شامخة بكبرياء الحاضر غير الهادف ، غير المحدود ·
فوق الكائنين الخاوي نسيمنا ،
مثلما فوق صوته طبول منجنيدة·
الأصابع المقتحمة للبرد الهائل ·

ساموس — ليكا : ٧/١/١٩٥٨

* بخور

حدق في الضباح من خلال النافذة ·
أحس أن الزرقة تزحف — بالضبط — على جلد الطائر أو الغيمة ·
ارتاب في أن تمس الاحساس بالتلمس راؤوه عنها تقل الشجرة أيضا ·

١٩٩١

والدخان تصاعد من المداخن كأنه يعترف
بسر الحرارة فى الغرف التى كانت ما تزال مغلقة ٠
على هذا النحو ، كل صباح ، تدخن كل البيوت ٠
والرجال ، وهم يخرجون مبكرين الى العمل ،
يشعلون سجائرهم على العتبة ،
كأنهم يتذكرون الها مجهولا ، ملكهم تماما ، ولا يبلغه أحد ٠

❋ نكاية

مرت الليلة مظلمة للغاية ٠
ركضت فى الريح صرخات هائلة ٠
فى اليوم التالى ، لم نتذكر شيئا ٠
كانت هناك فجوة عميقة باقية فى الزمن ٠

هناك حيث أوى الذئب ،
كان أخدود يتغطى بشعر ذئب دافىء ٠
الآن يمكن للأغنام أن تستلقى هناك ٠

❋ أحداث جارية

صحف ، ثورات ، استنكارات ، اكتشافات ، زيجات ، ميتات ،
عرق ، غبار ، ظلام ، صيدليات طول الليل ،
سلم يرتفع فى تهور ، سرقات ، جرائم ، ظلم ،
بغايا ، كلاب ، سماسرة ، سجون ، رطوبة ، سكارى ،
عميان ، متسولون ، جيتار ، الشجرة ، المشنوقون ، عمود الانارة ٠

نجمة بين مدخنتين طويلتين ٠ شكرا ٠
لقد تركت المفتاح فى نفس المكان الذى تعرفه ٠

* ربيع

جلسا فى الحقل فى مواجهة بعضهما ،
خلعا حذاءيهما ، وباطن قدميهما — العاريان هكذا
تلامسا فى العشب الطويل . وبقيا .

* اكليل

كان وجهك مختبئا فى الأوراق .
قطعت الأوراق واحدة واحدة لأقترب منك .
عندما قطعت الورقة الأخيرة كنت قد ذهبت .
فضفرت من الأوراق المقطوعة اكليلا .
لم يكن لدى من أهديه له .
فعلقته على جبينى .

* صور جانبية مسائية

ما تزال يداها صغيرتين ،
معذبتين بالتوقع وبالزمن المضاعف ،
شاحبتين على ثوبها الأسود .
كانت تجلس وحيدة فى الباحة ،
تحدق — فى عزلتها — فى المراكب التى تتلاشى .
فجأة ومض الغروب على خاتمها
كما على نوافذ قرية عاليا فى التل .
آنئذ ، غطت الخاتم — فى حنان — بيدها الأخرى ،
أغمضت عينيها أولا ، ثم ابتسمت .

البعيد — ١٩٧٣

* تعبير الخريف

الرطوبة الهائلة بدأت . رحل المصطافون .
بهتت الآن علامة الفندق ، صفراء
مع الاسم بالأزرق ، معلقة تحت غيمتين .
عاملة النظافة ستمر بها ببطء فى الصباح
فى طريقها الى غرف المتزوجين حديثا ،
بستائرهم المسدلة وشباشبهم ما تزال دافئة تحت الأسرة .

* رسالة

السمكرى فى الأفرول على السلم .
باطنا قدميه عريضان .
أنابيب موقد التدفئة تلمع على الأرضية
مثل سيقان أشجار فى غابة فضية .
عاليا هناك ، فى مواجهة الحائط ، يشعل سيجارته .
مطرقته تدق وسط شرارات حمراء صغيرة .
ما الذى نفعله فى موقد تدفئة هذا الوقت ؟
فالآن ، سيحل الصيف فى أى يوم هنا .
والدجاجات بدأت ـ فعلا ـ فى وضع بيض أزرق قوى
بجوار برميل النبيذ والمحراث .

* ثلاثية

وهو يكتب ، دون أن ينظر الى البحر ،
يشعر بأن سن قلمه يرتعش ـ
انها اللحظة التى تضاء فيها المنارات .

* الليـــالى والتماثيـــل

ترحـــل الليـــالى بخطوات واسـعة ٠
ذلك هو السبب فى أن أجمـل التماثيـــل
تقف مضمومـــة القـــدمين ٠

***

البعيـــد

* بعـــد

قســـنا المكان ، ألقينـــا بالميت فى الجير ،
بعد ذلك اعتلينـــــا القـــارب تحت أوهى الأقمار ،
الرابـــع حمل الصندوق الحديدى على ركبتيـــه
تكور على نفســـــه
كأنـــه يستمد حرارة من نار سريـــة داخله ٠
والدخان ظـــل خفيضا فوق الماء ، لم ينقشع ٠

* هبـــوط

« ايوريديس » ، نادى ٠ نزل جريـــا على السلالم ٠
لم يكن هنـــاك ضوء فى صـــالة المدخـــل ٠
بحث بيديـــه عن المرآة ٠
وفى الطرف البعيد كانت المرأة ذات المظلة الصفراء ترحل ٠
المرأة الثانية فى الطابق الأرضى زعقت فيه : « لقد ماتت » ٠
والطيارون الثلاثة خرجوا من المصعد بدولاب كبير ـ
داخله كانت يداها المقطوعتان ومخطوطاتى ٠

* حـــوار قصـــير

اشتعلت السماء وحيـــدة خلف البيوت ٠
لماذا تبكين ؟ ، قال ، وهو يثبت حزامـــه ٠

العالم جميل ، ردت ،
جميل جدا بمثل هذا الصداع القظيع ،
والسرير حيوان صامت ، متوحش يتأهب للرحيل ٠

* لأن

لأن الأتوبيسات قد توقفت أمام السياج
لأن الدمى في نوافذ الدكان المضاء أومأت لى
لأن الفتاة ذات الدراجة توقفت خارج الصيدلية
لأن النجار حطم الباب الزجاجى لقاعة البيرة
لأن الطفل كان وحيدا فى المصعد مع قلم مسروق
لأن الكلاب هجرت فيلات الشاطىء
لأن المبشرة الصدئة قد تغطت بالقراص
لأن السماء كانت رمادا به سمكة حمراء
لأن الحصان على الجبل كان أكثر وحدة من النجمة
لأن هؤلاء وأولئك قد تم اصطيادهم
بسبب ذلك ، بسبب ذلك وحده ، كذبت عليك ٠

* اكتمال تقريبا

تعرفين أن الموت غير موجود ، قال لها ٠
أعرف ، نعم ، أننى الآن ميتة ، ردت ٠
قميصاك تم كيهما ، فى الدرج ،
الشىء الوحيد الذى أفتقده هو وردة صغيرة ٠

* عرض غزلى

كانت المرأة ما تزال ممددة على السرير ٠
أخرج عينه الزجاجية ، ووضعها على المنضدة ،
خطا خطوة ، وتوقف ٠

هل تصـــدقينني الآن ، قال لها ·
التقطت العين الزجاجيـــة ، قربتها من عينها ،
نظرت اليـــه ·

* حمـــى

ميادين صغيرة فى حركة دائبة ، والواحد يخترق الآخر ،
الواحد يخرج من الآخر : مبنى ، خرابـة ،
مدينـــة من نوافـــذ فـوق نوافـــذ ،
فى اليمين واليسار ركنان ينتصبان بلا اتساق ،
وفى الوراء تماما ، بلا ضوضاء ، الانهيار العظيم وسط حركة صـــامتة ،
بينما الكلاب المهزولة الثلاثة تزداد ابتعادا فى الميادين المتتالية
التى تفوح برائحة موتى غرباء عند سلالمها الكبيرة فى الطرف البعيـــــد ،
هناك حيث المرآة ترفع ـ عارية ـ الأرنب المسلوخ أمام مرآة ·

* الرجـــل ذو الذراع الواحـــدة

أربع مناضد مستديرة ، عارية بطول الصالة الضيقة الطويلة،
يضربهم الضوء مثل رماد، يهطل من النافذة البللورية الكبيرة،
بجوار المنضـــدة الثانية ، دون انفصـــال
وقف الرجل ذو الذراع الواحدة ، معاديا تقريبـــا ،
ذراعه كانت حمراء كلها ، وكان يحمل كتابا برتقاليا صغيرا ـ
المسألة كلها أننـــا لم نعرف أبدا ما الذى سيجرى ·

* شـــكرا

سمعت صوتك وهو يقول : شـــكرا
(بطبيعية بكماء ، غير متوقعـــة) ـ

كنت على يقـين الآن :
أن جزءا كبيرا من الأبـدية قد أصـبح من نصيبك ٠

✻ خطـوات واسـعة

استلقى السـكارى ، وغرقوا ـ حالا ـ فى النوم ٠
راجـع الحسابات ، أطفأ النور ، وذهب الى الحديقة ،
أحس ـ تحت حذائـه ـ بطراوة البرعـم الدائريـة ٠
أيها البعيد ، أنت المنسى ، بلا سياج ، أيتها النبوءة ٠
قطرة من نبـع قمر سرى على ورقـة واحـدة ٠
وفجأة تضاء النوافذ السبع كلها خلف الأشـجار ٠
السـكارى ، وهـم يقفون على الأسرة ،
يعرضون لبعضهم بعضـا انتصابـاتهم ٠

✻ فى السر

سمعهم ينـادون باسمه فوق الماء ٠
تأكد أن ذلك كان من أجـله ٠ اختبـأ ٠
خرجت سفينة ضخمة مضاءة بصورة ساطعة من الميناء ٠
على المعبر المرأة ذات القبعة ـ مزركشـة ضخمـة ٠
حجبت عن الرؤيـة البرج المعتم ، والقمر ، والسـقالة ٠

✻ وضـع مريب

شاحب ، شاحب للغايـة ، فى شـعره أشواك ـ
أشواك حتى كتفيه ، حتى خصره ، حتى باطنى قدميـه ـ
ربما كانت بالفعـل أجنحتـه ،
لأننى ما ان نظرت ـ مرة ثانيـة ـ ناحيـة البـاب ،
لم يكن هنـاك سوى دخان قليـل مكان المطرقـة ٠

* متلبس بجريمـــة

صوب كشاف الضوء ــ مباشرة ــ الى وجهه ،
فلنره ، وهو مختبىء على هذا النحو فى الليل ، ونجعله يحمر خجــلا ،
له أسنان جميلة ــ ويعرف ذلك ، يبتسم
والقمر الصغير فوق التــل المقصوف بالقنابــل ،
وأطفــال الحطابين فى الأســفل عنــد النهر ·

* مع ما يتعــذر بلوغــه

بعيد جدا جدا ــ ولهذا منيــع أيضــا ــ قال ،
لكن لا أحد بعيد بما يكفى ، لا أحد بقدر ما يريـــد
بقدر ما يســتطيع أو ما يجب ·
يربــط رســغه بمنديــله
أبكم ، لا ايماءة واحدة ، لا أحمر ولا أسود ،
منــديل أبيض : الأبيض الأكثر كثافــة ، والأبعـــد ·

* فجـــر

ظلمــة أرضيــة عميقة حتى النهايـــة ·
أضيئت نافــذة واحـــدة ــ
ماســة خضراء كبيرة مسروقــة ·
السماء بيضــاء تماما ، عاريــة تمامــا ·
أيها الفجــر السرى ، قال ــ
جلد أبيض منقوش بمسام حمراء ، حلم ،
حلم مندمــل ، وندبتك أكثر بياضــا فى معابدنــا ·

* مع الموسيقى

خزانات كثيرة ، دواليب كثيرة ، والكمان مرمى على السرير ،
الأسود والأبيض فى معينات متزاحمة متقاطعة
والعجوز الشمطاء الأولى ذات العجيزة المشوهة ، السمينة
وزهور وسجائر ولؤلؤة عمياء
وزخرفة صغيرة موشاة بالذهب على البيانو ـ
فى الدخان طفت الأيدى النبيلة ،
اللوريات المحملة بالامدادات العسكرية قعقعت على طول الممرات السرية ،
وأنت تجلس على الأرضية تقشر الفول السودانى
و «بام» و «بوم» ، والموتى بعيدون فى الداخل ، بعيدون فى الأعالى .

* الاعداد للاحتفال

خطأ ما حدث فى الاحتفال الذى كانوا يعدونه لى .
صعدوا وهبطوا السلالم ، تصادموا فى الممرات .
والشمعدانات الثلاثة ظهرت فى الصالة الكبيرة .
فوق المنصة تلتمع أكواب الماء .
يقدموننى .
أستحث قدمى ، أتفحص نفسى بيدى ، اننى ضائع .
واذا ما حاولت نزول السلالم ، فسيقبض الحاجب على .

* أرق

الترديد الدائم لنفس النص المستغلق ـ
فى أعلى الجريدة الثقب الصدىء من المسمار ،
فى الأسفل قطرتان من دم أسود .

الاثنتان – قال – الاثنتان ، الزوج ، الصوت المزدوج ، المعنى المزدوج .

متعب من الأبواب التى تفتح وتغلق مع الموتى والنساء .
ليفتريس يسرع بالذهاب قبل أن يبدأ المطر .
عاد – بعد ذلك – بالبطانية المبلولة والقبعة
التى تخص الشخص المشنوق .

* مقياس مصغر

تكيف سهل للجسد فى كل أوضاعه ، كل ساعة ،
فى كل اضاءة ، هو نفسه مع الأثاث .
الباب الأخضر فى مكانه الأيمن .
شعرك يسقط بكثافة أكبر من رموشك .
لم أهتم عندما تأخرت .
الطائر الثانى قال ما قاله الأول .
لا أحد يحمل مفاتيحه الخاصة .
مارى ، وكأنها عارية لا ترى بعد موتها ، تشعل الكبريت .
وخلال برهة صوت الانفجارات فى الضاحية السفلية .

* فى اتجاه السبت

الصوت العميق سمع فى الليل الأعمق .
ثم مرت الصهاريج . ثم بزغ النهار .
ثم سمع الصوت من جديد ، أقصر ، أبعد .
كان الحائط أبيض . الخبز أحمر .
السلم استند – عموديا تقريبا – على عمود الاضاءة القديم .
المرأة العجوز لملمت الصخور السوداء واحدة واحدة فى حقيبة من ورق .

* اعـــادة ترتيـب

كل منهم يحمل ميتــة أو أكثر على ظهره ·
طريق بعد طريق، صخور، عوارض خشبية، شجرة محترقة ·
شخص ما أنزل المصباح ، الخبز على جـذع شجرة ·
الى أين تحملون الموتى ؟
لا أرض هناك فى هذا الطريق · لاعشب ينمو ·
طوال شهور ثلاثة لم نفلح الا مع بذر الخروب وحده ،
والذاكرة تنفـــد ·
ان لم يكن للموتى أى أرض ، فليس لنا أيضـا أى أرض نقف عليهـــا ·
آنئذ أشعلنا النيران الهائلة ، وضعنا العجوز على الصخرة ،
خلعنا أحذيتنا ، ونحن نجلس هكذا على الأرض
قسنا أقدامنا اثنين اثنين ، وباطن القدم يواجه باطن القدم ·
قوسطنطين الشاب ، صاحب أكبر قدم ، هو أول من رقص ·

* هجـــوم

شوينـا البطاطس فى الجمر · وفيما كان الملح ما يزال بين أصابعنـــا
سمعنا الصراخ فى الساحة ، بالقرب من البئر ·
حسنا، قال، فلنرحل عبر السياج الخلفى · خذوا البطانية ·
قمر زائف من نافذة الى نافذة ، من سطح الى سطح ،

والمرآة فى دولاب الملابس خائنة ، ذات عينين معصوبتين ،
أبعد فى الداخل ثياب الميت معلقة والتذاكر التى لم تستخدم فى الجيوب ·
انفصال صامت عن مخاوفنا وعن أحلامنـا المريرة ·
والتمثال الموجود فى المدخل يهذى ، وجهه مضرج بالحمرة من شـبقه ·

ثم صوت الكلاب وهي تنبـــح .
بذلك ابتعـــدوا .
عبروا النهر .

* لسـبب مـــا

ربط الحبل بالشجرة . لم يربط أي شيء بالحبل ،
تركـه مرميـــا على الأرض
لهؤلاء الذين يقفزون الى النهر في الصـــباح
لهؤلاء الذين يقفزون من ســطح الى ســطح في الليــل ـ
شيء ما سيسقط من جيوبهم ، مهما كانت محمية تماما ،
وسيعثر عليه كناسو الشوارع في اليوم التالي
والأوامر ستكون قاطعة : عليهم تسليمه ـ

(فدائما هناك حاجة لشيء ما عام ، في النهايــة)

* الجانبـــان

حفنـــة عظام وقطعـــة من حديد صــدىء .
كانت المرأة تجمع الخضر في الحقــل ـ
وساقاهـــا مكشوفتان الى أعلى من كل ناحيـــة ،
في الخلف ، يحرس الكلب الطفل تحت الشجرة .
وما ان حل الظلام حتى عدنـــا الى المدينـــة ،
توقفنا أمام المنزل الأحمر ، نظرنا عبر النافذة المنخفضة .
كلاهما على المائـــدة ، بجوار المصباح ،
أطباق العشاء ، حركات بطيئة ـ ضغينة صامتـــة .
يقف الثالث فوقهما بسكين ، يقشر تفاحـــة .
في تلك اللحظة التفت وقال : دائما ما ننتهي بنفس الشيء .
وبما كان يعني بذلك الخطيئـــة الأولى
أو نسيانـــه لمشـــطه في حمام شخص آخر .

* اليــوم التـــالى

أعمدة اضاءة ساقطة ، وشجرة ــ الضوء ينتشر من أسفل ،
الطريق الثــانى بمحاذاة البــالوعة ٠
جاءوا بالأوناش ، ورفعوا الأتوبيسات ٠ لم يكن خطأنا ، قال٠
ووسط الدروب كانت المرأة العجوز تجمع أزهار البابونــج ٠
عثرت على ساعة النائب العام ، زلقتها فى معصمها ٠
أتظن ، يا بنى أن الموتى لا يعرفون الغضب ؟
انهم يقتــاتون الحديــد والأبواب والصخور ٠
آنئذ ، صاح فانجيليس ، أعلى الجدار الباقى ٠
انهم لا يســتطيعون اســـتيعاب الكلمات ٠
أخرج الآخرون الأعــــلام من تحت قمصـــانهم
ومضـــوا نحو الفـــارس البرونـــزى ٠

* شروق شــمس الشـــتاء

ما حدث هو أننا تطلعنا الى كلا الاتجاهين ــ
ســقط الزمن فى توازن ما ــ
المرآة الداخلية والشجرة وكشك المحارب القديم الملعوق ٠
ســاعة بعــد ســاعة
المجلات والجرائــد الملونـــة ــ
العرايــا ، دخــان ، هؤلاء القتلى ، الوهــــاد ٠
هذا التجهيل المعتم ، والحوائط المقابلة : مضاءة ٠
متعــة ، صرخت المرأة ، متعة حمراء بأظافر حمراء ٠
جسد أحمر مذبوح ، والملاءة تتدلى الى الدرج الحجرى
والشبان الثلاثة المتأنقون ، المترابطون كتفا بكتف
(الأوسط منهم تمثـــال ؟
يتمشون ــ على مضض ــ فى اللامبالاة المضيئة للموت ٠

* متوقـــع وغـير متوقـــع

ذلك ما لايحتاج ولا له ـ حتى ـ أى عـــلاج ٠
قمر ناقص ، ساكن يخترق الحائط باصبع واحـد ٠
من الداخل ، فتشت المرآة عن تأكيد فى وجوهنــــا ٠
وكنت تحـدق فى مكان آخر ٠

طرقوا الباب ٠ فتحته لهم ٠ لم يقولوا أى شيء ٠

حدقوا فينـــا كأننا كنا الأشخاص الذين ارتكبوا خطأ ما -
ورحلـــوا ٠

وعلى البرج الأسبـغل تركوا المسامير الثلاثة الأخرى ،
والشاكوش والقصـــــيدة ٠

فى الحديقــة ، تحركت فضـــة قمر ما خلف أذن التمثال ٠
وسمعت ٠

* الأكثر كفايـــة

يمكنك أن تستكمله بسهولة أكبر ـ
فيـكفى ألا تريـد الاقتنـــاع أو الخـــداع ٠
وحيدة وحيدة الطيور والأطفال والموسيقى والسرير والستائر ٠
المرأة المريضـــة تعالج بالكى ٠
ذبابة أخيرة متاهبـــة ـ تقريبـا ـ للموت
تتجول على امتـداد الملاءة الدافئـــة ٠
وهناك سلسلة سرية من ميتات فاترة وراء موتنا العادى ،
وراء تماثيله الرصـــينة المجيدة ،
خلال تلك المعجزة الطافيـــة ،
خلال ضوء هذه المرآة التى تعرف كيف تعكس
(مهما كان الزيف والتشظى) مجد الجسدين العاريين ٠

* بعد كل موت

نبحث مرة ثانية وثانية — من البداية — عن تلك النعومة المطلقة ،

عن تلك الاستدارة العميقة —

صخرة النسيان البيضاء المحفوظة فى خزانة البحر الأسود ٠

انحنت المرأة على النافذة ، وهى تضغط ثديها الأيسر فى الخشب ٠

والكرة الحمراء محشورة فى ماسورة تصريف المياه فى السطح المقابل ٠

ذلك ما كنت أفكر فيه ، قال ، وأنا أسمع صوتها فى حزن : محدقا فى التمثال بالحديقة فى الأسفل —.

ذلك الذى أخرجوه الليلة قبل الماضية من البحر مع المشاعل ٠

كم ينتصب شامخا ، وابهامه ما يزال رطبا أمام شفته الرطبة.

وهو يعترض سبيل البياض الكثيف المدهش .

قبل أن ينجح فى العثور على تعبير ٠

* ودائع

منضدة الصراف من زجاج — أية عملات غريبة ؛

أية أسنان مستعارة من ذهب ، وفضة ، وحديد ،

سنة ذهبية واحدة للميت ، قلادة ايلينى ،

دبوس قبعة ضخم ، العهد القديم مجلد بالفضة

مع أحجار حمراء وخضراء ٠

الساعة الكبيرة فى ساحة المدينة دقت الثانية عشرة ٠

أخرجوا الدواجن من الثلاجة ٠

وقف منظف الأحذية عند الباب وحذاء أنتينوس ينزلق على يديه ٠

آنذاك هبت نسمة رقيقة من الجنوب ، ارتعشت الملاءة الطويلة وتحت السرير

يمكنك أن ترى الحذاء الناصع البياض ذا الكعب العالى للعروس
الميتـــة ٠

* التماثيـــل فى المقـــابر

التماثيـل العـارية تحت الأشجار فى المقابر
حوصرت بالأصوات المشبوبة لطيور الليل حينما انسحب آخر
الموكب ٠
التماثيل تقلد ـ باخلاص ـ الموت ، الحب الشبقى، السكون،
بسيوف حجرية ، بأجنحة حجرية ، بأعلام حجرية ،
من كل مكان الى آخر ، نوافذ تضاء ، أسرة ، رقص ليـلى فى
الحديقـة ٠
اخرج ، اخرج ، صرخ بيتروس ،
مفاتيحى مع الحارس فى حزامه ، وكلبه يتبعنى ـ
ذلك مكمن اعتراضى عليـــه ٠
التماثيـل لا تقلدنـا ، انها ـ أيضـا ـ وحيـدة ،
تعانى ، تنكر اللاوجود ، تتهيج ، تحمر خجـلا ،
وشريانها الرئيسى مترع بالدم ٠
ذلك هو سبب صياح الطيور هكذا ٠
لتغطى هزيمـة الموت الهادىء ٠

* البعيـــد

أيها البعيد ، البعيد ، العصى المنال ،
فلتتسع دائما للصامتين فى غيابهم ، فى غياب الآخرين
عندما يصبح خطر القريبين ، خطر القرب ذاته ، عبئا ثقيلا
خلال ليالى الوعد بالأضواء الملونة الكثيرة فى الحدائق ،
عندما تلتمع عيون الأسود والنمور نصف المغمضة
بلا مبـالاة خضراء وامضـة فى أقفـاصها

والمهرج العجوز أمام المرآة المعتمــة
يزيل دموعه المرسومة حتى يستطيع البكاء ــ
أيها المستعصى على الامتلاك ، أنت بيدك الطويلة الكئيبة
خفى ، بلا استعارة أو اعارة ، بلا التزامات ،
تسمر المسامير فى الهواء ، تدعـم العـالم
فى ذلك التراخى العميق حيث تسود الموسيقى ٠

★★★

(ثــلاث نسوة عجائز ، نحيــلات ، بائســات ، مســبيات فى أرض أجنبيــة ، مأسورات من وطنهن ، يجلسن بالخارج فى الشرفة ، قرب منتصف الليــل فى الربيع ، مقعيات بجوار بعضهن البعض الى الحائط، بثيابهن السوداء ، وأوشحتهن السوداء، يشبهن أطفال الليل، الأشباح • لا ينظرن الى البحر• ولا الى النجوم• شيئا فشيئا يبدأن فى الكلام ببطء ، كأنهن قد نسين ـ أيضا ـ الكلمات ، كأنهن قد تذكرنها ـ الآن ـ توا ، من جديـد ، ويمسكن بها تحت ألسنتهن يمضغنها مع لعــابهن ، ولا يعرفن ما اذا كانت تلك الكلمات أم أنها شىء آخر • الآن ـ من جديـد ـ يتــلعثمن ، يتوقفن . كأنك ـ وأنت تمضغ شيئا ما تعرف أنه طرى ، كقطعة خبز فى فمك، اذا بأسنانك تصطدم فجأة ـ بلا توقع ـ بشىء صلب ـ بحصــاة ، بشظية من عصا المكنســة ، بكسرة ما ، فتلفظ اللقمة فى احدى كفيك ، وتتحسسها باصبع من الكف الأخرى ، لاشىء ـ خبز فحسب ، تعيد اللقمة الى فمك ، تبتلعها ، ـ كم كانت لذيذة• والنسوة يفعلن ذلك • ولا يبين • فهو الليل • وكثيرا ما يرفعن أكفهن الى أفواههن • ربما ليغطين ثقبا فى جزء آخر ، ثقبا غير مرئى ـ ثقبا فى الروح ، على ما يقولون ـ ، ربما حرصا على ألا يسمعهن أحد من السادة النائمين فى

البيت · مؤكد أنهن لابد أن يكن نسوة عجائز من ميلو
ـ اللائى أخبرنا بهن عمنا العجوز ثوسيديديس ، منذ
يوم أو يومين ، عندما أتى فيلوكتيتيس ابن ديمياس ـ
فى العام الثـالث ـ من أثينا مع سـفن كثيرة وسحق
الجزيرة ، مضرما النار فى البيوت والمعابد ، معدما كل
الرجال ـ الكبار ، والشبان والأطفال ، مستوليا على
النساء كمسبيات ـ نسوة عجائز ، ونساء حديثات عهد
بالزواج ، وأمهات وفتيات صغيرات · حقا ، انهن نسوة
من ميلو، على جزيرة أخرى الآن ، مسبيات، بائسات·
على الشرفـة الأجنبيـة يتحادثن فى صـوت خفيض ـ
وبالتـدريج يتكلمن بسرعـة أكبر ، بوضوح أكبر ،
بهدوء دائما) :

المرأة الأولى : يبدو أن القشعريرة وصلت · الصيف تأخر ·
وسـاعة الكنيسـة تـدق ·

المرأة الثانية : دقت الثانية عشرة · منتصف الليـل ·
هس ـ سيسمعوننا بالداخل ·

الثـلاث معـا : فلنجلس هنـا ، نقعى معـا ، فيمكننا الاحساس بالهواء
المنعش ·

المرأة الثالثة : أليس غريبا أن الساعة تدق ونحن نعد من البداية ـ
اثنين ، ثلاثة ، خمسـة ، تسـعة ،

المرأة الأولى : ذلك أنها تدق ونحن ننصت ـ غريب ·
وهل نحن اللائى نتـكلم ؟

الثـلاث معـا : هل نحن اللائى نحرك شفاهنـا ،
نحن الموتى منذ أعوام ، نحن نسـوة ميلو ؟

المرأة الثانية : نحن نفتح أفواهنا ـ فهل يخرج منها صوت ؟ ـ
وهـل نسمعـه ؟

الثلاث معاً : هل كان لميلو وجود ، وكان لنا أيضا وجود ،
ولنا أيد ، ونحرك أيدينا ونتذكر ؟ ـ هل يتذكر الموتى ؟

المرأة الأولى : وهل يتحادثون وتطرف رموشهم ؟

الثلاث معاً : هل تعتقدون أننا كنا نائمات لأعوام وأعوام ،
ورأينا هذه الأشياء فى نومنا ، كى يستردها ـ بعد
ذلك ـ النوم ؟

كانت جزيرتنا صغيرة (كانت مكانا ـ لاذكريات وأحلاما)،
كانت جزيرة صغيرة كخاتم ، ـ
كانت هناك أشياء كثيرة لا نمتلكها ، وأشياء كثيرة
لا نعرفها ،

المرأة الثانية : أعوام تعيسة مرت أيضا ـ أمطار وعواصف حينا ،

المرأة الأولى : وحينا الحرارة الحارقة للشمس والجفاف العظيم ـ
ولا حتى حبة قمح ، ولا طائرا يعبر ،

المرأة الثانية : المكان أتون ، والهواء حديد محمى ـ البحر يعمى بوهجه ·

المرأة الثالثة : وبياض حائط الحظيرة المطلية كان سكينا ـ تجز شعرك ،
فجأة ذاب جرس الكنيسة وانساب نهرا من حديد على
الدرجات ·

الثلاث معاً : وكان للزيتون أن يذوى ، فيسقط بعنف على الأرض
مثل عينى شخص مريض ،

المرأة الثانية : مثل عيني شخص نعسان ، مثل عينى شخص أعمى ـ
ويكون علينا أن نلملمها من الأرض ،

الثلاث معاً : ننحنى وننحنى من جديد ـ ونحن نؤدى كفارتنا أمام
أيقونة فارغة ،

وندسهم فى كيسنا كأننا ننتزعهم من أسنان الموت ،
وفوق رأسنا محصلو الضرائب

المرأة الثالثة : وفوق رأســنا الأمراض ، والجرة المكسورة ، والمكنسـة بــلا شـــعر

مثل اللقلق النحيل الذى هرب فى الليل وترك روثه على المدخنـــة .

الثـلاث معـا : لم نقل شيئا ـ كانت الكلمات صعبة ـ
المكان سجن ، والصمت يزيـــد .
فى الصمت كنا نبدو أكثر أمـــانا ،

المرأة الأولى : والحجر ـ فى حائط البيت ـ كان يبدو أكثر أمانا أيضا.
والكرسى المجاور للنافـــذة .

الثـلاث معـا : أحيانا ما كان أسيادنا سيئين ، وأحيانـا أسوأ ـ دائما أســوأ ،
لكننا حتى فى هذه الحالة لم نكن أبدا بلا قوت تماما ـ
كنا نعد لقيماتنـا ، نعد الهواء الذى نتنفســه فى السر
فوق سرير الطفل ـ

المرأة الأولى : وفى العد ننسى أنفســنا ، ـ
ونحن نرفو الجوارب الصوفية الكبيرة غرزة غرزة ، ٥ ،
٧، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٥، ـ كنا نهدهد أنفسنا كى ننام،

المرأة الثانية : كنا نسقط فى النوم على الكرسى ،
تسقط رؤوسنا فننطلق من جديد ، نفتح عيوننا فنوقف العـــد ،
كان الجورب كبيرا كبيرا ،

المرأة الثالثة : كبيرا كميناء فارغ ـ وكلما نسجت كان الثقب يكبر
مثل عين الرجل الأعور المختبئة التى لا تريد أن تراك ،
بل وتخاف من أنك قد تلمس المقلة بالابرة ٠

الثلاث معا : كنا نعمل عملا شاقا ، حتى فى الليل ـ
بل لم نكن نعرف ما اذا كان هناك قمر فى الخارج ،
ولا حتى كنا نريد أن نعرف ـ الآن ، فقط ، فكرنا فيه ،
كنا نعرف ما اذا كانت الريح تهب ـ كنا نستطيع أن
نسمع الريح ،
فمعطفها كان يعلق من وقت لآخر ـ فى الخارج ـ بالمسمار
فى الحائط ،
حيث تركنا جدائل الثوم معلقة ،
كان يعلق بالمفتاح ٠

المرأة الثالثة : وعندما تتوقف ، كانت يدنا اليمنى تظل ـ لبرهة ـ فى
الريح ،
ووبر البطانية ينام برفق كعرف الحصان الذى عاد الى
الحظيرة ٠

الثلاث معا : عشنا بالكاد على خبز الشعير والذرة والنخالة ـ
أيضا عاش معنا الدجاج ،

المرأة الأولى : لم يكن لدينا وقت لنمرر المشط فى شعرنا ـ لم نهتم ـ

المرأة الثالثة : هل ينظر الحمام والدجاج فى المرآة ؟
ما كان يفزعنا هو أن نرى أطراف كم قميص أزواجنا
الليلى مبلولا ،
حينما كانوا يغتسلون فى الباحة ، ـ أحسسنا بها ،
ولو انه لمسنا آنئذ ـ وفى يديه سواران باردان ـ
لأحسسنا بالبرودة على ظهورنا ٠
الثلاث معا : يا الهى ، كم غريب ـ ءالم أعجوبة ـ كمان مبلولان ٠

المرأة الثالثة : وفى يوم آخر ، ونحن نقشر كوز ذرة كبير، ورقة ورقة ــ
أوراق كبيرة محبوكة ، قفزنا وأفواهنا مفغورة ــ
كانت الذرة تضحك بألف سنة مصفوفة ، ذهبية بفعل
الشمس ٠
وعاليا على التل ، فى الأفران ، كانوا ينادون « جورج ،
جورج » ٠
دفسنا الذرة فى صدورنا ، لم نقضمها ٠

الثلاث معا : كنا نحرث، نقطف العنب، نقلم الأشجار ، نروى الحقل،
نقوم بالغسيل ، بالعمل الروتينى ، نكوى ــ
بينما فى الخارج يحل مساء ربيعى هادىء ،
وفجأة يتردد فوق البحر هناك ، فوق الماء الذى يتكلم فى
السر ،
صوت منفرد صاف كالبللور

المرأة الثالثة : صوت أجش ، صوت صياد شاب ــ متحجرا برهة فى
الهواء ،
لينتشر بعد ذلك،فيمتصه السكون كما لو بورقة نشاف،
ونحن هناك فى الظلام ، فوق الحديد ،
نجاهد ــ بمرارة ضاحكة ــ لحل شفرة الحروف المقلوبة
على ورقة النشاف ــ
نحن الذين لم نستطع ــ حتى ــ أن نميزهـا على نحو
صحيح ، ــ
بل وحتى لم نستطع أن نراها جيدا ،
حيث كانت فضة القمر تلتمع على تويجة الشاطىء ــ

الثلاث معا : كان القمر ورقة واهية ، يظهر خلف النافذة ،
بعيدا كأننا كنا نحن اللائى ابتعدن عن العالم ٠ كنا نضىء
المصباح ٠

المرأة الأولى : آنئذ ، في موسم عصر العنب ،
عندما يكون على أزواجنا أن يعودوا من المعاصر ،

المرأة الثانية : ملطخين بخميرة العصر من الرأس الى القدم ـ
الأقدام ، الأيدي ، الوجه ، الملابس الداخلية ، القمصان ،

المرأة الأولى : يتضرجون من الحماس والبهجة ، محمرين كتلك الآلهة
القديمة ، كما يقال ،

المرأة الثالثة : كانت قطرات من الدم تتجلط على شعر أرجلهم الملتف
كأنهم عائدون من مجزرة سرية كبيرة فنندفع لنخبئهم .

المرأة الأولى : لنسخن الماء في القدر ، نغسل أقدامهم وأرجلهم ،

المرأة الثانية : نغسل سراويلهم ، وقمصانهم ، نزيل الآثـــار ،

المرأة الثالثة : نطعمهم العشاء على عجل ، ونخبئهم تحت الأغطيــة .

الثــلاث معــا : ثم كان لهم أن يضحكوا في السر من وراء شواربهم ،
كأنهم قد سمحوا لنا أيضا بالاطلاع على سرهم الكبير ـ
ولم يكن هناك أي سر ، ـ
لكن النوم الناجم عن ذلك كان مريحــا .

المرأة الثالثة : آه ، موســم العصر ، مع الحصير القش ، والســلال ،
والسكاكين ، ـ
كانت الباحــة عــاطرة ،

المرأة الثانية : كان الشاطئ يفوح بأريــج الورد ، والخيول تنزلق على
الحصى ،

المرأة الأولى : وبراميل كبيرة مملوءة تغط في نومها بالطابق الأرضي ـ

الثلاث معا : النبيذ الذي سيشربه الآخرون ،
عناء على عناء ـ القطاف ، التقليم ، الري ، التجفيف ـ
ركبنا أصبحت يابسة كالعظام ، ـ
لم يكن لدينا وقت للنظر في أنفسنا، لم نشأ أن ننظر في
أنفسنا ، ـ
ولماذا حقا نجلس ـ من جديد من جديد ـ متربعين ،
برأس محنية على الركب ، كالجنين المنحني
داخل الظلام الدامس ؟ ـ
فأين نجد الوقت ٠ تقليم وحرث وترتيب ،

المرأة الأولى : أشعلي النار ، زني السمك ، املئي الجرار ،

المرأة الثانية : نظفي زجاج المصباح والنوافذ من غبش البحر ،

المرأة الثالثة : نظفي العدس واحدة واحدة ـ
نسجنا ـ أيضا ـ زوجا من مناشف الوجه على النول ،

المرأة الأولى : نسجنا قطعة أو قطعتين من الصوف ، وبطانية كبيرة ـ

المرأة الثالثة : ولم ننس أن نضيف اليها النقوش ـ
زهرتي ربيع ، طائر أحمر ، ودولفين ضخم فيروزي ،

الثلاث معا : كبرنا ونحن نعمل، ونحن نعمل تعلمنا أن نعمل ، ونحن نعمل تعلمنا أن ننسى همومنا ، أن ننسى أنفسنا ، أن ننطلق من جديد ٠

المرأة الأولى : في الصيف ، فوق جزيرتنا ، كم كان الأصيل يتلألأ ،

المرأة الثانية : عندما كانت رياح الصيف العظيمة تصفر ،
والبحر يرتعش ـ متكسرا ـ بكامل جسده ،
والعالم كان ومضة ، وحدسا ، وشرارة ٠

المرأة الثالثة : وداخل البيوت كانت البرودة تقعى كطائر ، كبير كبير ،
يحتـل المطبخ ــ دون أن يترك لك أبدا غرفـة لتتزحزح
اليها ،
لترتبها ، لتقف عند النـول ، دون أن تـدوس على ذلك
الطائـر الذهبى
ذى العينين البنفسجيتين .

المرأة الأولى : ولا حتى غرفة نذهب اليها كأنك تهش ذبـابة مزعجـة
وقفت على كوب ماء نظيف ــ
وتهرش قفاها بقدميها الاثنتين ــ

المرأة الثالثة : لاشىء ، لاشىء ، بدون نتف قليل من زغب الطائر الذهبى
وبعثرته على العالم ، آه ، قليل من زغب ، ــ
وتجلس غريقا مثلما فى كرسيك جامـدا ،
واليدان على الركبتين ، فى خدر عميق ،
وأنت أيضا مذهب كأيقونة مرسومـة على لوح من خشب
سرو ،
كأن شخصا ما ربما آمن بك فجعلك نـسرا ،
وذهبـــك ــ

الثــلاث معــا : كنا كأننــا ــ فى داخلنا ــ نؤمن بأنفســـنا .

المرأة الثانية : كان ذلك الضـوء العظـيم للحصـاد ــ هو ما غطى على
العبودية والموت ،

المرأة الأولى : كان الضوء العظيم وأوراق الشـجر ورياح الصيف غير
الحليقـــة
مع أصدافها الهائلة التى تصيح بالخارج برفقـة الزيز ،

المرأة الثالثة : وداخل البيت القطة النائمة على رأس السرير .

الثــلاث معــا : آه ، كم آمنــا ، نحن المظلمات ، بالضوء ،
وكم آمنــا ، نحن المهدومات ، بالحياة .

المرأة الثالثة : وذات أصيل آخر ـ كيف حدث ذلك ـ
ونحن ننحنى على البئر ، متلهفين على أن نرى شيئا ـ
لا لنسحب ماء ـ لاندرى ، سر كأنه خطيئة ، ـ
أجفلنا من صرخة المرارة فى صرخة طائر يمرق عاليا فى السماء ،
فى مكان لم يخطر لنا ببال ـ على التل تماما ـ
كان يستهدفنا من خلف ظهورنـا .

الثلاث معا : تحسسنا ـ آنئذ ـ مفاتيح المخزن فى جيب مريلتنا ،
نظرنا الى شجرة التين ـ أوراقها عريضة كالأيدى العاملة،ـ
لم يكن أى شىء ، دخلنا ، هادئين .
فقط جرادة واقفة على أرجلها الخلفية ، هناك، على حوض المـــاء
ترقبنا بعيون خضراء ، كروية ، كبيرة .

المرأة الأولى : وأحيانا كان يحل صمت قصير وسط الساعات ،
كأننا رحلنا ورتب البيت نفســـه ،

المرأة الثانية : كأن الساعة على المائدة ـ فجأة ـ توقفت
ومعها توقف الزمن أيضـــا ،

الثلاث معا : ولم يعد من الممكن أن يحدث شىء بعد ذلك ،
لاشىء يمكن أن يكون قد حـــدث ، ـ
كأن الولادات والجنازات كانت ـ آنئذ ـ أكاذيب

المرأة الثانية : والقدر الذى يمكن أن نسمعه يغلى على المرجل يصمت ،

المرأة الأولى : والدلو الذى يستخدمونه فى سحب الماء من البئر يصمت أيضـــا ،

المرأة الثانية : انقطع الحبل ، غرق الدلو ، غرقنـــا ـ

الثلاث معا : غرق هادىء ، راحة مؤقتة — أن تعرف أنك غرقت
ولو ان شخصا ما فوق الماء ينادى باسمك ، فلن يعثر
عليك ،

المرأة الثالثة : صوته وحده يغوص ببطء فى الماء
كالقرط الذى أسقطته أختك غير الشقيقة وهى منحنية على
البئر ·

الثلاث معا : آنذاك ، وفيما تنعس ، تخز اصبعك الابرة التى كنت
تمسكها فى يدك ،
من تلقاء ذاتها — تقول لك « استيقظ استيقظ ، ليس
ذلك صوابا » ،
تقول لك ، كأنه ليس صوابا فى الكنيسة أن تنظر خارج
النافذة ،
وفجأة تنتزع الابرة ، تهز يدك اليمنى لأعلى وأسفل
على نحو ما ترسم الصليب على نفسك ،
لتتخلص من الشر ، لتطرد الروح الشريرة —

المرأة الثانية : وفى الحال تشد الخيط كأنك تشد حبل الدلو ،
تنتزعه وتقفز ،

المرأة الأولى : تنظر حواليك كمجرم ،
خوفا من أن يلمحك أحد هناك فى الحضيض ،
خوفا من أن تراك المرآة على الحائط ،

المرأة الثالثة : خوفا من أن تكون آنية القهوة التى تعكس الشفق
قد قالت أى شىء لبعضها ،

الثلاث معا : وعيوننا متأهبة دائما للاعتذار للجميع ،
للطفل ، والكلب ، والكنارى ، ما من كائن يظهر فى
طريقنا ·
نتشبث بهذا الخيط الذى نمسكه ونتسلقه ·

المرأة الأولى : وحده الخوف دائما ما يبقى ـ
ذلك الخوف من أن يضل أولادنا الطريق ـ كل مرة
يخرجون فيها ـ
ويفشلون فى الرجوع ،

المرأة الثانية : من أن تعثر عليهم روح شريرة طائشة والسكين بين
أسنانها ،

المرأة الأولى : من أن تسقط على رؤوسهم ـ وهم سائرون ـ لافتة
المطعم الضخمة ،

المرأة الثانية : ضخمة جدا ومحدبة ، بمسامير قاطعة كأسنان الأسد .

المرأة الثالثة : هل ذلك هو المطعم الذى تعنينه ؟ ـ
عنده دجاجتان فى سفود مرسومتين فى الركنين العلويين ـ

المرأة الأولى : خوفا من أن تضربهم صاعقة وهم يفتحون أفواههم ليقولوا
ما هو صواب .

الثلاث معا : خوف ورعب ـ كان الشتاء قادما ـ فيرتعد جسدنا
بكامله ،
يقشعر جلدنا ، ندس أيدينا فى الجوارب الصوفية
لأولادنا الغائبين
كأننا نمسك بأقدامهم كى ندفئها ، ـ
ونتدفأ .

المرأة الثانية : ننظر ـ فقط ـ الى الباب ، حتى لايدخلوا فجأة
فيجدوننا غائبين ـ هكذا ـ عن الوعى ـ وأيدينا فى
جواربهم .

الثلاث معا : آه ، لو ـ فقط ـ يجيئون
حتى لو وجدونا نقضم أظافرنا بجوار القدر .

المرأة الأولى : كانت هناك أيضا فجوة سرية في الحائط ـ
هناك احتفظنا ـ لأعوام وأعوام ـ
ببعض العملات المتبقية ـ أحيانا ـ من الشراء ،
هناك احتفظنا بهدايا العـام الجديد للأوقات الصـعبة ـ
ببعض الأشياء الرخيصـة ،
وكنا نسد الفجوة بالورق ـ فلم تظهر ٠

الثـلاث معـا : وفى بعض أيام الأحـد ، عندما كان الجميع بعيدين فى الميـــدان ،
أو على الشاطىء ، كنا نستخرجهم ، نحصيهم ـ
شيء ما لخطبة البنت ، كنا نقول ، زوج بنطلونـات للولد الأكبر ، ـ
لم يكن هناك ما يكفى ، سـيعطينا الرب ،
نقـــول ،
وكنا نبتهج ببيضـة العش الصغيرة ٠

المرأة الثانية : كم كانت ترتعش رموش ابنتنـا وأنت تفردين زوجا من الملاءات المطرزة ،
زوجا من أكياس الوسائد أمام عينيها ،

المرأة الثالثة : غطاء أحمر للسرير بطائرين أبيضين جنبا الى جنب ،
يتعانقـان منقـارا لمنقـــار ٠

الثـلاث معـا : لم يكن هناك ما يكفى ، كنا نعيدهم الى الحائط ٠
ذات يوم ، فتحنـا الفجوة ، كانوا قد اختفوا ٠ لم ننطق بكلمـــة ٠
ظهرت أشياء أخرى ، أكثر خطورة ـ غطت عليهم ٠
عـدا ذلك ، فمن حين الى حين ، نتذكرهـــم ونحن نقوم بأعمال المنزل
أو فى السرير عند المساء ،

في المعدة تماما ، أسفل المعدة ، قرب السرة ،
عقـدة ، نتوء مجوف ثقيـل ،
كأن تلك الفجوة في الحائط قد حدثت في جسدنا ٠
ساوينا الحائط فيما بعد ٠ ما ظهر شيء ٠
ولم نكن ــ حتى ــ ندير أعيننا نحو هذه البقعة ٠

المرأة الأولى : أوقات مسترخية جاءت أيضا ــ لا نستطيع الشـكوى ــ
مثلما حدث مساء السبت ، عندما سددنا ديوننا للبقال ،
وبقي من الزيت ما يكفي لأسبوع أو اثنين، بل ربما شهر ــ

المرأة الثانية : ومثلما فعلنا مع الغسيل ،
وكانت سلة الغسيل تجف سعيدة في الباحة ، والملابس
تجف مكشوفــة ،

الثلاث معـا : بعدئذ كنا نلمهم ، نلقيهم فوق كتفنـا ،
فيلمسون خدودنـا دافئـين ، ينفثون البخار ، بملمس
الزغب ،
يفوحون بالشمس والصابون وبالأريج الآخر لعمل اكتمل
ولشيء ما وردي ،

المرأة الثالثة : وشذرة زغب من نبات شوكي حطت على قميص الولد
وداعبتنا تحت الأذن ــ أرادت اضحاكنا ،
أرادت ردنا الى الشباب من جديد ، ــ
نجحت ، ــ وضحكنا داخل أنفسنا ،

الثلاث معـا : على هذا القبيل ، لانت أنفسنا بفعل عنائنا ،
متباهيات ــ في السر ــ بكل هذه الملابس على أكتافنا ،
كأننا كنا ــ بأنفسنا ــ نرفع العالم بأسره ــ وكان خفيفا ــ
كنا نحن الذين جعلناه خفيفا ، وجعلنا خفيفات ٠

المرأة الثانية : أوقات مسترخية ــ لا سبيل للشكوى ، ــ
والكي لم يكن ملحـا ٠

الثـلاث معـا : ذات ليـلة ، ونحن جالسات على العتبـة ·
عندما كنا نحاول فى السر تخيل شكل القمر ـ
زهريـــة زجاجيـــة

المرأة الأولى : مليئة بملح ـ رطب قليـــلا ـ

المرأة الثانية : أم انه ـ بالأحرى ـ مصباح نذور ذهبى
أم أيقونة عذراء لازوردية ـ

المرأة الثالثة : أم عش من قش زغبى وبداخله العندليب
وكان يغنى ، لكننا لم نسـتطع أن نسمع صوت زقزقتـه
العذبة ـ تويت تويت ·

الثـلاث معـا : وأحيانا ما كنا نتأمل أيضا ، وأحببنا ذلك ·

المرأة الأولى : أو أحيانا ، فى مساء احدى العطلات ،
نمضى من بـاب الى باب نثرثر مع السيدات الطيبات فى
الجوار ـ
من كانت تتزوج ، أو تتعمد ، أو تحتضر ،

المرأة الثانية : وكان بجيب مريلتك بضع لوزات ،
وكثيرا ما كنت تلمسينها بأصابعك ، تعتصرينها ،
لكى تحسى بشكلها القوى ، بخوافها الحادة ،
كقوارب صغيرة موصـــدة باحكام
تطبق على الجوزة البيضاء فى قشرتها ـ

الثـلاث معـا : تحسسنا اللوز القوى فى جيوبنـــا ،
لأن المساء كان واضحا ، وروحك أيضا كانت واضحة ،
وكانت الحياة واضحـــة
وكانت تهرب من يديك دون أن تدركها ·

المرأة الثانية : هل تعرف أن ذلك هو السبب فى أننا كنا ، فى داخلنـا
الأعمق ،

فيما وراء الكلمات ، نتكلم ونحن صامتون
وكنـا ننصت لذلك الصمت العظيم الذى يزدحم بأشياء
مجهولـــة ٠

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما تهتز الستارة من ذاتها ، دون ريح ،

المرأة الثانية : مثلما يحدث عندما ينطفىء المصباح الذى كنا قد ملأنـاه
منـذ ساعـة ،

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما يستقر الغبار على الصندوق الحديد
الذى يضم أكاليـل الزفاف الشمعيـــة ،

المرأة الثالثة : مثلما يحدث عندما تجد ـ على المنضدة التى نظفتها حالا ـ
قطعة جبس مفتتـة ، ـ
وترفـع رأســك ـ على الفور ـ لأعلى
فاذا بالسقف على حالته ،
وعنكبوت كبير يجاهد ليختبىء عن نظرك ـ لايختبىء ٠

الثـلاث معـا : فى أمسيات الصيف ، لا تستطيع احتمال دخول البيت
للنوم ـ
قليـل من وقت اضـافى فى الباحة ، قليـل من وقت
اضافى لمشـاهدة العالـم ـ
ويجىء العالم الينا من جديد كحمار صغير طيب
بأذنين كبيرتين حادتين فى السمع ـ

المرأة الثالثة : وكثيرا ما يهز أذنه اليسرى ليهش نجمة أو بعوضـــة ٠

الثـلاث معـا : وكنـا نعض على شـفاهنا لنمنع أنفسـنا من الضـحك
بصوت عال ،
حتى لا يسمعنا الأطفال النائمون بالداخل ،

المرأة الأولى : حتى لا يسمعنا أزواجنا فيظنون أننا قد أصبحنا أطفـالا
بسـخفاء ٠

الثلاث معا : كانت الأشياء ـ آنئذ ـ طيبة ،
ولم نكن ـ حتى ـ نعرف ذلك ـ هناك في الباحة مع البئر .
كانت الصخور ما تزال دافئة من شمس النهار في برودة الليل .
ومع الباب التالي يمكنك أن تسمع الدجاجات الدافئة في العشة وهي تنفش ريشها ،

المرأة الأولى : وغناء الصياد في قاربه في المياه الضحلة ، في الأسفل

المرأة الثالثة : والورقة الجافة الكبيرة تسقط من شجرة البشملة بصخب عال
بعدها يصبح الصمت أكثر صمتا كمرآة مهجورة تحت الأشجار .

الثلاث معا : كنا نتعرف على الأصوات ـ
نستعيد تعارفنا مع شيء ما عطوف ، منسى ـ

المرأة الأولى : السلحفاة التي تزحف ـ دون أن يلحظها أحد ـ في الحديقة ببطء ،

المرأة الثانية : طابور الحباحب الذين يشعلون قناديلهم الصغيرة لينيروا طريقهم ،

المرأة الأولى : النحلة التي تنام في الوردة ـ
يمكنك أن تسمعها وهي تبتلع لعابها ،

المرأة الثالثة : وصرير أجنحة الفراشة ـ
لم تتكيف داخل القرنفلة ، مهتاجة دائما ، متقلبة دائما في نومها .

الثلاث معا : وكانت أنوفنا تدرك الروائح واحدة واحدة من حديقتنا المروية الصغيرة .

المرأة الأولى : هذه عترة ــ تقول أنوفنا ــ وتلك نعنــــاع ،

المرأة الثانية : وتلك ريحان أو بابونــج أو ورد

المرأة الثالثة : هذا بقدونس ، ــ وضحكة تقهقه داخلنا ،
مثلما يحدث عندما تهز ثوبــا قديمــا
فيسقط ــ مصلصلا ــ على الأرض خاتم طفــل صغير كنا
نظنــه قد ضــاع ٠

الثــلاث معــا : كانت الأشـياء طيبــة ــ وليس من الصـواب أن نكون
جاحــدين للحيــاة ــ
تلك الأمسيات التى يتحد فيها كل شىء ويتصالح الجميع،
البرعم، والقمر ، والكلب ، والكنارى ــ الجميع فى واحد،

المرأة الأولى : والقمر ، حقــا ، لم يكن غريبا ، كان قمرنــا ، أبيض ،
كاللازورد ،
دافىء كبيضة كبيرة باضتها الدجاجة منذ لحظات ٠

الثــلاث معــا : آه ، نعم، حقا، ــ فبين حين وآخر كانت لدينا قطرة وقت
لنرفع يدنا ونمسح العرق عن جبهتنــــا ،
بين حين وآخر لنلفظ «آه» بين ورقتين خضراوين ناضرتين
ونحن راكعات على الحوض ، نعجن الخبز للصغار ،
رفعنا ــ بلا قصد ــ عيوننا، ــ الى النافذة التى كان يقف
بها طائر صغير ويرقبنا ــ نسينا أنفسنا ،

المرأة الثالثة : أعتقد أن الطيور قد أكملت لنا العجن ونحن ننظر ــ

المرأة الثانية :وربما أكملناه نحن أيضا ــ من يدرى ؟ ــ
لم نصـــــنع أرغفــــة ،

المرأة الثالثة : بل صنعنا طيورا من العجين ، نثرنا عليها سكرا ،
ونثرنا على أجنحتها حلوى حمراء وزرقاء ،

وضعنا قطعتى قراصيا مكان العينين ، ـ
استمتع أطفالنـا كثيرا بهم

الثـلاث معـا : بل لم يعرفوا ماذا يفعلون بهم :
هل يأكلونهم أم يلعبون بهم ٠
أزواجنا ـ وحدهم ـ تجهموا وعبسوا،عاقدين حواجبهم ـ
من يهتم ؟

المرأة الثالثة : لمرة وحيـدة ، صنعنا ما أردنـــا ،
بالطريقة التى دلنا اليها الطائر وقلبنـــا ٠

المرأة الأولى : يا صديقاتى ! تذكرن ذلك الغروب الربيعى ،
الهادىء ، الصـــامت ، هبـــة الرب ـ والبحر ناصــع
كالكريستال ،

المرأة الثانية : صوار وحبال ومجاذيف مبلولة ،
حمرة داكنـــة تومض ،

المرأة الأولى : هلب منصوب ـ تتعلق فى أطرافه قلائـد براقة ـ
أى مرجان ، أى يواقيت وذهب ـ

المرأة الثالثة : فتــاة صغيرة تتمشى وحيـدة على الشـــاطىء فى الأســفل
كأنها تتمشى فى عالم آخر الى نفسها ـ
لم تكن جبهتها محنيــــة ٠

المرأة الثانية : وفجأة تظهر جزر صغيرة فى البعيد ، بعيدا فى البحر ـ
لم نرها أبدا من قبل ، لم تكن هناك من قبل ـ

المرأة الثالثة : جزر صغيرة لازوردية ، شـفافة ،
تضىء كلها دفعة واحدة فى الغروب ،
تومض كالجواهر ، تحترق وتموت ،
ثم تتحول الى رماد ، لتذوب في الليـــل ٠

الثـلاث معـا : لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ،
وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيتـه ،
وأنـنـا لم نكن وحدنـــا .

المرأة الأولى : وفجأة وصل مندوبون ذات شـفق ،
من بلد ، على ما يقولون ، بلد كبير ، بعيد ،
به ملايين السفن ، به بيوت بيضاء كبيرة ،

المرأة الثانية : ناس من حجر، على ما يقولون، يقفون منتصبين على أعمدة طويلـــة ،
ولديهم مدارس كثيرة من حجر أبيض .

الثـلاث معـا : واعترانا شـعور قلـق ـ
ثيابهم كانت جديدة ، وصولجاناتهم المزخرفـة فى جمال لامعـــة ،
لم ينظروا الينا مباشرة فى عيوننـــا ،
كانوا ينظرون من أعلى، فيروا شيئا ما لم نستطع رؤيته .
سفن كبيرة بخمسين مجذافـا اصـطفت أمام جزيرتنـا الصغيرة .
لم يطأ بحارتها أرضنا ، لم يدخلوا مطاعمنا ،
استلقوا هناك منبطحين فى انتظار الاشارة .
جاء هؤلاء المندوبون وحدهم من الأرض الأجنبية ،
وكانوا ـ على ما يقولون ـ يونانيين أيضـا .
جمعوا أزواجنـا وأبناءنـــا

المرأة الأولى : عند المتراس العلوى ، حيث يوجد المدفع القديم الصدىء،

المرأة الثانية : ذلك المدفع الأعوز ، المهمل هناك منذ عهد أجدادنا

المرأة الثالثة : ليتسلقه الحمام والعصافير والأولاد ويمتطوه ،
متظاهرين بأنهم فرســان عظماء
فى أمسيات الصيف ، قبـل العشــاء ،

ويمدوا أيديهم فى فمة الخاوى
ليمسكوا بقدم الجنية ، ربما ، ويصبحوا رجالا شجعانا ٠

الثلاث معا : جموعهم عاليا هناك ،
ونحن فى كل ناحية ، التصقنا بالأبواب ٠
تكلموا بهدوء (آه،هذا الهدوء الذى تشمه قبل العاصفة) ـ
لم نستطع فهم كلماتهم ـ التقطنا جرسها وحده ٠
« استسلموا » ـ قالوا ـ « والا سندمركم » ٠
قالوا الكثير ، قالوه بكلمات مختلفة ـ
ذلك ما فهمناه : « استسلموا » ٠ ـ

المرأة الأولى : أمثل ذلك يأتى من البحر ؟

المرأة الثانية : مثل ذلك وأيدينا معقودة ؟

الثلاث معا : كنا نتطلع الى أزواجنا ـ

المرأة الثانية : الفك مطبق ـ أخرس ـ
كأنهم يحملون فى أفواههم قصف رعد هائل ٠

المرأة الأولى : والآخرون واصلوا الحديث ـ
عيونهم تزداد صغرا ، كلماتهم تزداد سرعة ،

الثلاث معا : أفواههم تزداد اتساعا ـ كانوا يبتلعون كل هوائنا
لم يبق لنا شىء كى نتنفس ٠
ورجالنا ، صامتين كالحجر ، قالوا شيئا ما
من قلب الحجر ، قدموا ردا ما ،

المرأة الأولى : قالوا شيئا ما عن « الشرف » ،
شيئا ما عن « الوطن » (وقرقعت هذه الكلمه

المرأة الثانية : على نحو ما يقرقع أساس البيت فى الزلزال
فتظن أن كل النوافذ ستتحطم ،
ومعها زجاجات « الراكى » الجيد فى الرف على الجدار

المرأة الأولى : الزجاجات التى احتفظنا بها للزوار) .

الثــلاث معــا : تكلموا جيــدا ــ فأحسنوا ــ
« الشرف »،« الوطن »، وينظرون الى أسفل فى أحذيتهم.
وبعد ذلك كلمة أكثر صعوبة ، أكثر عظمة ــ
أسموهــا « حريـــة » ــ

المرأة الثانية : نعم ، « حرية » . فومض ضوء أسود هائل عاليا
حتى منتصف السماء ،

المرأة الأولى : نعم ، « حرية » ، ولم نعرف ما الذى تعنيه ــ
وفاضت عيوننــا بالدمــوع ،

المرأة الثالثة : فاض البحر تحتنا بالدمـوع ،
وتحول الشاطىء الى زرقـة الحبر .

المرأة الأولى : انفجر طفــل فى النشيج فجأة ،
كأنهم قد ذبحوا ــ أمامه ــ أبـاه .

المرأة الثالثة : والعمة « كوستينا » تقدمت خطوة ،
وضعت يديها خلفها وفـكت مريلتها كأنها لن تعمل بعد
الآن ،
ثم جاهدت لتربطها مرة ثانية باحكام أكبر ، ــ
ولم تنجــح فى ذلك .

الثــلاث معــا : كنا نرى يديها ترتعشــان ــ
يدان كبيرتان كأيدى جزيرتنا كلها ، ــ
لم تستطيعا العثور على أربطة المريلة ،
وقد تظن أن الأربطة قد ضاعت ،
قد تظن أن أصابعها أصبحت أكثر رخاوة .
كان الصمت حولنــا ينتشر ، ــ

ولا تستطيع أن تسمع سوى قرقعته ،
الحركات كانت بطيئة فى الظهور ،
وتظن أن عامين أو ثلاثة قد مروا منذ أن تدخل يدك فى
جيبك ،
فتعثر على فص ثوم ، وتكسره ٠

المرأة الثالثة : أما الجدة العجوز ذات المائة عام ،
السيدة « كاتينا » التى تداوى بالأعشاب ،
والتى يمتلىء بيتها كله — من الداخل والخارج — بأكياس
صغيرة
لا تحتوى سوى على أعشاب ،
معلقة على الجدران فى مسامير صدئة ، —
اندفعت السيدة « كاتينا » الى السطح ، ممسوسة ،
وهى تحمل مرتبتها القش ،
رمتها فى الشرفة وراحت تضربها بعصا غليظة
كأنها تضرب شخصا ما على مؤخرته ٠

الثلاث معا : وفجأة
ماذا كان ذلك الضوء الساطع ،
ذلك الهدير ، تلك الغيمة من غبار ؟ —
هل اشتعلت فى مرتبتها النار ؟
هل اشتعلت النار فى أكياسها المعلقة على الجدار ؟
هل كانوا يطلقون قنابل المدافع من السفن ؟ —
متى — فى ذلك الحين — وطأ أرضنا الغرباء ؟
وأين وجد ناسنا السيوف ؟
جدران التحصينات كانت تهوى والصخور تنفجر ،

المرأة الأولى : الزيت الساخن كان يفور فى القنوات ، والدم يجرى ،

المرأة الثانية : وهذه الكلمة المزدوجة « الحرية أو الموت »
انفجرت فى الفضاء ،

المرأة الثالثة : كف مطبوعة بالدم على باب المطعم ـ
الباب الموارب ـ كان الجميع يجرون ـ

المرأة الثانية : صيحات « الحرية أو الموت » من الحصن العالي ،
من الشاطيء الأسفل ـ

الثلاث معا : كنا نحن الذين نصيح ، ألم نكن نحن ؟ ـ
أصوات عالية ـ ألم وخوف ـ

المرأة الثانية : (بين الألم والخوف ، كان الخوف هو الأقوى) ـ

المرأة الأولى : لا الألم ولا الخـوف ـ
كانت العوارض الخشبية تحترق ، وتهوى ،

المرأة الثالثة : والنار اشتعلت فى علم مبنى البلديـة ،
فتوهج وهوى فى الشفق مثل ورقة شجر صفراء كبيرة ـ

الثلاث معا : التفتنـا لحظـة ورأينـا ـ
كانت السارية تحترق مثـل اصبع وحيـد
لم يعد لديه ما يشير اليـه
« الحرية أو الموت » ـ كنا نجرى من جديد ـ

المرأة الأولى : أية حرية ؟ ـ أي موت ؟ ـ أين ذهب أطفالنا ؟ ـ
كنا نجرى على غير هدي ، الى أعلى الى أسفل ـ
كان المكان يتبـدل
ولم تكن تستطيع القول أين توجد بيوتنـا ـ

الثلاث معا : لم تكن هناك بيوت بل ألسنة حمراء كبيرة ،

المرأة الثالثة : فى جرعة واحدة كانت تبتلع شرفة ، أو سقفا ،

المرأة الثانية : معلقا ، تعريشة كروم ، بابا ، نافذتين ،

المرأة الأولى : الكنيسة بأبراج الجرس ـ خوف وألـم ،
ـ لا الخوف ولا الألـم ـ

الثــلاث معــا : آه ، كيف تنطقون « جريــة » ،
كيف تنطقون « مــوت » ؟
لقد حددتم اختياركم مقدما ــ وحده الموت .

المرأة الأولى : لم يتركوا أى كائن ذكر ــ
وعيوننــا لم تعرف كيف تبكى ،

المرأة الثانية : والأقدام كانت تجرى من تلقاء ذاتها ــ
لم نعرف الى أين كانت تجرى ،

المرأة الثالثة : والفم كان يصيح من تلقاء ذاتــه ــ
لم نعرف بم كان يصــيح ،

المرأة الثانية : والعيون كانت ترى من تلقاء ذاتها ــ
لم نعرف ماذا كانت ترى .

الثــلاث معــا : كل شىء سواد واحمرار ، ــ حصان يجرى ،

المرأة الثالثة : بقرة تهز ذيلها ــ فتهش ذبابــة ــ
ذلك ما رأينــــاه ،

المرأة الأولى : زجاج نافذة مكسورة فى العشب ،

المرأة الثانية : قطة مقتولة على القرميد ــ لم يكن هناك بيت ــ

المرأة الثالثة : قرميــــد المطبخ وحــــده ، ــ
واحدى عينى القطــة نصف مفتوحــــة ،

المرأة الأولى : والمستوقد يشتعل فى الشتــاء ، ــ
دجاجــــة تقوقى

المرأة الثالثة : امرأة عجوز ترتدى أسمالا خطفت البيضة
كانت البيضة بيضاء ، مستديرة تماما ــ
كسرتها وامتصتها ، والبياض سال على شفتيها ،

الثــلاث معــا : كان شخص ما يصــيح « ابنى ، ابنى » ــ
يصيح من داخــل الآبــــار

المرأة الأولى : والمتسول الأعمى على سلالم « سان نيقولا »
كان مايزال يمـد يـده ،

المرأة الثانية : قطعها أحد الجنود بضربة سيف واحـدة ،
والتقطها من الأرض ،

المرأة الأولى : كأن الدم يتفجـر نهرا ـ
« خذها » قال له ، ورماها عند ركبتيه ،
« يا الهى » صرخ أحد الأصوات ـ من صرخ ؟ ـ
صرخ مرة ثانية « يا الهى » ٠

الثـلاث معـا : وذلك الصوت « ابنى » ، « ابنى » ، « ابنى »

المرأة الثالثة : من أظافر قدمك الى جذور شعر رأسك ـ لن يتوقف ٠

الثـلاث معـا : ثم لاشيء ـ خرس مع صوت خطى أجنبيـة ، ـ
وحـل الليـل ٠
بالنسبة لنا ، قيدوا أيدينا ، ورمونا في السفن ،
الواحدة فوق الأخرى ، أكياس مربوطة ، أكياس طرية ـ
لم يكن بالأكيـاس شيء ،

المرأة الأولى : ولا حتى شيء تافه ، لا مدراة ، ولا ذكرى ـ خاوية ٠

المرأة الثالثة : كيس خاو يحس بالألم ولا صـوت لـه ،
ولا يلفـظ « آه » ،

المرأة الثانية : كيس خاو ـ لا ، ليس خاويـا ، ـ
كانت به عظام ، فعندما كان كوع بداخله يرتطم بخشب
السفينة ،
كان يصـدر صوتا مكتوما ،

الثـلاث معـا : كان يمكن سماع صوت واهـن ، ـ
كانت عظامنا داخـل الأكياس ٠
حملونا الى هنا ـ عبيدا فى أرض أجنبيـة ـ

المرأة الأولى : لا تعرف المكان ،
وأيدينـا لا تعرف الإمسـاك بالمكنسـة ،

المرأة الثانية : مطرقة الباب ، ركن المنضـدة ، الامساك بالجرة ـ
أجنبى ، أجنبى ـ

المرأة الثالثة : أنوفنا لا تعرف الهواء ، لا تتعرف على الروائـح .

الثـلاث معـا : المرتبـة محشـوة بمسامير ـ ،
تتقلب يمينا ويسارا ـ لن يغلبك النوم ،
وذاكرتك مليئـة بمسامير ،
لا مكان لتحنى ظهرك ،
جدار وحيد ، عال ، بلا ركن لتحتمى به من الريـح ،
جدار ملء بالمسامير ، مثل جدار السيدة « كاتينا » ـ
وأين يمكنك الآن أن تعلق الأكياس الصغيرة
ذات الأعشاب القديمة ، حيث المقصات ،
وسلة من التوت البرى ، وقبعة حمراء ، ومرآة صغيرة ؟

المرأة الأولى : ما الذى يمكن أن تفعله بمرآة ؟
ما الذى يوجد لتراه ـ وجه الموت القبيح بالأنف المجدوعة؟

المرأة الثانية : الأسنان العارية فى ظلمة الليـل ؟ ـ
عيوننا أظلمت ـ لا ترى ،

المرأة الثالثة : عيوننا لا تعرف الأشجار ، لا تعرف البحر ،

المرأة الأولى : بحر بلا ملوحة ، بلا طحالب أو أسماك ـ لا رائحة .

الثـلاث معـا : هنا ، سرا فى الليل ، اجتمعنا معا ، مستوحشين ،
بالمنديل الأسود يعصب عيوننـا
هنا ما نزال نتساءل ، نتساءل بلا كلام
هل كان لميلو وجود ، هل كان لنا أيضا وجود ،
نحن نسوة ميلو ، أكان لجزيرتنا وجود ؛
وهل كبرنا نحن أنفسنا هناك ، وعملنا وتزوجنا
أنجبنا أولادا ما عادوا لنـا ؟

كيف حدث ذلك ؟
كيف يمكن حقـــا أن يكون ذلك الذى ما نزال نتـــأمله
ونـــذكره ؟
لابـد لذلك أن يعنى ــ اذن ــ أن ميلو كانت موجـودة ،
أننا ــ أيضا ــ كنا موجودين ، وأننا ما نزال ــ

المرأة الأولى : وأن تلك الكلمة ، ذات شفق ، « وطن » موجودة فينا ،

المرأة الثانية : وأن تلك الكلمة « حرية » موجودة ، ذات مساء ، فينا ،

المرأة الثالثة : وأن تلك الكلمة الأخرى ، رفيقـة الحرية ، « الموت » ، تأكل فى أحشائنـــا ،

الثـلاث معـا : كبذرة أزواجنا ، تكبر وتكبر ، فتملأنـا ــ
هيه ، حامل من جديد فى السبعينيات ، فى الثمانينيات ،
لنلد ــ من جديد ــ أطفـالا كثيرين ، ألف طفـل ، أولاد وبنات جزيرة ،
لنلد ــ من جديد ــ ميلو ذات الخدين المتوردين
يا الهى ، هل أصابنا الجنون ؟
يا الهى ، هل متنا وبعثنا كطيوف ليلية من الجانب الآخر من العـــالم ؟
الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى ــ
نرسم الصليب على أنفسنا ، ها هى يدنا ، ــ نراها ،
انها ترسم شارة الصليب هناك ،
وهناك ظلها على الشرفـــة ــ
يد جديرة ــ آه ، يا الهى ــ بأن تحمل من جديد
الخبز ، والطفل ، والسكين ، والعلم ٠

(الفجر يشرق عن بعد ناحيـة البحر ، ــ وهـج وردى فـاتن ٠ كتلة جزر صغيرة مبعثرة هنـا وهنـاك تنبثق ــ لازوردية ، شفافة ، بعيدا، كذلك الشفق الذى

يعـود ـ الآن ـ الى ميلو · النسوة العجائـز يتطلعن · وجوههن تبـدو وردية ـ وتظن أنهن يعدن الى الشباب من جديـد · وبطونهن تبدو ـ حقيقيـة ـ كأنها تكبر ، وهناك ميلو ، هناك ، هناك ، الى اليسار أكثر قليلا ، بكل بيوتها ـ ليست ذكرى وحلما ـ حيـة · الزجاج يلتمع فى النوافذ · وأربعة شبان رائعون عند الميناء فى الأسفل على الطريق الساحلى ـ اثنان فى المقدمة واثنان خلفهما · وعارضـتان كبيرتـان على أكتافهم · على قمة العـارضة ، يحملون كنيسة بيضـاء · والفخار الأول يمر مع حماره الصغير المحمل بجرار وأباريـق جميلة الزخرفة · « صـباح الخير ، يا سيداتى الكبيرات » ، يقول · « هـل قال لنـا ذلك ؟ ـ » تسـاءلت النسوة العجائز · « صباح الخير ، أيها الشاب الوسـيم » ، يجبن · يمر · « ألا يشبه ذلك ما يحدث فى ميلو ؟ » ، قالت احداهن · « الشاب ؟ الأباريق ؟ ـ نعم ، تماما كما فى ميلو » ، قالت الثانية دون انتظار لاجابـة · « انهم يشبهون تماما ميلو » ، قالت الثالث ، وفتحن أذرعتهن الى البحر كأنهن يتمطين ، كأنهن يسـتيقظن من كابوس ردىء) ·

(ساموس ، سبتمبر ـ نوفمبر ١٩٦٩)

حجـــرة البـواب

* بيـــاض كثير

خلف النوافذ الزجاجية ، الدكان الخاوى ، كله أبيض ـ
حوائـط بيضـاء ، طاولات بيضـاء ،
على الطاولات صناديق بيضاء بها بيض أبيض ٠
فقط ذبابة كبيرة سوداء رفرفت أمام زجاج النافـذة ٠
وكنت متأكدا تماما أن صاحب الدكان
قد توفى منذ برهـة يسيرة فى الحمام
والعملات فى جيبه من بيـع البيضات الأخيرة ـ
بيـاض كثير لم يطلق سراحـه ، بياض كثير غير مطلوب ،
وحيـــد تماما ، باهـر ٠

* اعمـــق

أكثر عمقـا ، ـ قال ـ بل أعمـق
(بايقـاع ـ أيضا ـ فى الهبوط ، باستمراريه) ـ
هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتـة ٠
شيئا فشيئا تعتاد العين على الظـلام ٠
تميز افتقاد الحوائط ، أفتقاد السقف ، أفتقاد السلالم ٠
لا نوافذ زجاجية ، لا مرآة ، ولا الخزانـة القديمة ٠
البستائر معلقة فى الفراغ الأوسط بدبابيس ٠

وذبذبات خطواتك المبكرة الواهيـــة
على ابريــق اللبن النحاسى
الذى ترك فى الصباح آلباكر ، مع ندى الربيــــع ،
أمام بوابــة الحديقة غير المحكمة ، البيضـــاء
أو على الابريــق الفخار الآخر
الذى تحمله على رأسها المرأة الصامتــة ·

* قرب الفجــر

آخر الليـــــل ، عندما يبدأ المرور في الخفوت في الشارع
ويترك رجال المرور أماكنهم ،
لا يعرف ما الذى يفعله بعد ذلك ،
ينظر من النافــذة الى أســفل
الى النوافــذ الزجاجية للمقهى الكبير ،
المغبشـــة ببخار السهر ،
ينظر الى عاملي المقهى منكسرين فى الضوء ، كأشباح ،
متجاورين خلف الطاولة الطويلة ،
ينظر الى الســـماء بثقوبها البيـــضاء ،
التى يمكن ــ من خلالها ــ رؤية عجلات الأتوبيس الأخير ·
وبعد ذلك ، « لا شىء آخر ، لا شىء آخر »
يعود الى الغرفــة الخاويـــة ،
يحنى جبهته على كتف تمثاله (الأكبر من الطبيعى)
فيحس ببرودة الصباح على الرخام ،
بينما الحراس ــ أســفل فى الســـاحة مع أحجار الرصـــيف
المكسورة ــ
يلملمون شظايا الآلات الوترية من طرود المنافى ·

* استقالة جزئية

هكذا حدث أن انقلب النهار فجأة الى نهار غائم .
فقد الساحر قبعته الرسمية مع الطيور .
وربط البهلوان حبله الى رجل المنضدة .
فى الممر أوراق لعب الليلة الماضية مرمية مبعثرة .
وفى الغرفة العلوية، الرجل الميت ممدد ــ وحيدا ــ على السرير
بثيابه والحذاء متقاطع فى يديه ، مفتوح العينين ،
يحملق فى السقف بذلك الغثيان الواضح
من كل هذه الذرائع ، والالتواءات ، والأقنعة ،
من كل هذه الأزرار فى البنطلونات ، وخاصة فى الصدرية
عندما يكون الموت واحدا ، بلا نظير ، وحيدا
وحوض الغسيل ذو المرآة المكسورة غير صالح للاستخدام .

* حركة

توفيت أمهاتنا مبكرا .
فكيف كبرنا على هذا النحو بين أيدى غرباء .
صباحات شتائية مع كسرة خبز مغموسة فى ماء وقليل من
سكر .
رنين المنبهات قطع نومنا الى النصف .
خرجنا الى الشارع دون اغتسال .
ظللنا ننتقل من بيت الى بيت كل حين وآخر .
وكنا دائما ما نترك خلفنا شيئا ما ــ
صندوقا به بعض الكتب ، ماندولين مكسورا .
سوف نمر ــ هكذا كنا نقول ــ ذات يوم أحد لنأخذهم .
لم نمر أبدا .
وحقيبة الملابس هذه وسط الغرفة ، مغطاة بالخدوش .
مع أربطتها المبعثرة على الأرض .

بالداخل تركنا تعويذة قديمة فى خيط أسود
مع تلك الصور المتسخة التى رأيناها ألف مرة
المزدحمة بنساء عاريـات ، من النموذج القديـــم ،
لهن حوض عريض ، وخصر نحيل وصـــدر كبير .
احداهن كانت ممددة ووجهها لأسفل كأنها تبكى .
كانت ــ بالفعل ــ تبكى أمام الحائط
ذى المسامير الصدئة التى يتعلق بها زوج من المقصات وحمالة
البنطلون .

* اقتـــراح

لا تتكلم بصوت عال ، فلا أستطيع احتمال الأصوات العالية .
فالجميع يزعقون ، ما الذى يجنونه ؟ ــ قال
فاذا ما تكلمت برقـة أكبر ، فسوف أصدقك .
المنبـه خبأته فى صندوق الثيـــاب ، ــ
فهو مصمم على تقطيع وقتى الى فتات ، كأنه من أجل عصافير
الشـــتاء .
لكننى لست طائرا ، ــ أريد وقتى سليما
بلا صرخات أو صخب مثـل قطار ما بعد الظهيرة ، المنحدر فى
الشـــارع ،
أسفل طريق « ليوزيون » بعربات كثيرة . واحدة وراء الأخرى
محملة بالفحم والمجارف فوق الكومـــة .

* فنـــاء

عميقا فى الفضاء الداخلى ، بلا أيـة أشجار ،
لكنه يضم الأشجار التى أصبحت مقاعـد ،
وكراسى ، ومناضـــد ، وصناديـق .
على صندوق الثياب تجلس المرأة الصامتة ، تغطى رجليها

تنظر الى البرقـة وهى تزحف على الأرضـية ـ
يرقـة خضراء ، لزجـة تائهة ،
نفس البرقـة التى أكلت الخشب وتأتى الآن لتأكل البيت .
والصور المعلقة على الجدران والحبل المتدلى من السقف ·

* رقصـة امرأة تجاوزت الشباب

لا تخبرنى · دعنى أخمن ـ تقول ـ اننى أخمن ·
أقفز من شرفـة الى أخـرى ،
وأنا لا أحرك غير أصابـع يـد واحـدة ·
أحل الستارة البيضاء · أرميها على كتفى ·
أتذكر أننى حافيـــة ·
وهو ما يجعلنى أشعر بما يشبه الرقص ·
أرقص فى الهواء · انظر ·
قدمى اليسرى أكثر خفـة · اليمنى أكثر مهارة ـ
اننى مطاعـة ، انظر ، وموجـودة ·
فكل حبـل ، فى طرفـه ، فى حافتـه الأخيرة ،
له عقدة محكمة تمنعه من الانتسال ·
أليس ذلك هو ما يحدث مع غير المتوقع ؟ ـ دائما فى النهاية ـ
آه لو أستطيع تعليم أحد ما هذه الرقصـــة ·

* ابنيـــة

أكنت أنت الذى علقت البطانية الصفراء فى الشرفـة ؟
أكنت أنت الذى رسمت شارة الصليب فوق الخبز ؟
لقد كنت وراء الحائط · ورأيت ظل يدك اليسرى على الباب ·
أما السـكين فلم أرهـــا أبـدا ·
البـــاقى أغفلنـــاه كلـــه ـ

كيف تشكلت الكلمات، كيف يتمشى حارس الغابة وحيدا على
التـــل ،
قبـل حلول الليـل والأحجـار تتجـدر ـ
تقضمها الكلاب ، تحملها الى النهر ، عنـد المرجـل ،
حيث تغسـل النسوة ـ فى هـدوء ـ ملابس الميت ٠
آنئذ تقف الكلاب بلا حراك ، وأفواهها مفتوحـة ،
تكشف عن أسنانها ، كأنها ما تزال تحمل نفس الأحجار
وتنظـر الى أعلى ـ
هذه الأحجار التى بنينـا بها البيت غير المأهول بلا سقف ٠

* اعتراف صـــعب

لقد كنت أنا الذى أخذت المسامير وألواح الخشب ٠ فلا تخنى
كان بمقدورى ألا أخبرك ٠ لا أستطيع ٠
بينما كان الآخرون يدقون ، وهم عرايا فى الشمس ،
صعد السلالم مرتديا ثيابـه ، وربطة عنقـــه ٠
فتـح الخريطة ، كبيرة تماما ، وأشار باصبعه ٠
جعلنى أتجمد ٠ فلم تكن الشواكيش مسموعـة فى الدق ٠
الآن أعرف الفرق بين الورق والحديـــد ٠
فالعـالم ينقسـم الى اثنـين ٠
وسواء وافقت أم لا ، فلن يتوحـــد ٠

* تحـــولات

تعاملت مع الدب الأسود برفق ـ يقول ـ فروضته ٠
فى البداية قدمت له خبزى ، ثم رأسى ٠
فالدب ـ الآن ـ هو أنـا والمرآة ٠
أجلس على الكرسى ، أبرد أظافرى ،

ألونهم بالأحمر أو الأصفر ، أنظر اليهم ، يرضوننى ·
لا أستطيع لمس أى شىء · فأنا خائف من الموت ·
صنعت تاجا بعد ما تحررت من السلسلة حول رقبتى ،
وضعته على جبهتى ·
والآن ، ماذا أفعـــل ؟
على أن أقف مرفوع الرأس ، أنظر دائما الى أعلى ·
مع ذلك ، ففى منتصف الليـل ، فى سهرى الجديد ، ولا يهم كيف أمشى ،
أسمع صدى خطواتى يتردد فى الأسفل تحت الباب المسحور،
بينما السلاسل الأخرى تتدلى من الجدران ·

* علاقـــة

لقد اتهمت السـيدة العجوز الوحيـــدة ،
بفكها الملتوى ، وعينيها القاسيتين ، وأسنانها السوداء ·
الآن تتمشى مع الكلاب وسط القاذورات ·
يداها طويلتان ، نحيلتان ، معتنقتان فى سمو بكر ·
تنظر الى نافذتك · ترمى لها منديلها الذى نسيته ·
تتركه يسقط على الأرض ، وتلتقطه ، تفتحـه ،
تضـعه تحت ذراعها ، تصـعد السـلالم ،
تضـعه على عتبـة بابك من الخارج –
لا تدخـــل ·

* ايمـــاءة

ها هنـا – مرة أخرى – شىء ما يستهويك ، بلا توقع ، شىء ما بـلا أهميـة
كايماءة امرأة تأخذ الورود الجافـة من الزهريـة
لا تتخلص منها على الفـور ، بل تتوقف ، تفكر ،

حركة مرجأة ، بل نادمـة سـلفا ـ
اذا ما حـادثتها فلن تسـمعك ـ
ايماءة صماء ، كالكلمة التى تضعها فى قصـيدة
وبعدها تدور هنا وهناك متسائلا : « هل قلت شيئا ؟ »
ولا تبـالى بأن الحرب قد أعلنت
وأن الطائرات الكبيرة تمزق الغروب
بظلال سوداء ذات حدين فوق الأحمر ،

* مقـارنة مهيبـة

المقهى ، والصيدلية ، والمخبز ، باب أحدهم بجانب الآخر ،
أبعـد قليـلا محـل الزهور الصغير ٠
النـاس لا يتوقفـون ٠
النساء ينظرن الى انعكاساتهن فى النوافذ قبل حلول الليـل مبـاشرة ٠
خلف الحائط غير المكتمل فى حقـل الخبازى
يرمى الجميع أشياءهـم ـ صوانى كرتونيـة ،
زجاجات دواء ، أكوابا مكسورة ، فناجين ، زهورا عفنـة ٠
هنـاك مكان تجمـع النسـاء والكلاب ٠
يبحثون فى الكومة بعناية ، بذهن شـارد ـ
لا يرون الغروب الذهبى ،
يبحثون كالشعراء يبحثون عن القصـيدة ،
وأكثر النساء العجائز بؤسـا ، المهجورات ، سعيدات
بقشرة برتقالـة جافـة ، بجزء من مرآة مكسورة ،
بزجاجـة دواء زرقـاء ما تزال تحمـل
الآثـار البيضـاء للحلزون المتشرد
وفى جوفها صوت القطار الذاهب الى « لاريسا » ٠

* النوع الآخر من الدقـــة

عليك بالقياس جيدا ، وأن تحسب بدقة الحدود والأبعاد .
بذلك ، تمد ـ منحنيا ـ عصـــا القياس على الأرض ،
مستغرقـــا ـ بذلك ـ في المرات التي قد تكون نسـيت فيها
الحدود ـ من يــــدرى ـ ،
فقـد تكتشف الدقة الكبرى ، وحيدا وذاتيـــا ،
عندما ستلمس أصابعك ـ بالصـــدفة ـ على الأرض
مشبك حزام « هيلين » ـ الحزام الذى كانت ترتديه ذات مساء
وهى تراقب ـ من فوق الأسوار ـ معارك اليونانيين والتروجانز
وخلفها ـ كالمصير ـ الكلبة السوداء الحامل
تتبعها ـ منتشية ـ بعينيها الناعستين ·

* لقـــاء غير متوقـــع

لاشىء ، بالطبع ، ينشأ بكامله من تلقـــاء ذاته ·
وأنت أيضـــا لابد أن تبحث كى تعثر عليــه ·
فى الصباح تدخل الشمس من النافـــذة الشرقيـــة ،
تغير لون الكرسيين الأرجوانيين ، تبقى برهـــة ،
ثم تنسحب مخلفـــة وراءهـــا الشعور بالسكينة ـ
هذا التــــلاشى الهادىء ·
وزهور السجادة التى داستها الأقدام ، لها حقها ،
لها آذانها التى سحقت فى الأرض ،
تسمع الركض الايقاعى للخيول السريـــــة ·
آنئـــذ تدخـــل المرأة الصـــامتة ،
ولك أن ترى أنها حريصة على ألا تدوس هذه الزهـــور ·

ما لا يصـــدق ربما يمكن قبوله من شخصين معا
رغـــم أنه لا يكشف نفسه ـ أبدا ـ الا لشخص واحد ·

* تعــاطف

البيوت التى قضينا فيها حياتنا
نفس البيوت التى نبحث كل يوم فيها
فى الأقبيـــة ، والدواليب ، والمصــابيح ،
خلف المرايـا ، أو تحت الأسرة ،
عن دبوس شعر ، صــندوق مجوهرات ، سـاعة مكسورة .
عن علبـة كبريت قديـم ــ لم يعـد يشتعل ــ
عن أشياء كنا نعرفها فأصبحت فجأة
مجهولة وبعيدة ، أو العكس تماما ،
فى هذه البيوت ، تحت المناضـد
عن شريحة خبز باليـة (من يدرى من أى عشـاء ؟)
لا لنأكلها ، بالطبع (فلم يعد أحـد جائعـا) ،
فقـط لنكتشـفها ·
ولو ان شخصا ما دخل الغرفـة فى هذه اللحظـة ،
فاننـا نقضــم الخبز فى الحـــال
ــ رغـم الخوف من كسر سـنتنا الأخيرة ، ــ
هناك فى شـفق الأمسـية الهادئـة للغرفـة ،
فى الليونـة العذبـة العميقـة للزمن
فى تعـاطفنا مع أنفســنا ، مع كل شىء ، مع الجميـــع ·

* كلب عجـوز مالـوف

عرفنـا هذا الكلب لسنوات طويـلة ، ــ دائما هو
دائما بعظمة كبيرة فى أســنانه ، لا هو يأكلها
ولا هو يرميها من أسنانه (فكيف يستطيع بذلك أن ينبح ؟)
الا اذا كان يختبىء ــ كل ليـلة ، ونحن نائمون ــ
ويقضمها فى السر ،
ثم يجد ، بالتنقيب فى مكان ما ــ من يدرى ــ

عظمة جديـــدة لليوم التـــالى ،
الا اذا كان قد عرف أن النبــاح بلا فائــدة أبدا
أنه لا يحمى أحدا ، لا البيت ولا الحديقة
لا النافورة ولا هو نفســه من القمر ، والزمن ، واللصوص ٠

* الى أعلى

كان ذلك كل شيء ٠
من النافذة كان الناس يرمون عملات ذهبيــة ٠
والآخرون ، فى الشــارع ، لا يأخذونها ٠
ظلوا بلا حراك ، بلا صوت ينظرون الى أعلى
ربما الى الجائعة ، المغلولــة ،
ربما الى الغيمة أو التمثال الطينى
أو الى ذلك الخطاف الكبير
حيث شنقت العمة « أنـــا » نفسها منــذ ســنوات ٠
بعدئذ ، انحنوا وأخــذوها ٠
وبقيت أنت ــ من جديد ــ وحيدا فى الغبــار
تخفى يدك المبتورة فى قميصك ٠

* توجيــه

خطط اقتصادية ، خرائط ، فرجار ، أدوات رســم ــ
لم نفهم شــيئا من كل ذلك ٠
والتخطيط ينتهى دائما الى فشــل ٠
نزلنا، ونحن نمسك بالحبل، نزلنا الى الأعمق فى البئر القديم،
ونحن نحس على نعال أقدامنا بالبرودة المظلمة للأعماق ٠
فى فوهــة البئر ، وهــناك عاليــا ضوء ضئيــل
(ربما كان طرف سجائرنا المشتعل)
والأحجار التى تهوى الى القـــاع
حددت موقعــا لنا داخل العالم المعلق ٠

* ونواصـــل

كل مرة ، اذ يقول « لقد انتهيت » ، لا ينتهى أبـدا .
ذات مرة تكون النافذة بستارتها الطويلة ، المسدلة ،
وفى المرة التاليـة الرجـل الأمامية للكرسى ،
بعدها كوب الماء المنسى تحت السرير قرب الحذاء ،
قبل كل شيء داخل الثلاجة ــ البيضاء بصورة مصطنعة ــ
بالتفاحة الحمراء المقضومة التى ما تزال محفوظة
وهى تكشف بوضوح تـام آثـار نفس الأسنان .

* على مستويـين

خميـلة الورد المتسـلقة الجميـلة
هذه التى تنحنى على التعريشة الحديد ــ بلون أحمر داكن
يتحول (من يدرى بأية عملية سرية) الى قرنفلى نبيل بمسحة
فضية تقريبـا ــ
تتوهـج مشرقـة هذه الأيـام الربيعيـة
فتضيء السلالم الحجرية ، والحوائط الداخليـة
بل وفنـاجين القهوة داخل المطـبخ ،
هذا الغنى الوافر هو ما يستحضر فى الذاكرة
فصول الخريف الماضـية (والقـادمة)
عنـدما تتغطى أحجـار الرصـيف فى الساحـة ، والمخزن ،
والصهريـــج ،
حتى الغرف العلوية ، ودولاب المكتب ، والأسرة
ببتـلات ، وغصون ، وأشواك ، وأوراق شجر جافـة
ويكون عليـك أن تكنسها بين الحين والآخر .
ذلك هو السبب فى أننا ــ عندما نبدى اعجابنا بسيدة المنزل
على خميلتها الوردية الجميلة ــ يا له من لون، يا له من اشراق ــ
فانها بالكاد تبتسم بطريقة حزينـة شـاردة ،

كأن الشيء الوحيـــد الذى تتمناه
لم يكن سوى خاتم رفيـع حول اصبعها الصغير .

* بعـد مقاطعـــة

عندما جلس ليكتب شيئا بعد شهور عديـــدة
أحس فجأة أنه أشعث ، غير مغتسل ، مهجور
كامرأة غير متزوجة تمر بالصـدفة فى المســاء ــ
بعد انشغالها طول اليوم بأعمال ترتيب البيت الروتينيـــة ــ
أمام المرآة ، فتلتقط لمحـة من صورتها العانس ،
لتـــدرك فجأة أنها طوال اليوم لم تنظر الى نفسها فى المرآة :
فهل شاخت ، اذن ؟ هل هى ــ الآن ــ ميتـــة ؟
ولماذا يكون عليها الآن أن تمشط شـعرها ؟ ــ
لقد انتهى اليوم . ولن يراها أحد ــ لا أحد بعد ذلك .
تأخذ المشط الأسود وتبدأ فى تمشيط شعرها الطويل ، كله
الى أســفل
كأنها تمشط صديقة ميتة ، كانت حميمة
وتباعدت فجأة بعينين مغمضتين ، ودمل صغير على أنفها .

* المعجـــزة

انها معجزة ــ يقول ــ بل وأكثر من معجزة :
هناك حيث استهلك كل شيء (وأنا فى المقدمة) ، أكتشف
وسط الحصى على الشاطيء الجمجمة المقدســة
لأحد أحصنة أخيـــل ــ ربما جمجمة « زانثوس » ،
أكتشف صولجان الأسقف وسط البابونج ،
آخذه فى اجلال ، وأصعد السلالم الرخاميـة ،

لا أخبطه فى السلالم ، الحشد يجتمع
أخطو على المنصة ، أسمح شعرى ، المنسدل على كتفى
يصبح بلا حراك ، والحشد ينفد صبره ،
يتدافعون ويتخبطون ،
أفتح فمى لأتكلم
أدرك فجأة أننى أخرس وأنهم يستطيعون أن يسمعونى .

***

الجسد والدم

(١)

هناك حيث الآفاق رفعت بالحبال والبكرات والجواكت المزعقة
هناك حيث السكين تبلغ العظم
هناك حيث صرخة واحدة تعيد توحيد المدينة المتناثرة
بعد أعوام وأعوام من قضبان حديدية ، ودخان ، تحرس
السجن ، وسكاكين فى الظهر
ألوان مشوهة ، سلالم مشوهة
وليس لك — حتى — أن تحيى شجرة ، أو شقيقك ، أو تحية
خلال شق فى الباب
صعدت الأتوبيس ، هبطت فى المحطة الخطأ، صعدت أتوبيساً
آخر
كان الزحام دافئاً رغم اللامبالاة الزائفة
نظرة مختلسة الى جريدة الرجل المجاور لك أو الى عينى شخص
ما أبعد
هبوط القلب ، هبوط اليد الصغيرة على المنبه الكبير
دم ينساب من منابع خفية تحت الصخور
أعرفك — قال — من ظلك على الجدار
من يديك فى جيوبك دون استغراق ذهنى كسول
من عينيك فى أعماق العالم
نزولا الى العمق « أعرفك بالنصل » — كانوا يرفعون أثقالا

أعمدة كانت تصعد من آبـــار سوداء
أعمدة فى شـكل الآبار ، أعمدة معلقة فى الهواء
عمودا عمودا لبنـاء المعبد الهائل هناك فى الأعلى
شبان ونساء وقواصر نار مع خيول ، مع مسطرين ، مع ألواح
ملاط
عاليا نساك الحقبة الأخيرة فى التاريخ الجوهرى ،
صحت صباح الخير لثلاثة أيام وثلاث ليال وسط الغاز المسيل
للدموع
مثل المشاعل • والسفن الحارقة فى البحار البعيـدة
نيران فوق نيران ، دخـان فوق دخـان
أحرقت الثياب والحذاء ، الخطابات ، وبطاقة الهوية ، ايصالات
الضرائب
قصائد الحب الأولى فى جيبك السرى
الى هويـة واحــدة للفرد ، للكثيرين
ــ ماذا كان اسمها ؟ (يقول)
الى نار واحـدة تلغى الليـالى والليـالى
عليـك أن تقول اسمها (يقول) •

(٢)

أحدهم يكتب شـعارات على الجدران ،
الآخر يهتف بشعارات فوق الشوارع ،
الثالث ــ داخـل اطار النـافذة ــ ينشد علنا « روميوسينى
روميوسينى »
حملوا الجريـح الى المكتبـة
ورقـة عنب مثل الكف على الركبـة الجريحـة
تماثيـل حزينة وسط الدخان ــ أين نسيت الحب
طلاب ، بناءون ، لعنات ، لافتات ، هتافات ، أعـــلام
الحب هو الحلم ، الحب هو العــالم

الرأس المنحنية للمخبر ، ناس أكثر فأكثر يأتون
كبار وصغار ، تلاميذ مع حفنة جوز ، مع حقائب الظهر
طائران أحمران مرسومان متقاطعين على كراساتهم
المتزوجون حديثـا يطلون من حقيبة المصـور
يربطون أشرطـة فى البوابـة الحديـد
باعة أوراق يانصيب عميان، جيتار منتصب، مصابيح صيدلية
الليل يحل بالمدينة ، أرقام مضيئة ، مسارح موصـدة ،
ختامات مغلقة ، قصائد سريـة ، زهور مثقوبـة
المشهد الطبيعى الخفى يصعد فى السر فوق الليلة من الأعماق
اللانهائيـة .

الليـلة هى أوان كل شيء — يقول
الليـلة هى استمرار لكل شيء — يقول
الغد للانسانية كلها ، للمستقبل كله
ذلك ما قالـه على السطح
كان يمسك بعجلة قيـادة هائلة ويقود المدينـة
وفى الأسفل على الأسفلت يمكن للمرء أن يسمع ضوضـاء
الزحام
كلب أسود ، سـلة ، مرآة صغيرة
حذاءان ضخمان للمهرج الحزين والكوب المكسور
والرائحة تأتى من شواية بائع الكستناء الكبيرة مثل سفينة .

(٣)

الشخص الذى كان يتكلم داخل نفسه وكان مسموعا بالخارج
الشخص الذى صعد الدرج الرخامى درجتين درجتين
الشخص الذى كان ينتظر فى الساحة بشوكة طويـلة
المرأة العجوز التى جاءت بالخبز والملح فى منديلها المربعات .
الفتاة بالوردة ، الولد بالطائر والمنـديل
الحشود التى تجلس متربعة على الرصيف ، والرموش تخترقها
نظرات داخلية

جاءوا بأسبرين ، ويود ، وكحول ، وقطن ، وشاش
هذا الشخص جاء بالنـار فى كفيـه ، كعصفورين
مزقـوا القميص أربطـة
وظلت صـدورهم عاريـة
لأنهم كانوا كثيرين فأكثر ، فأكثر يصلون من لحظة الى أخرى
عبارات أخويـة كتبت على عجـل بأقـلام حمراء
رسائل قصيرة لثورة صامتة على الزجاج الأمامى للسيارات
الشوارع تفضى الى هنـا ، والأتوبيسات تتوقف هنـا ،
والأيدى ضفرت مزقا من بطاطين المنافى على أشجار الزعرور
صرخات وفولاذ ، يخلع حذاءه ويحك أصـابعه
له قدمان قويتان ، باصبع قدمه الكبير يحفر حفرة فى الأرض
ويدس مفتاح غرفتـه المستأجرة
لأنه الشيء الوحيد الذى لا ينقسم ويمكن المشاركة فيه بالعدل
ليس ملكك ولا ملكى لكنـه ــ فقـط ــ ملكنـا
الشـوارع تنسـاب كأنهار فى الشـوارع
والحائط الأصفر يتخذ وهجا ورديـا فى فجر السهر العظيم
بينما فى جيوب الأولاد وآبـاط البنـات
شذرات من ترانيم قديمة ممنوعـة تبحث عن مأوى ،
أوراق دفلى طويلة ، وقرفـة وحمص
شاب ينزل عن دراجته ويقف على الجسر
تحت الجسر كانت الأسماك الحمراء والخضراء
وسمكة صفراء كبيرة تجر بأسنانها ستارة بيضاء
هى التى تبـقى بالبيت عنـدما نكون بالخارج وتحلـم ــ فى ضبابيـة ــ بالمستقبل
والخواتم تصلصل واحدا بعد الآخر على درجات الماء بأصوات صغيرة
كأصوات قيود المساجين على القضبان الحديدية عندما يحل المسـاء
أو كأصوات الطابعـة المخبأة فى طابق تحت الأرض

والتى تواصل – من تلقاء نفسها – كتابة القصيدة القادمة
عن الأبطال الذين أعدموا أخيرا .

(٤)

مبنى قديم باهت بسلمين دائريين من رخام
فى الماضى كانت أشجار نخيل لا تراها الآن
منديل ملطخ بدم ومنى على العشب الجاف
كبقعة بيضاء فى مركز الدائرة ،
المحيط اللانهائى طوى داخله المدينة، والضواحى، والساحات
البعيدة
باتيسيا العليا ، ثيماراكيا ، بانجراتى ، جيزى ، كيساريانى،
بترالونا
رائحة بطاطس مشوية فى الشوارع الضيقة المجاورة للبحر
سفن صدئة قديمة ، سفن جديدة ، رافعات ، صناديق شحن
فى الأسفل البعيد الصدى العجول للصوت الشاب فى الراديو
وهج سيجارة ، وأبعد منها أسى الموت
شرائط حمراء ، سهر أحمر ، الحراس بالتفصيل الدقيق
ميجارا ترد، ثيسالونيكى ، فولوس، بريفيزا، ايونينا، دارما،
أركاذى ، ميسولونجى ، ثيودور العجوز بخوذته القديمة
فيضان من الناس داخل البوابة ، خارج البوابة
كرسى مكسور ، أمبول كينين أزرق
كوب على الأرض ، العلم الثالث ، غصن موسيقى على العتبة
هنا حيث بقينا صامتين مع ثمرتى بطاطس مسلوقتين وخمس
سجائر
هنا حيث لم يكن لديهم ما يقدمونه سوى حياتهم
التى بدت لهم ضئيلة للغاية فى ساعة الشباب العظيمة
الفتاة ذات الرداء الأحمر بكت
وبكى الفتى ذو القميص الأزرق

قمر كان يتخـل النخالـــة

ناس أكثر جاءوا ، عبروا ، وسيعودون بالفوانيس

فيما وراء الموت ، فيما وراء البعث ، ليسوا ـ أبدا ـ موتى

مقاتلون شبان ، عمال يومية ، رؤوسهم على صوانى الكرتون

أى ، أى ، صـاحت المرأة العجوز ، أولاد أولادنـا ، أكثر من أولادنـا

سوف نمشط شعركم الطويل بأمشاط كبيرة للعرس الكبير

فاض الدم، الدم يمتزج بالدم ، الوجوه والأيدى تصبح حمراء

أصبح الطريق أحمر ، والبيوت ، والخبز ، وشرفـة آريتوسا

لقاء الأحمر باعادة الشباب الى العالم العجوز

وطفـل يجلس فى المنتصف ، محدقا فى أظافره التى طالت فجأة بفعل الشمس .

(٥)

الرعب ، الثورة ، المرارة ـ أيهم الأول ، أيهم الثانى ، أيهم الثالث

عيون ساهرة بلا شكل ، ضائعة فى نظرتها المتنقلة

المثبتة هنا ، هناك ، فى لا مكان ، فى كل مكان

الشفاه اشتعلت بكثافة الشـعارات

بالبحـة وبمجهول الليـلة القادمـة

والأطفال الذين كبروا فجأة، أشخاص منحوتون وسط الشعر واللحى الحمراء

كبروا وكبرت ـ أيضا ـ أياديهم تجاه ملامح ثابتـــة

والشخص ذو النظارات ،ذو البنطلون المتعدد الألوان ، معه علم على قمـة الدرج

يهتف ، يهتف ، فيرمون جرائد فى النيران

هذا الشخص الذى يمسك بسياج السلم ، يصبح الحديد دافئا فى راحـة يـده

والأربعـة جلسوا على الأرض مع كراســاتهم ،

مع القوارير ، والدوارق من المعمـل الكيميائى ، والصمامات
المفرغة ، وأجهزة ارسال الراديو
هؤلاء الذين يلتزمون السكون فى انتظار
أن يسمعوا
الشـخص الذى ينصت للهباء وسـط الشمسـيات السوداء
المبلولة فى الممر القديم
وسط منبهات فارغـة تنطلق أحشاؤهـا بعنف
الشخص الذى قطـع نصفين متساويين تماما
توحدا فجأة من جديد فيمارس الجنس مع تمثاله ومع العالم
ومضات متقاطعة ، تقارير اخباريـة ، أعـلام
أسـنان تحت الأرض تقضـم الجـذور
ها هنا البداية الجديدة ، الأغنية المنفردة ، الليمونة المقطوعـة
ملصق كبير على بوابة قبضـات البروليتـاريا .

(٦)

ضوضاء من جرارات الصهاريج ، العرف المرتفع لليـل
« أخوتى » صرخوا فى البداية « أخوتى ، أخوتى »
ثم « قتـلة » صاحوا « مرتزقـة ، قتـلة »
« حملة النقـالات ، ببطء ، ببطء أكبر »
يخرجون ببطء ، يمكثون ببطء ، يعودون ببطء
فلتخبىء جمرة نار فى جيبك الداخلى ، خبىء العلم
الباب الأول، الباب الثانى ، الثالث ، أصوات مكتومة ، خامدة
سيحين الوقت من جديد ، وستكون هناك أشجار ، وأصائـل
على العتبـات
مع كسرة منسية فى فم أحدهم فى مواجهة القمر الجديد
وقت متوقف يفتح الوقت ، والشوارع المضاءة بالمصابيح
هنـا يتمدد الموتى ، يتغطون بملاءة .
يحسون بالبرد، ان لم نهتم بهم، سنحولهم فى الغد الى تماثيل

واحد بقيثارة ، والآخر بسيف ، وآخر بطائر على كتفه وفردة
صندل فى يـده

حافظنا على المقاييس ، نفس مقياس رفاقنـا
نفس المقياس الذى يحتفظ به البروليتارى فى جيبـه الخلفى
مع مشطه ومفتاح بيته

مع فصى ثوم وعلبـة كبريت
واليد تعرف ، تبحر فى الظلام ، تعثر على الركبة ، وزجاجـة
المصـباح
تعرف أركان الصبر الأربعة ، الطبق الأرضى ، والسكين
واذا ما تأخـر الكبريت فى الاشـتعال فلأنه ينتظر اللحظـة
المناسـبة

يتكىء قليلا ، وينال قسطا من الراحة ، وبعدها من جديد
هناك على الرف الطائر المحنط ـ انه يتظاهر بأنه محنط
يجلس على القش ، فى انتظار بيضة سرية
داخل البيضة الريش ، والمنقار ، والأغنيـة
لقد صحت ، وتوقفت ، ركنت الى الصمت ، وسوف تصـيح
آى ، آى ، أطفالى

تتوهج عيون الموتى كى تستطيع الكتابة فى الظـلام
عمت مساء فى رقـة ، عمت صـباحا فى رقة ، أقيس نبضك
القوى صاخبـا صـباح الخير .

(٧)

فى هذه الحكاية شارك الكثيرون وأيضا آخرون لم يظهروا أبدا
مختبئين خلف الذكريات أو خلف البوابات الحديد
أو خلف المصاريع القديمة المحفورة بأظافر الزمن
وآخرون أعدوا رغيفـا كبيرا من خبز وحفروا بسـكين الجيب
صليبـا عليـه

والنسوة العجائز تجمعن فى المطبخ ، الرحمة يارب ، الرحمة
يـــارب
وعين على النــافذة والأخرى على المنخــل
العين الثالثة على الشارع مع الشرطى ، مع الدخان ، والجنود
لأن المفرش على المنضدة يرفرف من جديد
وبأكتافــه الدائرية الدافئة يدفــع الطائر الآخر الى أعماقهم
والنسوة العجائز مؤهلات من جديد للحمــل ،
بصرف النظر عن أن أطفالهن يلعبون مع الموت
واذا ما فكرت أن تقول سأعود ، فستخشى أن يثبت من جديد
أنك كاذب
فالعقبات هائلة ، وهائل جبين الدخان المتعالى
والترزى ، والنجار ، والحانوتى أغلقوا جميعا دكاكينهم
والرجــل العجوز جــالس على ألواح الخشب يــوزع أوراق
الكوتشينة المسروقة ، ثلاثة فى كل مرة ، لا يمكن تحقيق
الفـــوز
كم من المرات قلنا « آمين » فأطاحوا بنا من جديد
أطلت الفئران من جحورها ثم انسحبت مرة أخرى
بقية الجحور لم تكن للفئران ، الهواء يتخللها ، كانت مفتوحة
على الخارج
أجزاء من أبراج الجرس، من الغيوم ، من لافتات محلات الجزارة
يد تحمل شيئا ما ، ساق بمفاصل متصلبــة
لا تركع ، ففى طرقات على الرصيف مثل ساق خشبية ، مثل
حجر تدخــل البـــاب
آنئذ يتساقط الجبس عنها والحجر السابع يتداعى
فجوة مفتوحة فى السقف ، سماء بعين واحدة
سيأتى آخرون ويحكون الباقى ، لا تنس فحسب ـ قال
لا تنس ما جرى ، ما يجرى هنا والآن
والا ـ قال ـ فــلا شيء يمكن أن يتحقق للنوافــذ الموصدة .
والأعين الحولاء

للآلات الوترية الملفوفة بعناية فى صناديق زجاجية وكرتونية
على يد أناس قدامى منسيين
للأوتار المحفوظة فى الدرج وسط ايصالات الماء والكهرباء
أو فى جيوب المعطف الأسود المعلق فى الدولاب بدون نفتالين
بينما الصخب فى الخارج يذوى، تمتصه طلقات البندقية الأخيرة
والأتوبيس الضخم الذى يحترق فى ناصية « باتيسيون »
و « ستيرنارا » .

(٨)

هناك بالطبع أشياء بلا كلمات، لم تكتشف، لم يبحث عنها أحد
اذا ما حاولت أن تقولها ، فلن تكون ــ بعد ــ أشياء ،
ستتحول الى غبار أو دخان أو ــ فى أفضل الأحوال ــ ومضات
كلمات صغيرة ، عظيمة ، مكثفة ، كلمات الليل ، فراشات
الليل ، بيضاء وسوداء
تجتذبها النار ، تبتلعها ، فتحترق سريعا
هسهسة واهية من قضمة الدهن من أجنحتها ، من قرون
الاستشعار
فرقعة فى مكان ما ، ومضتان صفراوان أو زرقاوان
ومن جديد النار والأشياء ــ فى مواجهة النار ــ مضاءة أكثر
حمرة ، مكبرة
فراشات الليل مختلفة فى شعر امرأة
أو قرب زجاج المصباح ــ تلك لها أسماء مختلفة
مثلما وقع الخطوات على الأسفلت
والصرخات التى تنطلق عبر كشافات عربات متوقفة
أربعة أجساد وأربعة أعلام تحت القضبان الحديد
أنا امرأة عجوز ــ تقول ــ تعذبت بألف موت
ارتعبت بألف وأحد عشر خوفا
لا من ألم أتكلم ، أعض على لسانى ، أغزل قطعة صوف بمغزلى

فيها ناس طيبون كثيرون وأعلام وقيثارات وذرة ودجاج .
لن آكف عنها بأى ثمن ، وبهذا الغزل أصنع سفينة كبيرة
وبكرة حمراء صغيرة من خيوط تبقت من سهر الأسبوع المقدس
لقد أصاب الخبال امرأة عجوزا بلا أسنان — يا بنى — فلابد
ليدى أن تظلا مشغولتين بشيء ما
والا فسأخلع قميصي وأطوحه في الهواء عارية تماما فى الشوارع
اننى أغطى أطفالى لئلا يصابوا بالبرد لهذا يضعوننى معهم فى
الزنزانــات
وأنت تخبرنى كيف للمرء أن يناقش الأشـياء ، كيف له أن
يحولها الى أفعــال
آه يا سفينتى الصوفيـة العظيمة ذات الأقفـاص الخشبية فى
البحار المفتوحـة
تأتى فى العالم وتمضى لا تعرف حدودا ولا ينالها غرق .

(٩)

وعندما تركت الشمعة على بسطة السلم ، قالت : « انتبـه »
لئلا يلتقط ثوبك الليلى النار وأنت تمر بها حافيا ومشط فى
يــدك
وتحت السلالم تجمع أولئك الباقون على قيـد الحياة
ربما يقرعون الباب بقبضاتهم أو كعوب بنادقهم
لا تفتح ، سيكسرونه فى النهايـة
ظلال البراميل لا تغطى الجدار كله
والرأس الرخامى ينتصب فوقهم ، يغمز برمشه ، فيفهمون
يقل وقع الخطوات فى الشارع، يتوغل أكثر عمقا، داخل الأرض
توقف شخص آخر ليبول على نافذة دكان المجوهرات
سيعودون فيما بعد ليشعلوا نيرانا أكثر ، ليحرقوا كتبا
ليكسروا الأرفف الزجاجية ، أيد حجرية فى الرماد
خزانات الكتب واقعة ممددة ، صور فلاسفة ، فى الممر زجاج
نوافـذ مهشم

جرائد ، رؤوس مشاجب ، خزانات قواقع ، شعر ، قوارير ، طبـــاشير
ها هو الدليل ، قالوا ، دعوا الصحفيين وهذا وذاك
مسموح ، يقولون ، فوضى ، لحى ، نساء ، قبلات على السلالم
حملوا البعض الى بوليس الأمن
والبعض الى الضـــواحى
وآخرين الى المشرحـــة
وما يزال آخرون الى أن يحفروا ــ على عجل ــ مقـابر
أسماء مجهولة ، وشارع ، ورقـم ، وعائلة ، وأم
وقال من جديد ، أمى آه يا أمى ، خاتم زفاف مهشم ، حوض غســيل
انتظرنى بعد ثـلاثة مبـــان
ففى ورشة الخشب تركت بعض الخبز وبصـلة
لففت العلم حول صاريته ودسسته تحت مريلتى
لينخسنى فى ضـلوعى ، فى عمودى الفقرى ، فـلا يسمح لى بالنسـيان
فاذ يحل الصمت الثقيل ، فان اليقظة العظمى آنئذ تبـدأ
هذه اليقظة التى لا تسمح الا فى مفاصـل القتـلى ٠

(١٠)

أهدأ صمت بعد الدبابات ، لملموا العربات المحترقة ، والرماد
أزالوا الدماء فى الفجر البـاكر
حملوا الموتى بعيدا الى البوابة الحديد ، والأشجار المحطمة
لم يعد الصـغار الى بيـــوتهم
أشــباح تطوف حول أكشاك التليفون
ومن نافذة الى نافذة وجـه النـار المنطفئـة
عثروا فى الغرفـة المستأجرة على الشخص المشنوق
والآخر فى الدولاب المغلق

والآخر وجبينه على ركبتيه كما لو كان يقرأ كتابه الأخير
مرآة صغيرة على المنضدة كانت مرمية مقلوبة، لا تريد أن ترى
قدر ، ومطفأة سجائر ، والكنارى فى قفصه بلا ماء وقد تيبس
كعظمـــة

ستبكى الفتاة عندما تعود ، لحسن الحظ تركنا لحانا تنمو
حتى لاتكشف أننا لم نحلق،فلا أمواس حلاقة فى الدكاكين الآن
ولا فى أكشاك المحاربين القدماء ــ من يدرى
طيور صغيرة فرت من النخيل العالى، وتوقفت فى أضيق شارع
« جايار جايار » ، كانت المرأة تنادى فى صوت خفيض ، كلبها
فى الطابـــق الأرضى مات
مبكرا فى الأصيل تضاء أنوار الشوارع كأن الشوارع مريضة
والغرف القديمة مريضة وأسرة الطلبة خاويـة
والملاءات ملطخة بســائل منوى جـاف
والماء فى الكوب يتظاهر بالنعاس حتى لا تتم خيانتـه
الرجل الذى شرب قطرات معدودة من الماء مفقود ، لا نـدرى
أين هو
أعلام صغيرة تتنفس كالمتآمرين داخل القمصان المزررة
وتدير الرقم باصبعك للمرة الرابعة، والخامسة، ولا من مجيب
تعود الدائرة ــ مع الصرير ــ الى وضعها ، دائرة ودائرة تبدو
الآن مثــل صــفر
وهؤلاء الذين أخفوهم فى المقبرة يصيحون فى الليــل ·
ليست صفرا ، انتبـه ، انهم يصيحون ، انتبـه ·

(١١)

يأتون ، يمضون ، يأتون من جديد ، خطوات مسموعـة ، ثم
تتــلاشى
الصمت متزاحـم فى الأركان ، كروت البريد التى مرت على
الرقابة من المنفى مبعثرة فى الهواء

٤٨ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ومزق كبيرة من ورق خشن تشـابكت بين أرجلهم

من النافذة الصغيرة عاليا هناك ، تنظر لأسـفل

أكشاك بها نظارات داكنة ، نظارات للشمس أو ـ بالأحرى ـ للظلمـة

الجرائد تتوافق بسهولة مع الأحداث الجديدة

الجيوب تصبح كافية للأصابع ، والناس ، والتاريخ

ترام قديـم مرمى فى الحقل وسط نبـات القراص المبـلول والأشواك

معان أخرى تتجمع فى تبادل حر فى قبعة الشحاذ

المرأة العجوز تقول للفتاة : انتظرى وسأغسل وجهك سأغسل ثيـابك

الرجل العجوز يشعل النار ، يضع قدرا عليها

مثل الزمن الذى ترك فيه « فانجيليس » وردة على المنضدة

وفجأة أصبح كل شيء مستحيل التفسير، محيرا و ـ مع ذلك ـ جميـلا والى الأبـد

وكنا محزونين لأننـا ـ حتى ـ لم نفهمه

وتقول « مارثـا » انها ليست تبريرات ، لا

ولا براهين تقول ـ فى الصيف حينما ذهبنا الى الشاطيء

ها هو « بيتر » ، ها هو « ليفتريس » ، ، و « كاتينـا » ، و « نيوفى » ، و « كاكيـا »

بعد توزيع الكراسات كانت هنـاك قنافذ وقنديل البحر على الرمـل

حدس شعرى عظيم بالفواكه والقوارب

فعندما يخلع الرجل ثيابه يدير العالم وجهه

وبين حصـاتين ورديتين يمكنك أن تؤمن بعمل عظيم سيأتى بالتأكيـد ليمضى

قطرات صغيرة تسقط من الشعر بين حلمتى الثديين

تلك الأشياء التى نعتبرها زائدة كانت تعود : سلة من أغصان الكروم ، ملاءة بيضـاء

قيلولة قصيرة فى الظهيرة وسط صنوبر الشاطىء والزيز
والا ـ تقول « ماريا » ـ فلن نعرف السبب فى النضال وفى أى شيء
سيكون شعورا يستحيل نقله مثل بار مغلق على الكؤوس المهشمة ، كما لو كان الذنب ذنبى
وكنت أقف بالشارع أنظر الى ما بداخل النافذة
فرأيت احدى فردتى حذائى مرمية هناك على القرميد رغم أنى كنت أرتديهما
بل اننى انحنيت لأعقد رباطى الحذاء حتى أتأكد وكانتا موجودتين بالفعل
الى أن تذكرت أخيرا أننى خارج على القانون وخلعتهما .

(١٢)

ما أسموه ـ فى النهاية ـ مجدا أو عصيانا أو تضحية
يوم بالغ الشفافية كأن لا شيء جديرا باللوم قد حدث الليلة الماضية

أبعد قليلا فى الأسفل كان يمكن للمرء أن يسمع الهتافات
اطارات النوافذ كانت تغير ألوانها ، وساد الأحمر
الموسيقى طافت فى مكان آخر ، وكراسى البارات ظلت خاوية
كانت النوافذ تتحول الى أبواب ـ كان يقول ـ « سأخرج »
وانطلق فى السماء بسهولة كبيرة
فوقها كل شيء طبيعى ، ومن جديد
تتحول النوافذ الى نوافذ مرة أخرى
أكثر ضيقا من ذى قبل ، أكثر انغلاقا
ثم الحائط وحده
ثم المسامير فى الحائط
قمصان غير مغسولة تتدلى من المسامير
أهنا سنبقى اذن ، أهنا سوف نجول ؟ سأل

الشيء الوحيد الذى التقطه كان باقة زهور سقطت على الضوء بصـوت مسـموع
زهور بيضاء ، ما من واحدة أفلتت من الرباط المبلول
جاءوا بالاناء ، أخرجوا السمكة الذهبية ، وشربوا الماء
ومن المبنى السكنى عبر الشـارع ، كان النـاس ينفضـون المناشـف
كأنهم ينفضون الغبـار عن مصباح غير موجـود
ما من أحد فى مزاج طيب ، عندما يسقط الليـل
كبد مقطوعة فى كشاف الضوء المتلاشى لمحرك النيران
تنتصب المدينة مرئية على حافة الدخان مع الألواح المحترقة
دوافـع غريبة تخلق مواقف غير متوقعـة
تماما مثـل الأكاليل الكثيرة على مدخـل الجبـانة
مثـل نعش زجاجى يقف عموديا ويمشى بمحاذاة الأعـلام
والميت يقفز الى الاستاد ، ينتصب ملفوفا بالأسلاك والتهاليل

(١٣)

العدم هو الأسهل ــ يقول ــ فهو يتخذ شكلا بسرعة خاطفة
وخاصة لو انها الصالة بالمرآة القديمة والأحذية الملطخة بالطين
معطف المطر الأبيض على الحامل المتهالك، وتفاحتان على الكرسى الأسـود
رحلة سعيدة قال ، رحلة سعيدة ودولاب الملابس
يرقد مفتوحا على الأرض، مع مناديل مبعثرة، وملابس داخلية وجـوارب
احتمالات كثيرة ، نخيل ، أراجيح ، فاكهة ، بكرات
بلا حقيبة ، ديون ومسئوليات ، العدم سهل ــ يقول ــ
« يوريس » كان جالسا فى الحديقة يشـاهد سيقان الفتيات العـابرات
تدلت حلقـة ذهبيـة من أعلى
كان بائع الجوز أعرج ، ماهرا فى صناعة القراطيس من الجرائد

والآخرون على ارتفاعات عالية فى صندوق زجاجى طويل مع
حاسب اليكترونى
كانوا يتكهنون بالنبوءات ، يرتبون الآلات ، أية فرصة تلتها
لكن الناس ـ يقول ـ ليس لهم سوى يدين، ويملكون التضامن
السرى
رأس ثقيلة من الضرب فى الجدار
قصاصات من جرائد ممزقة احترقت فى مطفأة السجائر وأنت
عليك أن تتحدث عن الأشياء الصعبة ، الهائلة ، الواضحة ـ
الاجبـــارية
مثل الحارس على البوابة الأسمنتية طوال ليلتين ، ثلاث ليال ،
يقـاوم النوم
وكيف تجد الوقت لتأخذ من جيبه المرآة الصغيرة والمشط
لتمشط الى الوراء قليلا شاربه الذى طال فجأة
وما ان سقط فى النوم واقفـا ، حتى أتى « كارايسكاكيس »
فى منتصف الليـل ومشطه لـه

(١٤)

أولوية الماء ، والخبز ، والنوم ، تكرارات
الجذر التوى تحت النسيان ، سنلتقى من جديد
وفى ركن دكان الفاكهة ودكان الزهور ، هنـاك مقايضـة ،
أضواء فى المســاء
يمر القطار خلال النفق محملا بسمك مجمد
وأصوات عاليـة محفورة على الصناديق الخشبية
آخرون يحتاجون الى التدخل ، وآخرون يتصورون ، وأولئك
يتـــلاشون فى الابتعـــاد
حلاقو النساء فى باروكات حمراء يعودون الى البيت فى الفجر
وعمال المصانع بالمفكات ، والزرديات ، ولفـات ورق
موسيقيون عميان يدخلون المحطات ، يغنون عن المدينة المتألقة

غجر ، وعرافون يدخلون : « سيكون حظك عظيما »
والأسود سينقلب الى أبيض ، فاترك لحيتك تطول الى صدرك
وعندما تدق الطبول الصفيح فى الليل ، انتظر فى موقف الأتوبيس
فهناك منزل من زجاج مضاد للرصاص
بداخله يمكن للمرء أن يرى بيانو كبيرا ، ومقاعد جميلة ، وصورا .
فى الغرف التحتية تتآمر الفئران
وصلنى خطاب بمظروف جنائزى أسود، سيشعلون الشموع، ويروون حكايات
عن الموتى ، عن الأطفال بالمقاليع ، عن أشجار الصنوبر فى العاصفة
سفينة غريقة ، قمر تهشم بصورة رأسية
عمال التلغراف فى مواقعهم
والفتيات الكاتبات بأظافر ذهبية ينتظرن الوثائق الأخيرة
لا أستطيع احتمال هذه الهيولى ـ يقول ـ موقد الكحول ، الكوب ، أعقاب السجائر ، وشعرى
أقضم اصبعى ، أضع نغلا ثانيا لحذائى العسكرى
لأنصت الى الجذر فى الأرض وهو يصوغ الأوراق فى عقله .

(١٥)

نقلنا الموازين فى السر ، وزنا اللحوم، والكلمات، والسكاكين، والساعات
كتبنا أرقاما فى كراسات على المناضد
ونحن نجمع ، نطرح ، نضرب ، نقسم
ودائما ما يجىء المجموع ناقصا ، فنبدأ من جديد ، كنتم مخطئين
وكانت « هيلين » واقفة عند الباب ، مضاءة

بفعل نافذة دكان الألبان عبر الشارع، وجبينها ملون بالأزرق
الفاتـــح
الوهج الوردى تحت ذقنها ، وشعرها بنفسجى
لابد أنها أنهت حساباتها
يدها اليسرى كانت غايـة فى الرقـــة
ولابد أنها قد أجابتك اذا ما كنت سألتها
وانحنى رأسها كأنها قالت : « نعــم »
أتوبيس يمر كل عشرين دقيقـة
وعليك أن تحسب بدقـة كى لا تنتظر
الضوء أكثر كثافـة فى الحفر الطينيـة
ول « فانجليس » شهوة ـ عمياء مثله عندما يتهيج للنساء
وثيابه تفوح برائحة نكاح ونيكوتين
الشبان الآن يدخنون أكثر
وهكذا الفتيات أيضا ليقللن الفارق بين الجنسين
فيما بعد عندما ذهبت الى الغرف العلويـة
صدمتنى مرة أخرى رائحة الأنتيمون غير المشروع
الا أننى لا أسـتطيع النسـيان ، فصحت بصوت أعلى لأغطى
نفسى
وكان « بيتر » واقفـا بصورة صارمـة عند البـاب
وصوت الآلة الكاتبة كان مسموعـا خلف السـتارة
وكل واحد كان يفكر فى عزلة ، لا يعرف الموتى شيئا عن هذا
المجـــد
والموت يصبح أكثر صعوبة، ستبدأ المساومات والمضاربة حالا
قيمة الخصوصية ـ يقول ـ البعد المسطح للمكعب ـ يقول ـ
علقوا منشفة حمراء هائلة فى الحمام
تغطى الحمام كله بقرميد أسود لامع
وفاح بصابون معطر ، ولوسيون ، كولونيا ، معجون أسنان .
وشـعر مسـتعار
لم تكن هنـاك رائحة لجسـد انسـانى ، أو منى . أو لقدم
رياضيـــة ،
أو لفم قبـ بعمق ، خرجت لأبول على العشب .

(١٦)

كانت الأتوبيسـات تجيء من المنـاطق المجاورة النـائية فى الصباح الباكر

حشود ، عمال ، موظفون ، أطفال ، نساء بماكياج قليـل

كعك السمسم ساخن ، جرائد ، كانت المدينـة مهجورة فى الصباحـات

نفس الحركات ، نفس العناوين السوداء ، ضباب خفيف

معطف رمادى ، مثقوب بالعثة ، فى « هافتيـا »

وبينما كل شيء يبدو كما هو ، كان واضحا أن شيئا ما قد تغـير

فى هذا الوجـه قطـع من حلاقـة متسرعـة

وهذه الفتاة الصامتة ، شعرها طوحته لأعلى هبة ريح سريـة سوف تخونها

وهذا الولد يده اليسرى فى جيب بنطلونه ما تزال تتشبث

بانتصابه الصباحى ـ البلدوزر يبدأ فى العمـل

هذه الضوضاء ضرورية لتغطى الصمت المحصن

تمضى مع الوريد ، مع الطرق داخل المعابد

زوج من الزرديات على الكرسى ، حلم بلسان مقطوع

منشار على الأرض ، مشط فى الجيب الخلفى للبنـاء

سلم ، أغنيـة متشظية بكلمات أخرى

صـندوق خشبى مع قطرات طـلاء

فعاليا فى مواقع البناء هناك أسمنت سريـع الالتصاق

وبذلك فلم تنس هذه الليالى مع الشبابيـك الحمراء

نيران فى الأرصفة ، الأصوات الحرة للمسجونين

الانسجام الكامل ، المنطق البسيط ، السيجارة المشتركة

النساء العجائز وكل واحدة معها حقيبة سكر ، وقليـل من القهوة ، والبرتقـال

الكلمات والأشياء التى تنتمى لنا جميعا ، قال

الليـلة العظمى تنتهى بالأعـلام .

(١٧)

ما قد قيل مرات عديدة كان يعود بمعان أخرى ـ

لأليكوس بحزامه المشدود تعبير طفل غاضب بعد مشاجرة بقذف الطوب

خلف ظهره أشجار وأنهار صغيرة مختبئة

و « مارثا » ترتدى ثوبها الأزرق ،وشعرها

مصفف على طريقة يوم أحد قديم يجيء من المستقبل

« ديمترى » يبين من الحائط ، ينغلق الحائط خلفه

كيف لجبل أن يقترب وليس معه سوى شجرة واحدة وخطى منحوتة فى الصخر

وتحت الشجرة نبع تطفو فيه الأوراق .

غريب ـ تقول « ماريا » ـ لقد احتفظت بشمعتين فى الدرج

ذابتا دون أن أشعلهما ، لم أجد سوى الذبالتين الصفراوين

أشياء كثيرة تحترق من تلقاء ذاتها مستسلمة لزمنها الخاص

فى الليل وأنا نائمة أسمع ناقلات ضخمة

تدخل فناء الكنيسة ، أدير مفتاح الضوء

أنظر الى صورتى فى المرآة وأبدو مشابهة كثيرا لنفسى

مشابهة تماما لشخص غريب

أريد أن أرسم وجهى أحمر ،

و « ميروبى » كانت تأتى بورد من الحديقة كأنها أصيبت بفقدان ذاكرة مفاجىء

ولهذا يبدو الرجال ـ مع ذلك ـ مقطوعين من قماشة أخرى

ـ فلأحضر لك بعض الفاكهة من الثلاجة

هراء ـ قال « الكسندر » ـ هراء ، لقد رأيتهم

فرسانا وسيمين على جيادهم السوداء الطويلة

وحوافر الأحصنة لا تكاد تلمس الدرج الرخامى

اندفع الراقصون المحاربون نحو المعبد وهم يمسكون بالأعنة

كانوا يقفون ساكنين أمام الأيقونات ذات الحجم الطبيعى

عيونهم — شرارات مثبتة على العيون المرسومة
غضب على النكران واستبدال القديسين
الكبرياء الرجولى فى مواجهة الأسى الواهى
لحظة واحدة وبعدها قبضوا على الأعنة واندفعوا فى الشمس
خلفهم كانت الدراجات البخارية تسرع ، لم تستطع أن تلحق بهم
انكسرب نظارة الرجل القصير النظر على العتبة
والقلنسوة السوداء الخشنة تتماوج على الصخور كغابة أشجار كاملة
فلتتذكر التاريخ فى لحظاته العظيمة
أما الباقى فعويل على الهاربين والمخصيين .

(١٨)

ثم أصبحت الضواحى مهجورة ، تلاشت الأشجار
أصيل أصفر طويل كان يتدلى من مرآة الحلاق
وعربة بائع الجوز مهجورة أمام دكان النجار
عندى صداع نصفى — قالت « مارثا » — طنين من أشياء لا أعرفها
تلك التى حدثت وتلك التى لم تحدث بعد
وأنا فيها بنفسى ، أمسك مشطا لكنى لا أمشط شعرى
اننا نتردد بين خوف وانتصار — قال « اليكس » — عند نقطة مجهولة
ومعنى التأخر نفسه غامض
ماذا عن ، من أين ، من أجل ماذا صنعت ثقبا — تقول « أنا » — فى زجاج النافذة
ثقبا ناعما دون تهشيم الزجاج ، أدس اصبعى فيه
كأننى أبحث عن عين غريم يمكنها — رغم ذلك — أن ترى
انه من نقص النوم ، يقول « بيتر »
بل هو من الانتظار — تقول « مارثا » —

وهو بسبب شيء ما علينا أن نفعله ولا ندرى ما هو ، أو كيف.
أو متى
والشموع تنطفيء أمام الباب أو تتلاشى وراءه
عندما تغرس عصـا فى حفرة الجير الحى
وتتوقـع أن تعثر على معنى الايماءة أو تعثر على كلمة
لأن ذلك لابـد أن يحدث ليستمر
والا ما حدث شيء
ولابد أن الشبان الذين قتلوا غاضبون علينـا
وسوف يجلسون فى المسـاء على مقـاعد وطيئـة متظاهرين
بتطريز كيس وسـادة
لئلا يروا عيوننا التى فقدت الهدف
وسوف يرفعون الصمت الى أعلى مثل فتيـل المصباح القديم
المنسى
وعندما دخـل الكلب الحجرة أحس بندمنـا فورا من دخـان
السجائر الكثيف
فتظاهر بأنه لم يفهم شيئا ، شـد ـ فحسب ـ طرف ثوب
« ماريـا »
وخرج بلا صوت كأنه يرتدى حذاء من مطاط لرجل ميت
آنئذ نهضنا فى الحال جميعا ، خرجنا الى الشارع فى منتصف
الليـل
وكتبنا على جدران المخبز ، ومصنع الأسمنت، ودكان الزهور
نفس تلك الكلمـة المتجانسـة

أتناجارج أتناجارج أتناجارج

وبعدها سمعنا بوضوح فوقنا التنفس العميق للأعلام المخبأة

أتناجارج أتناجارج أتناجارج

ذلك ما كانت تهتف به الأعـلام ·

* * *

أثينـا ، كالامـوس
١٧ نوفمبر / ١٩ ديسمبر ١٩٧٦

القصيدة مكتوبة في الأصل بدون علامات ترقيم

روميوسيني : قصيدة ريتسوس التى قام ميكيس ثيودراكيس بتلحينها · وقد تم منعها خلال الحكم الديكتاتوري· وأصبحت رمزا للمقاومة·

ثيودوروس كولوكوترونيس : أحد قادة حرب الاستقلال اليونانية ·

جورجيوس كارايسكاكيس : أحد أبطال حرب الاستقلال اليونانية ·

الأنتيمون : أحد العناصر الهامة للخليط المستخدم في الطباعة · « الأنتيمون غير المشروع » اشارة الى مطبعة سرية ·

*** ضـــوء**

غصن صغير من شـــجرة لوز
أمـــام النافـــــذة ،
غصن صغير فحسب
يخفى نصف القريـــة ٠

الحب يخفى بكفـــه
كل العـــالم ٠
لا يبقى ســـوى الضـــوء ٠

*** وحـــدة صغيرة**

فى ركن الفنـــاء ، وسط المياه الصابونيـــة
انحنت بضـــع وردات تحت ثقـــل أريجها ٠
ما من أحد أبدا تشـــمم هذه الوردات ٠
ليست هناك وحـــدة صغيرة ٠

*** الخيـــال والواقـــع**

« أفعال تافهة » ، قال « ناس تافهون ، أثاث تافه ،
زهريـــات ، مطفآت سجائر ، محابر ،

مناضد عرجاء ، أسرة غائرة ـ تكرارات » .
أمسك بنفسه ، بكلتا يديه ، من الهواء ، كما لو من عارضة
سقف لا مرئى وظل هناك ، معلقا .

شخص ما عابر ، برغيف خبز فى يديه
توقف برهة وسأله : « ما الذى يجرى ، يا صديقى ،
لماذا تسحق قدميك ، لماذا ترفع ذراعيك عاليا ؟ »
وقطع شريحة خبز وقدمها له .

أخذها الآخر ، وضعها فى فمه ، نظر حوله مدهوشا
وهكذا ، مع امتلاء فمه ، بدأ الكلام
فى وضوح ، فى بساطة ، فى دفء ، وتقريبا فى بهجة .

* مشهد ريفى طبيعى

منضدة فى برودة الغرفة ، ثلاثة مقاعد .
عنب على المنضدة ، ماء مثلج .
حمرة الطماطم فى مقابل الطبق الأبيض ،
رشح الملح على القطع فى لحمها .
أسماء صغيرة لخضروات وفواكه تنتشر فى الصالة .
فى المرآة على الجدار ، السماء . وخارج الباب
خس ، وكمثرى ، وفول أخضر ، وبامية ، وباذنجان ـ
حديقة الله الصغيرة . كيف يتمشى
الغدير فى خطوات قصيرة ، صغيرة متقافزة . نعمة .
يد ترسم شارة الصليب .
ظل اليد متواضع على الأكواب .
مشهد طبيعى صغير ، جليل ، فى اتساق . بعد ذلك بقليل
ترمى يد القداسة الهائلة المعقودة

ظلها على الظهيرة الذهبيـــة ، البـاهرة ٠
الهى ، فلتكن مشيئتك ألا تسمح لنا برؤية ما أمامنا ولا ما فى
الوراء ٠

* ظهـيرة

الشمس هنا لا تمزح ــ هذه الشمس الحانقة ، الجبارة .
بحاجبها المعقود ، بفكها القوى ،
بصدرها ذى الشعر الكثيف العارى من الكتفين حتى البحر ٠

شهر ٠ شهران ٠ شهور ٠
أحصيناهـم جميعا ، ظهور محملة بالحجر والفزع ٠
اصـــبع محنى ينقر كتف الابريـق
ليسمع صوت الماء بالداخـل ،
مثلما تسمع صوت المرأة خلف البـاب ،
أو مثلما تســمع المرأة صوت أصغر نجمة ،
أو مثلما تسمع النجمة ثغـاء الغســق ٠

ظهيرة مديـدة هنـــا ،
مديدة كيوم أحد فى الريف بلا أطفـال
ــ ظهيرة تدوم من الصــباح الى المساء ٠

لو كنا أقل عطشا، لما فكرنا فيها ،
لو كانت هناك شجرة على منحدر فى قمة الجزيرة ،
لو كانت هناك حفنة ظل ، مرارة أقل ، ظلم أقـل ٠

لا نتذكر شكل الشجرة ـ أربما
تشبه راية هائلة من ماء ؟
أتشبه « شكرا » سمعت منذ زمن بعيد ؟
أتشبه يدى حبيبة عثرت على يدك ؟

بعد غد سنغرس ألف شجرة .

* اعتياد

شمس من حجر ذهبت معنا
حارقة ريح الصحراء والأشجار الشوكية .
استرخى الأصيل على حافة البحر
مثل بصلة صفراء عارية فى غابة غامضة بالذاكرة .

لم يكن لدينا وقت لهذه الأشياء ـ ومع ذلك
فبين الحين والآخر كنا نرفع أبصارنا ، وهناك على بطاطيننا
مع الأقذار ، وبقع الزيت ونوى الزيتون
بقيت بضع أوراق من الصفصاف، وبضع أوراق من الصنوبر .

وحتى تلك التى كان لها وزنها ـ أنواع عادية من الأشياء ـ
ظل مذراة على الجدار نحو الغروب
وقع حوافر حصان فى منتصف الليل
مسحة وردية تتلاشى فى الماء
فتترك الصمت أكثر وحدة فى يقظته ـ
وفى الأسفل وسط القصب والبط البرى ، الأوراق المتساقطة
من القمر .

لا ، لا وقت لدينا ـ ما من شىء نحتفظ به ،
عندما تتخذ الأبواب هيئة الأيدى المعقودة
والطريق هيئة رجل يقول « لا أدرى شيئا » .

ومع ذلك ، عرفنا أن فى البعيد عند المفترقات العظيمة
كانت هناك مدينة يضيئها ألف نور ملون
حيث يحيى الرجال بعضهم بايماءة رأس بسيطة ـ
نتعرف عليهم من أيـــديهم
من الطريقة التى يقطعون بها الخبز
من الظلال التى يرمونها على مائـــدة الغداء
عندما يزداد كل صوت نعاســا فى عيونهم
وترسم نجمة وجيــدة صليبا على وسادتهم ٠

نعرفهم من الكفاح الذى يجعد جبينهم
بل الأكثر من ذلك ـ عندما تعمق سماء الليل فى الأعالى ،
نعرفهم بطريقتهم المتآمرة ، الرصينــة
وهم يفتحون قلبهم كمنشور سرى
تحت البــاب الموصــد للعــالم ٠

* غرفــــة الشــــاعر

الطاولة السوداء المنقوشة ، والشمعدانان الفضيان ، وغليونه الأحمر ٠
يجلس ، غير مرئى تقريبا ، فى مقعــده الوثير ،
وظهره دائما الى النافــذة ٠
من وراء نظارة ضخمة يراقب ـ فى حذر ـ كل زائــر
يسقط عليه الضوء الكامل ، وهو ـ نفسه ـ مختبىء وسط كلماتــه ،
خلف أقنعته فى التاريــخ ، بعيدا ، منيعــا ،
وهو يشد الانتباه الى شرك الوهج الرهيف لخاتم من ياقوت فى اصبعــه :
انه على أهبة تذوق عباراتهم ، مثل مراهقين ساذجين
يبللون شفاههم فى تبــاه ـ بلســانهم ٠

ويجلس هناك ، شرهـا ، شبقا ، ماكرا ،
امرؤ بـــلا اثـــم ،
متأرجحا ، بوجوده كله كدفتي ميزان في يـد الله
متأرجحا بين نعم ولا ، بين الرغبـة والنـدم ،
فيما الضوء من النافـذة وراء رأسـه
يتوجه بتـاج المغفرة والطهارة .
« لو لم يكن الشـعر غفرانا » ــ يهمس لنفسـه ــ
فلا انتظار ــ اذن ــ لرحمة في أي مكان » .

* لا ، لا

هذه الأشياء البطولية ، الفاتنة (ربما الساذجة ــ الفاتنة ، مع ذلك) ــ
الأحجار البيضاء الضخمة ، المطارق ، وهؤلاء العرايـا
في الورشات (معظمهم مصارعون ، وملاكمون أشـداء)
وساقان انفرجتا في توازن زائد ، لا ، لا ،
ذلك ليس شيئا مضحكا ــ يقول ، انه يتجاوز الأسى ، ــ
ذلك الكلب المهزول ، المغطى بالقراد والقروح ،
الذي يشرب ماء قذرا من دلو الغســيل
المتروك بجوار التماثيـل شبه العارية للأبطال الموتى .

* آنئـــذ والآن

كانت الآلهة دائما ما تتدخل في اللحظة الأخيرة
لتمنع ما هو أسـوأ من الوقـوع .
فقبل أن ينهي الرسول الكلام ،
أو قبل أن يكتمل تشكيل صورة دمار السفينة في ذهن الملك.
كانت أثينا تظهر على سطح المعبد ،
فتخاطب الملك البربري واليونانيين الذين جذفوا بعيدا

في زورقهم ذي الخمسين مجدافا : « المصير » ، أعلنت ،
« هو واحـد لكل من الآلهة والمخلوقـات ·
ولهذا فغضبك يا « ثاءوس » ، ليس مناسـبا ·
أما أنتم أيها الأخرون ـ أتمنى لكم ابحارا صحوا » ·
لكن الآن لم تعد هناك آلهة ، ونخاف الأسوأ ـ
ذلك الغضب المناسب ـ حتى ولو كانت سفينة أوريست
قد تحطمت بالفعل على الصخور في الأسـفل ، حتى ولو لم
يبـق منها
سوى لوح خشب وحيد طافيا ، منقوشـا بكلمة
الصـــمت ·

* المدينــة الأخــرى

هناك قفار كثيرة تتداخل ـ يقول ـ صعودا وهبوطا
وأخرى في الوسـط ، قفار مختلفـة أو متشابهة ، بعضها
اجبـاري ، ضروري ،
وبعضها كأنه اختياري ، كأنه حر ـ لكنها دائما متداخلة ·
مع ذلك ، ففي العمق السحيق ، عند المركز ، هناك قفر وحيد
ـ يقول ،
مدينــة جوفاء ، كرويــة تقريبــا ،
بلا اعلانــات اليكترونيــة متعـددة الألوان ، بلا بقـالات
أو موتوسـيكلات ،
وحده الضوء الأبيض الفـارغ للضـباب ،
تكسره ومضـات اشـارات غير مألوفــة ·
في هذه المدينة ، عاش الشعراء لزمن طويل ، طويل ·
يمشون بلا صوت ، أيديهم معقودة ،
يتذكرون مشـاهد وكلمات وأشياء منسية ، غامضـة ،
هم ـ الذين يمنحون العزاء للعالم ـ دائما بلا عزاء ،
فريســة للكلاب والناس ، والعثة والفئران والنجوم ·

قريسة أيضا لكلماتهم ــ هم أنفسهم ــ التى نطقوهـا أو لم ينطقوهـــا ٠

❊ حفـــلة تنكريـــة

وسط الأقنعة الكثيرة فقد وجهه ، ينظر ــ
القناع الأحمر ، الأزرق ، الأسود ، الأصفر ، وذلك القناع ـ
البنفسجى مع الترتر حول الفــم والعينــين ،
أو هذا الآخر باللحية المتعجرفة الطويلة ــ انه أول ما ارتدى
عندما كان فى العاشرة ــ كان يناسبه تماما
(وثبت أنه كان حقيقيا بشكل كامل تقريبا بعد حوالى خمسين عامـــا) ،
والقناع الأبيض ، الجبسى ، بعينيه الخاويتين وبلا أنف ، كأنه يمثـل موتـــه ، ــ
كان يريحه ، ارتداه كثيرا ، ولم يكن سوى
رطوبة الجبس وذلك الغبـار الدقيـق ،
كان خائفا من أن يلتصق بجلده (آه ! هذا القناع كان وجهه حقـــا) ،
هناك على الجدار ــ انه هناك ، معلق ،
يدس غليون بحار بين أسنانه ، يضــع نظارات شمسية على عينيـــه ــ
عينين غائرتين ، عمياوين ، تحدقان فيه ،
تدفعـانه الى اختيـار جديد ــ مرة أخرى ، القناع الأحمر ، الأصفر ، الأزرق ٠

❊ ركـــود

تلك هى الكيفيـة التى اعتدت بها على كل شىء ــ قال ،
حتى تلك الأشياء التى ربما أدهشتنا ذات يوم ،
هى الآن عاديـة وباليـــة ٠

وليست المسألة فحسب أن الأشياء تذوى
فعيوننا أيضا تذوى ـ الآن يتجنبون النوافذ الملونة ،
والأضواء الصناعية القوية ـ يفضلون الآن الممرات المعتمة
أو الطرق السرية المتماثلة ـ تماثلها يشبه الأبد ٠
ولم تعد تراها غريبة أن تبدأ السماء فى الهطول عند الفجر ،
أو أن تدق ساعة مبنى البلدية الثانية عشرة فى الظهيرة ،
والساعات المتروكة بالخارج لا مبالية ، وحيدة ،
مكشوفة فى العراء ، غير مشبعة أبدا ٠
امرأة مجهولة تتجول فى المنزل ، شعثاء ،
وجواربها النايلون ترتخى راكدة ٠

* التناقضات المعتادة

الكلمات ـ قال ـ الكلمات التى لم تنطق ، رفقتنا الوحيدة ،
ندرسها ، نقيمها ، تقيمنا ـ يتعمق المشهد الطبيعى ،
لا تعثر فحسب على عظام ، بل أيضا على أجنحة وأجساد
جميلة ـ
تلائمك ، تلائمها ، تتلاشى ، ها قد رحلت ٠
يعثرون علينا خلف الأبواب ، الجدران العالية ، متحفتين ـ
تعرف ذلك ـ انها الوسائل الوحيدة للتواصل ٠
الحوائط الخشبية بين الغرف تتحول الى زجاج ٠
ترى الكلمات وهى تسقط على منضدة الطابق التحتى العارية
بصوت أجوف
مع حشرات الليل حول المصباح الخارج على القانون ٠

* ازدهار غير طبيعى

أراد أن يصرخ ـ لم يعد يستطيع الاحتمال ٠
ما من أحد كان هناك ليسمع ،

ما من أحد أراد أن يسمع

هو أيضا كان خائفا من صوته ، فأغرقه بداخله ·

لا بـد لصمته أن ينفجر ·

ولسوف تتناثر شظايا جسده فى الهواء ·

سوف يلملمها بعناية ، بهدوء ،

يعيدها الى أماكنها ليسد الفجوات

واذا ما عثر بالصدفة على خشخاشة ، أو سوسنة صفراء نحيلة ،

فسيلمها أيضا ، ويضعها فى جسده ،

كأنها كانت جزءا منه —

هكذا كان ، مع امتلائه بالفجوات ، مزدهرا غرابة ·

* حفريات ١

٢٢٠٠ ق·م ، ١٩٦٥ ق·م ، ٨٢ م — زهريات فاتنة ،

معبد أبوللو ، الساحة العامة، أبعد فى الأسفل النبع المقدس،

عملات ذهبية ، وفضية ، وبرونزية ، محفور على أحد وجهيها « بيرين »

و « بيجاسوس » على الآخر ،

المنصة حيث وقف « بول » ليدافع عن نفسه أمام القنصل « جاليو » ،

أجزاء من مبنى ، وأساسات ، وجدران ، وأجساد ساكنة من حجر ،

سلالم بلا حصر ، سلالم بيضاء الى أعماق الأرض ·

« أنا ، عزيزتى أنا » ، تمتمت المرأة العجوز ·

« ما فائدة كل هذه السلالم ؟ ،

نصف خطوة الى أسفل فلا يمكننى العثور عليك فى أى مكان» ·

واصل السيد « ويليامز » حفرياته الرائعة ·

وعلى أحد الأجناب بالخارج، كان جورج المراكبى يزرر بنطلونه·

ومض مشبك حزامه فى الشمس ـ
تماما مثل حزام بوسيدون الكورنثى ٠

*حفريــات ٢

عليك بالمواصلة ، الى الأسفل أكثر ، أعمق ـ
ينقصك اصـبع ، يد ، ينقصك ضـلع ، والسيف ، والعنب الذابـل ـ فلتواصـل ٠
القديم يكملنا ٠ ما الذى يمكن أن يأخذوه فى الحاضر منك ٠
لكننا نحتفظ بالآخر ـ رفيقا سريـا ، مفيـدا فى التمشيات المنفردة
عنـد النزول الى الموانىء القـديمة فى ليشـايى وكينشيراى وكورنثــة
أو هنـا على شواطىء سـاموس ٠
فى أصـائل الصيف الحار يرتشف أهل سـيكيون الصودا المثلجة فى مقهى كياتو ،
الآخرون يصطادون السمك فى المرفأ بالصنارة ٠
نساء صامتات يحملن ماء الخلود فى جرار ملونـة رائعـة
تحت أشـجار الحور والليلك ٠
دع قمـة كورنثـة الى السيد « سترونجـا » ،
دعـه ينقب عن كنوز « كياميك » بك ٠
وستشعل محرقة الموتى ، فترمى بضوئها
على موكب التماثيل العارية التى نخبىء أنفسنا بينها ،
وبمفتاح ، كاعلان ، تندس قصيدة فى ابطنا ٠

* مشــهد

فى الرواق ، وقفت المرأة الحزينة ، والمحامى ، والحارس ٠
فى المكتب المجاور للبـاب يرن التليفون ٠ « فى الرابعة » .
قالوا « القـارب » ٠

« فى الرابعة » ، قالوا ، « تماما » ·
قرقعت البوابة الحديد من جديد ·
كانوا يجيئون بمزيد من الناس الى الساحة ·
« سأرسل لك سجائر » ، قالت المرأة ·
« حان الوقت » ، قال الحارس ·
على الجدار كان عنكبوت كبير يزحف ·
انفتح الباب الثانى فجأة ـ انكفأ الرجل الميت على وجهه ·
والآخر اختطف العنكبوت ، ودسه فى فمه ،
وهو يضحك وأسنانه منطبقة ·
« تكلم » ، صرخوا فيه · « تكلم » ·
« تكلم » ، هددوه · لم ينطق بكلمة · كان يضحك ·
جلست المرأة على البطاطين وأخفت وجهها فى يديها ·

✻ أحجار

تأتى الأيام ، وتمضى ، بلا مجهود ، بلا دهشة ·
والأحجار تغوص فى الضوء والذاكرة ·
واحد يجعل من حجر وسادة ·
آخر يضع حجرا فوق ملابسه قبل السباحة حتى لا تطير مع الريح ·
وآخر يستخدم حجرا مقعدا له ،
أو ليحدد شيئا ما فى حقله ، فى المقبرة ، فى الحائط ، فى الغابات ·

فيما بعد ، بعد الغروب ، عندما تعود الى البيت ،
فان أية حصاة من الشاطىء تضعها على منضدتك
هى تمثال صغير ـ « تنايكى » صغيرة أو كلب « أرتميس » صغير ·

وتلك الأخرى ، التى وقف عليها شـاب بأقدامه المبتلة فى الظهيرة ،
هى « باتروكلوس » ذو رموش طويلة مسـدلة ٠

* متتـالية الاحسـاس

غاصت الشمس أرجوانيـة ، فبرتقاليـة
والبحر معتـم ، أخضر لازوردى ٠
وبعيـدا ، هنـاك قـارب ـ
علامـة سوداء متأرجحـة ٠
شخص ما نهض وصاح : « قارب ، قارب » ٠
ترك الآخرون ـ فى المقهى ـ مقاعدهم ، ونظروا ٠
كان هنـاك ـ بالتـأكيد ـ قـارب ٠
لكن الرجـل الذى صـاح ،
كما لو كان ـ الآن ـ مذ
نظر الى أسـفل ، وقال :
« لقـد كذبت عليـكم » ٠

* لحظـة خشـوع

كانوا ينخلون الرمل على الشاطىء ، وحملوا :
فى الشمس الحارقـة كانوا يقطرون عرقـا
بعد الظهر ، خلعوا ثيابهم ، امتطوا جيادهم ومضوا الى البحر،
مذهبين سمرا من الشمس الحارقة ومن شعر أجسامهم ٠
أطلق شاب صرخة وأسقط يده الى مفترق ساقيه ٠
أسرع الآخرون اليه ، حملوه ، أرقدوه على الرمـل ،
وهـم ينظرون اليه صامتين ، عاجزين عن الفهم ،
الى أن أبعد أحدهم اليد ـ فى خشوع ـ عن مفترق الفخذين ،
آنئذ، رسموا جميعا ـ وهم يتحلقون حوله ـ شارة الصليب٠

والجيـاد ، بليلـة ، ذهبية ، تنشـقت ،
ورؤوسها تشير بعيـدا الى الأفـق ·

* ذنـب

أخـذ قبعتـه وخـرج ·
ظلت عند المنضدة بالقرب من المصباح ·
عندما أصبح وقـع خطواته بعيـدا ،
نظرت الى يـدها فى الضـوء ·
« انها جميـلة » ، قالت ·
بعد ذلك ، كما لو كانت تبرىء نفسها أمام شخص ما هناك ،
أخذت الخبز الى المطبخ وأطفأت النور ·
فى الخارج مرت عربـات الكارو والقمر ·

* اذعـان

فتحـت النافـذة ·
أطلقت الريح ، فى هبـة مفاجئـة ، شعرهـا ،
كطائرين كبيرين ، على كتفيها ·
أغلقت النافـذة ·
كان الطائران على المنضـدة ينظران اليها ·
أحنت رأسها بينهما
وبكت فى هـدوء ·

* رحيـل

تلاشى فى نهايـة الطريـق ·
كان القمـر عاليـا ·

صرخ طائـر على الشـجرة ٠
انها قصـــة عادية ، بسـيطة ٠
لم ينتبـــه أحــد ٠
بين عمودى اضـــاءة الشـــارع
بقعـــة دم كبيرة ٠

* سـباق الظـلال

عند انقلاب الصيف ، حينما كان شديد الحرارة ،
كنا نتمشى لساعات فى الطريق المقدس خارج جدران المدينة ٠
تراب لا ينتهى ، وعـرق ، وشمس تعمى ٠
المظلة البيضاء مرفوعة فوق رأسى اثنين من الكهنة
بيـد اثنين من ذريـة « اتيوبوتـادى » ،
وهم ينزون عرقا ، فى حالة يرثى لها ، متمسكين بعجرفتهم ٠
كان يبدو كأن الشمس كلها قد تركزت
على هذه الخيمة البيضاء البـــاهرة المتحركـة ٠
عندما وصلنا ، فى النهاية ، والصخور العارية تعمينـا ،
غطينا الأيقونـــة بالتراب ٠
آنئــذ ، توقف العرق فى الحـــال ٠
نـدى عـذب رطـب المظـلة ٠
ظهرت غيوم خفيفة فوق قمم التلال٠ سقط ظل على الرموش٠
ربما كان من انهاك هذا المسير ٠ لكن لا ٠
كان الشبان يخلعون ثيابهم ٠
والمباريـات الرياضـية كانت تبـدأ ٠

* بعـد الهزيمـــة

بعد تدمير الأثينيين فى « أيجوسبوتامى » ، بعده بقليل ،
بعد هزيمتنـا النهائية ٠ [illegible] المناقشات الحرة ، والمجـد البريكليسي ،

وازدهار الفنون ، والملاعب ، ومنتديات فلاسفتنا ·
الآن الكآبة ، صمت ثقيل فى الأسواق ،
وقذارة الطغاة الثلاثين ·
كل شيء (حتى أخص ما يخصنا) يحدث باهمال
دون فرصة لشكوى ، أو دفاع ، أو تبرير ، أو حتى احتجاج شكلى ·
أوراقنا وكتبنا أحرقت ، وشرف وطننا يبلى ·
حتى اذا ما سمح لصديق قديم أن يمثل كشاهد ،
فسوف يرفض مخافة أن يقع فى نفس المتاعب ـ
وسيكون محقا بالطبع ·
لهذا ، فمن الأفضل أن نكون هنا ـ من يدرى ،
فربما يمكننا أن نحظى بتواصل حى مع الطبيعة ،
ونحن ننظر الى جزء من البحر ، والصخور ، والغابات
أو الى غيمة عند الغروب ، نائية ، بنفسجية ، ترحل ، خلف السلك الشائك ·
وربما يصل ذات يوم « كيمون » آخر ، يقوده فى السر نفس النسر ،
وسيحفر ويعثر على رأس حربتنا الحديدية ،
صدئة ، متهالكة ،
فيمضى الى أثينا ، ويرفعها فى موكب للعويل أو الانتصار
مع الموسيقى وأكاليل الغار ·

* ونحكى عنهم ···

بالطريقة التى انحدرنا بها مع كلماتنا وأفكارنا ،
لا يمكن أن تربكنا الأمجاد القديمة أو اللاحقة ،
ولاكتب السيرة لأرستيديس ـ
وعندما يبدأ أحدنا ـ أحيانا ـ فى تذكر احداث الثلاثمائة أو المائتى عام ،

يقاطعه الآخرون على الفور بازدراء ، أو - في الحد الأدنى - بريبة •

لكن أحيانا - مثل الآن - عندما يصفو الطقس ذات يوم أحد ،

ونحن نجلس تحت شجر الأوكالبتوس ، في هذا الضوء العنيد ،

يطغى الحنين الى الأمجاد القديمة على أحدنا

- لا يهم ان كنا نصفها بأنها رخيصة -

عندما بدأ الموكب في الفجر ، نافخ البوق في المقدمة ، خلفه المركبات المحملة بأغصان الغار والآس ،

ثم الثور الأسود وفتيان يحملون جرار اللبن والنبيذ

من أجل القرابين وقوارير زيت وعطر جميلة -

لكن أكثر ما كان يبهرنا ، في نهاية الموكب ،

حاكم « بلاتيآى » بكل ما يرتديه من أرجوان ،

وهو الذى لم يكن مسموحا له بقية العام بلمس الحديد

وعليه بالتزام الأبيض في كل ثيابه ،

الآن يرتدى الأرجوان ويحمل سيفا طويلا ،

عابرا المدينة فى مهابة ، نحو مقابر الأبطال ،

حاملا جرة من جرار الدولة •

وبعد غسل شاهد المقبرة ، بعد الأضحيات السخية ،

يرفع كأس النبيذ ، يعلن وهو يريقه على المقابر

« انني أقدم هذا الكأس الى أشجع الرجال

الذين سقطوا من أجل حرية اليونانيين » ، -

وتمرق رعشة خلال غابات الغار القريبة ،

رعشة تظل ترفرف خلال أوراق هذه الأوكاليبتوس

وخلال هذه الثياب المرقعة من كل الألوان

المعلقة كي تجف في الشمس •

* الرقصـــة الجديـــدة

ليست أعذارا فحسب ، بل دوافع أصيلة ، نتائج هامة ــ
أهواء، ومصالح ، ومخاطر، ومخاوف ــ باسيفاى، والمينوتور،
والمتاهة ، وأرياذنى ، وخيطها الشبقى الجميل
الذى لا يرتخى ، فيقوده فى الظلام الحجرى ٠
ثم عودة « ثيسيوس » الظافرة ٠
توقف فى ديلوس وهناك رقص « ثيسيوس » حول الكيراتون
(المذبح الشهير المصنوع بكامله من قرون الحيوانات)
مع فتيان أثينا الذين رافقوه ، رقصة جديدة خارقـة
بخطوات متقاطعة ترددت ــ ربما ــ فى ضوء الظهيرة القوى ،
وفى المنعطفات المظلمة للمتاهـــة ،
وربما من يدرى ــ صنعت الطيور وزيز الحصاد هذا الصخب
العظـيم
فى غابـة الصنوبر الصغيرة القريبـة ــ
ما الذى لم تستطع اكتشافـه ، وكنت مشـدوها
من الشمس والانعكاسات الصـادرة من البحر ،
زجاج دقيق مسحوق ، والحركات الباهرة للأجساد العارية ــ
رقصـــة خارقـــة ٠
وفيما بعد نسينا كل ما يتعلق بالمينوتورات والباسيفايـات
والمتاهـــات
وحتى أريـاذنى البائســة التى تموت وحيـدة مهجورة فى
ناكســوس ٠
لكن الرقصة سرعان ما انتشرت فى البلد وما نزال نرقصها ٠
منذ ذلك الحين ، واكليل السعف مقضى بأن يكون
رمزا تذكاريـا للمباريـات الرياضيـة فى « ديـلى » ٠

* أفـــول الأرجـــو

الليلة ونحن نتحدث عن كيف تمر الأشياء وتشيخ ، تصبح
رخيصـــة ــ

النساء الجميلات ، والمآثر البطوليــة ، والقصائــد ـ
تذكرنا السفينة الأسطورية عندما جاءت الى كورنثة ذات ليلة
ربيعيـــة ،

وقد نخرها السوس ، متهالكة ، ومساند المجاذيف محطمة ،
مليئة بالترميمات ، والثقوب ، والذكريـــات ٠
الموكب الطويل عبر الغابة ، بالمشاعل، والاكاليل ، والنايات،
ومباريات الفتيـــان ٠
كانت الأرجو القديمة هبة فاتنة الى معبد بوسيدون ٠
ليلة جميلة ، ترتيل الكهنة ، بومة تنعب من قوصرة المعبد ،
الراقصون يقفزون ـ بخفـــة ـ على الســفينة
يقلدون الفعل العنيف بتكشيرة غير مهذبـــة ،
حركة المجاذيف غير الموجودة ، والعرق ، والدم ٠
آنئذ ، بصق بحار عجوز عند قدميه ومضى الى الغابة الصغيرة
ليبـــول ٠

* يـــأس بنيـــلوب

لم تكن المسألة أنها لم تستطع التعرف عليـه
في الضوء الكابي للنيران ،
لم تكن أسمال المتسول ، وتنـــكره ٠
لا ٠
كانت هناك علامات واضحـــة :
النـــدبة في مقدمـة الركبـــة ،
جسده المفتول العضلات ، ونظرته الماكرة ٠
حاولت ـ في رعبها ، وهي تستند على الجدار ـ
أن تجد تبريرا ما ، مهلة ما ، كي تتفادى الرد ،
حتى لا تخـون أفكارهـــا ٠
أكان من أجله أن ضيعت عشرين عامـــا ،
عشرين عامـــا من الانتظـار والحلـم

من أجل هذا البائس ، الغارق فى الدماء ، بلحيته البيضاء ؟
انهارت على المقعد بلا كلمة ،
أمعنت النظر فى الثياب الذبيحة على الأرض ،
كما لو كانت ترى رغباتها القتيلة ·
قالت : « أهلا » ،
فتسمع صوتها كأنه يجىء من بعيد ،
كأنه صوت شخص غريب ·
والنول ـ فى الركن ـ يرمى بظله كقفص على السقف ،
والطيور التى نسجتها بخيوط حمراء زاهية وسط الأخضر
تتحول الآن الى الرمادى والأسود
وترحل مرفرفة خفيضة فى السماء الفاترة
لمحنتها الأخيرة ·

* أثينا ١٩٧٠

فى هذه الشوارع
يمشى الناس ،
يهرع الناس ، يتعجلون
أن يبتعدوا ، أن يفروا (ممن ؟) ،
أن يذهبوا (أين ؟) ـ لا أعرف ـ لا وجوه ـ
منظفات للفراغ ، أحذية ، صناديق ـ
يهرعون ·

فى هذه الشوارع ، فى زمن آخر ـ
مروا بأعلام كبيرة ،
وكان لهم صوت (أذكر ، سمعته) ،
صوت مسموع ·

الآن ،

يمشون ، يهرعون ، يجـرون ،
سـاكنين فى هـرولتهم ـ
يأتى القطـار ، يركبون ، يتدافعون ،
ضـوء أخضر ، أحمـر ،
البواب خلف الفاصـل الزجـاجى ،
البغى ، الجنـدى ، الجزار ،
الحائـط رمـادى ،
أعلى من الزمـن ٠

حتى التماثيـل لا تستطيع أن تـرى ٠

* تحذيـرات

ربما سـيكون عليـك أن تظـل متمالكا لصوتـك ، ـ
غـدا ، بعـد غـد ، بعض الوقت ،
وعنـدما يهتف الآخرون تحت الأعـلام ،
سيكون عليك ـ أنت أيضـا ـ أن تهتف ،
لكن تأكد أنك تسـدل قبعتـك على عينيـك ،
الى أسـفل ، أسـفل تمامـا ،
حتى لا يروا الى أين تنظر عينـاك ،
ولا يهم ان كنت تعرف أن هؤلاء الذين يهتفون
ينظرون الى اللامـكان ٠

* ذنب سرى

الاثم والبراءة ـ قلنا ـ شىء واحد فى نفس الليـلة ٠
الآخر أقسم ألا يقول ٠ لكن من يـدرى ـ

فأنت لا تستطيع أبدا أن تتأكد ما اذا كان وكم من الوقت
سيظل صامتا ، وستظل صامتا ، ـ
وربما ستندفع بحماقة لتسبق الآخر ،
وأنت تنظر الى المطر يقطر
أسفل الزجاج المضاء للمطعم ،
حينما يسمع المقعد وهو يسقط فى الزحام ،
والكوب يتهشم ،
وهو ، والطعنة فى جنبه ، دامى العينين ،
يمد ذراعه الكبيرة ، المفتولة
ويشير اليك ٠

* وظيفة الشاعر

فى الممر ، المظلة ، والحذاء المطاطى ، والمرآة ،
فى المرآة ، النافذة أقل سكونا ،
فى النافذة ، بوابة المستشفى عبر الشارع ،
هناك ، طابور طويل من المتبرعين بالدم
المألوفين ، ذوى الصبر النافد ـ
أوائلهم شمروا أكمامهم
بينما المصابون الخمسة فى الغرف الداخلية ميتون ٠

* رسام تجريدى

رسام ـ ذات أصيل ـ رسم قطارا ٠
هربت العربة الأخيرة من الورقة ٠
عادت الى المخزن بنفسها ٠

فى هذه العربة ـ بالذات ـ كان يجلس الرسام ٠

* ايضــاح ضرورى

هناك مقطوعات معينة ـ وأحيانا قصائد بكاملها ـ

لا أعرف معناهــا .

انه ما لا أعرف هو الذى يحملنى على الصمت .

فأنت محـق فى أن تســألنى .

لكن لا تســـألنى .

فأنا لا أدرى ، أقول لك :

ضوءان متوازيان يأتيـان من نفس المركز .

صـوت الماء المتسـاقط فى الشـتاء

من ماسورة صرف المياه الزائـدة ،

أو صوت قطرات الماء وهى تسـاقط

من زهرة فى حديقـــة مرويـــة ،

بطيئـــة ، بطيئـــة على مســـاء ربيـــعى

كنشــــيج طائــر .

لا أعرف ما يعنيـه هذا الصـــوت ،

ومع ذلك ، فـــاننى أقبـــل بـــه .

فأيا ما كان ما أعرف ، فقــد أوضحتـــه لك .

لســـت متجاهــــلا .

لكن هذه ـ أيضــا ـ تضيف الى حياتنـــا .

فاننى ألاحظ ـ عنــدما نامت ـ

كيف شــكلت ركبتاهــا زاويــة على الملاءة ـ

لم تكن ـ فحسب ـ مسألـة حب .

فقــد كان هذا الركن ملتقى العذوبـــة ،

وشــذى الملاءة ، والنظافـــة ،

والربيـــع المكمل لذلك الشىء المستعصى على التفسير

الذى حاولت ـ دون جــدوى مرة أخرى ـ

أن أفسره لك .

* لحظـــة

حى بحـارة منبـوذ • الأضـواء ناعسـنـة •
حانات البيرة البائسـة مصفوفة فى طابور كنساء معدمات ،
ينتظرن بلا أمـل أمام المستشفى القروى •
الشـارع مظلم • الجميع قرروا النوم مبـكرا •
لكن فجـأة
تضـاء الحانـات حتى مقاعدهـا الأخيرة
بالضحكة البيضاء الناصعة لأحـد الشبان •
وبعدهـا مبـاشرة
جاء صوت البحر اللانهائى ، المنتظم ، الذى لا يقهر •

* تطـابق

هذا التمثال البرونزى اتخذ وضـعا وفق هواه فى منتصف الشـتاء ،
تلك الخطوة العملاقـة للحصـان
كأنه يقفز على الرياح العكسية الجبـارة ،
حتى لو كانت سيماء الفارس المتكبرة ، المتعاليـة
قد تعادلت مع الهطول والغيوم والعواصف المرعـدة
عندما حولت ومضات البرق العنان الى شعلتين نحيلتين ثابتتين
حتى أنك لا تستطيع أن تقول ما اذا كان العواء
قد صـدر من الريـح على طول الشوارع العـارية
أم من الفـم المفتـوح للتمثـال •
لكن الآن •
مع هذا الربيـع ، المسترخى ، المتساهل ، المتسامـح ،
مع هذا الضوء الناسى ، هذا الضوء ذى المزاج الطيب
(ربما بسبب الجبن ، أو منهكا من الحـر)
الذى تربط به أشعة الشمس المتاحة ورقة الشجر بالأخرى ،

الشـجرة بالأخرى أو بالبيوت ،
النظرة بالأخرى أو بالشـفاه ـ
مزاج التمثال أصبح الآن فوق الاحتمال، مستفزا ، غير لائق ،
الى حد أن الفارس البرونزى ـ نفسه ـ قد ترجل عنه ،
نادى ثلاثة عاطلين كانوا ينتظرون فى الحديقة العامة بالمعاول،
وبدأ ـ وهو ينز عرقا ، راضيا ـ فى تحطيم تمثالـه ٠

❋ مدرج مسرحى قديـم

عندما وقف شـاب يونانى ـ حوالى الظهيرة ـ
فى مركز مدرج مسرحى قديـم دون أن يرتـاب ،
ووسـيما مثلما كانـوا ،
أطلق صيحة (لا من الاعجاب ، فلم يحس أبدا بالاعجـاب
وحتى اذا كان قد أحسه ، فلم يكن ـ بالتأكيد ـ ليظهره) ،
صيحة بسـيطة ، ربما من فرح لم يروض بشـبابه
أو ببسـاطة ـ ليجرب خصائص السماع بالمكان ٠
فى الجهة المقابلة ، عاليـا فوق الجبل المندفع ، رد الصدى ـ
الصـدى اليونانى ، الذى لا يقلد ولا يكرر
لكنه يتواصـل ـ ببسـاطة ـ الى ارتفـاع بلا حدود
الصيحـة الخالـدة للقصـيدة الحماسـية ٠

❋ شـجرة

تجذرت هذه الشجرة فى الجانب الأقصى من الحديقة ،
طويـلة ، نحيـلة ، وحيـدة ـ
ربما خان ارتفاعها فكرة سرية عن الاقتحـام ٠
لم تنتـج ثمرة ولا زهـرة ،
بل ظلا طويلا ـ فحسب ـ يقسـم الحديقة الى اثنتين ،
وقياسا على التعارض مع الأشجار المحنية ، المحملة ٠

كل مســاء ، بعد ما يتـلاشى الغروب المجيــد ،
يجثم طائر برتقالى اللون ، غريب ، صامتــا وسط أوراقها
كأنــه ثمرتها الوحيـــدة ــ
مثل جرس ذهبى صغير فى برج هائل ، أخضر .
عندما قطعت الشجرة، رفرف الطائر حولها بصرخات وحشية، قصــيرة ،
وهو يرســم دوائر فى الهواء ، يرســم فى الغروب
شكل الشجرة الذى لا ينفد ، وذلك الجرس الصغير
دق فى الأعلى دون أن يرى ،
بل وأعلى من ارتفــاع الشــجرة الأصــلى .

* صعـــود

جلس طوال أيـام فى حقــل أحـد الغربـــاء ،
وهو يخطط دائما لتسلق شــجرة التين الجرداء ذات يوم فى السر
كى ينظر الى العالم من أعلى ، باحساس ورقــة شجر
أو باحســاس طائــر ،
لكن دائما ما كان يمر شــخص ما ،
فاستمر بذلك ــ دائما ــ فى التأجيـــل .
ذات غسق ، تلفت فى حذر حوله ــ ما من مخلوق ــ
وتســلق بمشــقة الى أعلى غصن .
آنئذ ، سمع أصواتــا وسط الأدغـــال :
« ما الذى تفعله عاليـــا هناك ؟ »
أصوات عالية ، ورد : « تينــة ، كانت هنــا تينـة أخيرة » .
انكسر الغصن .
أنهضـــوه .
أطبقوا باحكام على يــده اليمنى :
عندما أجبروه على فتــح أصابعــه ، لم يجدوا شيئا .

* اعـــادة تشــكيل

ذلك الذى تسميه سكينة أو انضباطا ، رحمة أو لا مبالاة ،
ذلك الذى تصــفه بأنه فم مغلق على أســنان مطبقــة ،
يكشف الصمت العذب للفم ، يخفى الأســنان المطبقــة ،
هو ـ فحسب ـ تحمل المعدن تحت المطرقة النافعة ،
تحت المطرقة الرهيبــة ـ ذلك ما تعرف :
أنك تعبر من اللاشــكل الى الشــكل ·

* أرضنـــا

تســلقنا التــل لنلقى نظرة على أرضــنا :
حقول قليــلة وفقيرة ، صخور ، أشجار زيتون ·
مزارع كروم تمتد الى البحر ·
بجوار المحراث نار صغيرة ترســل الدخــان ·
صنعنا من ثياب الرجل العجوز خيال مآتة لمواجهة الغربان ·
وأيامنا تتقدم نحو خبز قليــل وشمس كبيرة ·
تحت أشجار الحور تلتمع قبعــة من قش ·
الديك فوق الســياج ·
البقرة صفراء ·
كيف توصلنــا الى تنظيم بيتنا وحياتنــا
بيــد من حجــر ؟
وثمة ســناج ـ حتى عتبــة النافــذة ـ
من شموع عيــد الفصــح ، عاما بعــد عــام :
صلبــان صغيرة سوداء رسمها هنــاك
الموتى العائــدون من صــلاة النشور ·
هذه الأرض مفتونــة بالصبر والكرامة ·
كل ليــــلة ،
تشرئب التماثيل من البئر الجاف فى حذر ،
وتتســلق الأشــــجار ·

* العـــودة

فى البدايـة ، رحلت التماثيـل ٠
وبعد قليـل ، الأشـجار والناس والحيوانات ٠
أصبحت الأرض ـ بكاملها ـ مهجورة ٠
هبت الريـح ٠
تجمعت الجرائد والأشواك فى الشوارع ٠
فى الغسق ، انطفأت الأنوار من تلقـاء نفسها ٠
عاد رجـل وحـده ، نظر حواليـه ،
أخرج مفتاحـه ، وغرسـه فى الأرض
كأنه يسـلمه الى يـد تحت الأرض
أو كأنـه يزرع شـجرة ٠
ثم صـعد السـلالم الرخاميـة
وحـدق أسـفله فى المدينـة ٠
فى حذر ، واحدا وراء الآخر ، عادت التماثيـل



أعمال ريتسوس الشعرية باليونانية حتى عام ١٩٨٠

١٩٣٤ : تراكتورات
١٩٣٥ : أهرامـات
١٩٣٦ : ابيتافيوس
١٩٣٧ : أغنيـة أختي
١٩٣٨ : سيمفونية الربيع
١٩٤٠ : مسيرة المحيط
١٩٤٢ : مازوركا قديمة على ايقاع المطر
١٩٤٣ : محاولـة
١٩٤٥ : رفيقتنـا
١٩٥٢ : الرجل ذو القرنفلة (نيقوس بيلويانيس)
١٩٥٤ : سهر
١٩٥٥ : نجمة الصباح
١٩٥٦ : سوناتا ضوء القمر
١٩٥٧ : تاريخ
وداع
الجـرة
شفافية الشتاء
وقت حجرى
(ماكرونيسيوتيكا)
جيران العالم
١٩٥٨ : عندما يأتى الغريب
مدينة بلا خضوع
معمار الأشجار
فيما وراء ظل أشجار السرو

١٩٥٩ : العجوز والبحر
امرأة بجوار البحر
١٩٦٠ : النـافذة
١٩٦١ : القديس الأسود
(باتريس لومومبا)
قصائد ، الجزء الأول
قصائد ، الجزء الثانى
١٩٦٢ : البيت الميت
تحت ظل الجبل
١٩٦٣ : شجرة السجن والمرأة
شهادات ـ ١
١٢ قصيدة الى كافافى
١٩٦٤ : قصائد ، الجزء الثالث
ألعاب مرحة للسماء والماء
١٩٦٥ : فيلوكتيت
١٩٦٦ : روميوسينى
أوريست
شهادات ـ ٢
١٩٦٧ : أوستـرافا
١٩٧٢ : أحجار وتكرارات وقضبان
هيلين
ايمـاءات
البعد الرابع
عودة ايفيجينى
كريسوثيميس
ايسمين

١٩٧٣ : ١٨ أغنية قصيرة الى الوطن
المريـــو
الممـر والسـلالم
جراجـاندا

١٩٧٤ : وعـاء السخام
بـرج الكنيسـة
الحائـط فى المرآة
ورقيـات
محـاولات

١٩٧٥ : سـيدة الكروم
القرن الأخير قبل الانسانية
أشـعار ظرفيـة
ملحق المجـد
(آريس فيلوشيوتيس)
يوميـات المنفى
النسوة المبعوثات
قصائد . الجزء الرابع

١٩٧٦ : الحراسـة

١٩٧٧ : البعيـد
ملائـم

١٩٧٨ : عسـكرى المرور
البوابـة
الجسـد والدم
امرأة مونيمفاسـيا
الرائعـة الرهيبـة
فيـدرا
اذن ؟
مطرقـة البـاب

١٩٧٩ : كتابـة الأعمى

١٩٨٠ : شـفافيـة
آلات ذات وتر واحـد
ايروتيـكا
محاكاة تهكمية

* * *

المراجع

رفعت سلام ، يانيس ريتسوس : قصائد من دم وحجر ، مقدمة (يانيس ريتسوس : اللــذة الأولى ، ترجمة وتقديـم ، الملحقيــة الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢) .

ريتســـوس ، القصيدة فعــل جمالى متكامل (حوار) ، ترجمة ضــياء نافع ، مجلة الأقلام (بغداد) ، يونيو ١٩٨٧ .

Edmund Keely, Ritsos in Parentheses, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, U.S.A.

Gérard PIERRAT, La Longue Marche d'un Poéte, in : Yannis Ritsos, AVANT L'Homme, Flammarion, Paris, 1975.

Peter BIEN, Introduction, in : Yannis Ritsos, Selected Poems, Efstathiadis Group S.A. Athins, 1993.

C. CAPRI-KARKA, Doorman's Booth ;

Peter BIEN, ORESTES, Cow ;

William SPANOS, Yannis Ritsos' Romiosini, Style as Historical Memory ;

Yannis RITSOS, By way of Introduction to the Testimonies ; Upon Reading Again the Collections The Wall In The Mirror and Doorman's Booth ;

in

The CHARIOTEER, Speciel Double Issue (20-30), 1987-1988. Pella Publishing Company, New York.

تعريف بالمترجم

★ شاعر ومترجم

★ تخرج من كلية الآداب / قسم الصحافة ، بجامعة القاهرة ١٩٧٣ ٠

★ صدر له خمسة دواوين شعرية ، وكتابان فى الدراسات ، وخمسة كتب فى الترجمة ٠

★ منح شهادة تقدير من « لجنة كفافيس الدولية » عن ترجمته لقصائد ريتسوس التى صدرت عام ١٩٩٢ ، بعنوان « اللذة الأولى » ٠

★ ترجمت أشعاره الى الفرنسية الانجليزية والايطالية واليونانية والكرواتية ٠

★ منح جائزة « كفافيس » الدولية فى الشعر ، عام ١٩٩٣ ، عن دوره المتميز فى الشعر المصرى والعربى ٠

★ صدر ـ عن تجربته الشعرية ـ كتابان نقديان ، للدكتور محمد عبد المطلب أستاذ النقد الأدبى بجامعة عين شمس ، والدكتور على البطل رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة المنيا ، بالاضافة الى عشرات الدراسات النقدية ، وفصول فى بعض رسائل الماجستير الدكتوراه ٠

★ شارك فى العديد من المهرجانات الشعرية العربية والدولية ٠

للمترجم

شعر : وردة الفوضى الجميلة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧ ·

اشراقات رفعت سلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢ ·

انها تومىء لى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٣ ·
سلسلة (نوافذ) ، القاهرة ١٩٩٦ ·

هكذا قلت للهاوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ ·

كرغوة على جسدى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧ ·

دراسات : المسرح الشعرى العربى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ·

بحثا عن التراث العربى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠·
دار الفارابى ، بيروت ١٩٩٠ ·

ترجمة : الفجر ·· وقصائد أخرى ، بوشكين ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٨٢ ·

غيمة فى بنطلون ·· وقصائد أخرى ، ماياكوفسكى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٥ ،
المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٧ ·

الابداع القصصى عند يوسف ادريس ، كربرشويك ، دار شهدى ، القاهرة ١٩٨٧ ·
دار سعاد الصباح ، القاهرة ١٩٩٣ ·

الشيطان ·· وقصائد أخرى ، ليرمونتوف ، اتحاد أدباء وكتاب الامارت ، الشارقة ١٩٩١ ·

اللذة الأولى ·· وقصائد أخرى ، يانيس ريتسوس ، الملحقية الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢ ·
دار الينابيع ، دمشق ١٩٩٦ ·

اقرأ في هذه السلسلة

برتراند رسل
احلام الأعلام وقصص اخرى

ى· رادو نكاياوم جابوتنسكى
الالكترونيات والحياة الحديثة

آلدس هكسلى
نقطة مقابل نقطة

ت· و فريمان
الجغرافيا فى مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ج· فوربس و ا· ج· ديكستر هور
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليسردبل اى
الأرض الغامضة

والتر آلن
الرواية الانجليزية

لويس فارجاس
المرشد الى فن المسرح

فرانسو دوماس
آلهة مصر

د قدرى حفنى واخرون
الانسان المصرى على الشاشة

اولج فولكف
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة

هاشم النحاس
الهوية القومية فى السينما

ديفيد وليام ماكدوال
مجموعات النقود · صيانتها تصنيفها ــ عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير نغمى ومنطق

د· محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الانسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة · الانجليزية والفرنسية

د· عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر أصله وبدايته

انور المعداوى
على محمود طه الشاعر والانسان

بول شول وادبنيت
القوة النفسية للاهرام

د صفاء خلوصى
فن الترجمة

رالف ئى ماتلو
تولستوى

فكيتور بروميير
ستندال

فيكتور هوجو
رسائل وأحاديث من المنفى

فيرنر هيزنبرج
الجزء والكل « محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية »

سدنى هوك
التراث الغامض · ماركس والماركسيون

ف· ع· اديتكوف
فن الادب الروائى عند تولستوى

هادى نعمان الهيتى
أدب الأطفال « فلسفته ، فنونه ، وسائطه »

د نعمة رحيم العزاوى
أحمد حسن الزيات كاتبا وناقدا

د فاضل أحمد الطائى
اعلام العرب فى الكيمياء

جلال العشرى
فكرة المسرح

هنرى باربوس
الجحيم

د السيد عليوة
صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للانسان

د· روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟

كاتى ثير
تربية الدواجن

ا· سبنسر
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة

د· ناعوم بيتروفيتش
النحل والطب

جوزيف داهموس
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى

د· ليتواير تشامبرزرايت
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر

د· جون شندلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة

بيير البير
الصحافة

د· غبريال وهبة
اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى

د· رمسيس عوض
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها

د· محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير

فرانكلين ل· باومر
الفكر الأوربى الحديث ٤ ج

شوكت الربيعى
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى

د محى الدين أحمد حسين
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار

ج· دادلى اندرو
نظريات الفيلم الكبرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصى

د· جوهان دورشنر
الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد

طائفة من العلماء الامريكيين
مبادرة الدفاع الاستراتيجى حرب الفضاء

د· السيد عليوة
ادارة الصراعات الدولية

د· مصطفى عنانى
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء والمحدثين
مختارات من الأدب اليابانى « الشعر ــ الدراما ــ الحكاية ــ القصة القصيرة »

جابرييل باير
تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة

انطوني دي كرسبني وكينيث مينوج
أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما

زافيلسكي ف. س
الزمن وقياسه (من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى ملايين السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوي
أجهزة تكييف الهواء

بيتر رداي
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي

جوزيف داهموس
سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

س. م. بورا
التجربة اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

رونالد د. سمبسون ونورمان د. أندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د. أنور عبد الملك
الشارع المصري والفكر

والت وتيمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فرد . س. هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي

آلان كاسبيار
التذوق السينمائي

سامي عبد المعطي
التخطيط السياحي في مصر بين النظرية والتطبيق

فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
البذور الكونية

حسين حلمي المهندس
دراما الشاشة (بين النظرية والتطبيق) للسينما والتليفزيون ٢ ج

روى روبرتسون
الهيروين والإيدز وأثرهما في المجتمع

دور كاس ماكلينتوك
صور أفريقية . نظرة على حيوانات أفريقيا

هاشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة

د. محمود سري طه
الكومبيوتر في مجالات الحياة

بيتر لورى
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فيدروفيتش سيرجيف
وظائف الأعضاء من الألف إلى الياء

ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرتون
تربية أسماك الزينة

أحمد محمد الشنواني
كتب غيرت الفكر الإنساني

جون . ر. بورر وميلتون جولدينجر
الفلسفة وقضايا العصر ٣ ج

ارنولد توينبي
الفكر التاريخي عند الإغريق

د. صالح رضا
ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر

م. هـ كنج وآخرون
التغذية في البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد أبو سديرة
الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٣ ج

اريك موريس وآلان هو
الإرهاب

سيريل الدريد
اخناتون

آرثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم

ب. كوملان
الأساطير الإغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسي – تحليل المعاملات الإنسانية

لجنة الترجمة ،
المجلس الأعلى للثقافة
الدليل الببليوجرافي
روائع الآداب العالمية ج ١

روى آرمز
لغة الصورة في السينما المعاصرة

ناجاي ميتشيو
الثورة الإصلاحية في اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث غدا

ميكائيل ألبي وجيمس لفلوك
الانقراض الكبير

آدامز فيليب
دليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الأوركسترالي

ابو القاسم الفردوسي
الشاهنامة ٢ ج

بيرتون بورتر
الحياة الكريمة ٢ ج

جاك كرابس جونيور ،
كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر

محمد فؤاد كوبريلي
قيام الدولة العثمانية

توني بار
التمثيل للسينما والتليفزيون

تاجور ، شين بن بنج وآخرون
مختارات من الآداب الأسيوية

ناصر خسرو علوي
سفرنامة

نادين جورديمر ، بيتر ابراهامز وآخرون
سقوط المطر وقصص أخرى

أحمد محمد الشنواني
كتب غيرت الفكر الإنساني ٧ ج

جان لويس بوري وآخرون
في النقد السينمائي الفرنسي

[illegible] في اوربا
بول كراز

موريس بير براير
صناع الخلود

زيجمونت هبز
جماليات فن الاخراج

جوناثان ريلى سميث
الحملة الصليبية الأولى وفكرة
الحروب الصليبية

الفريد ج. بتلر
الكنائس القبطية القديمة فى
مصر ٢ ج

ريتشارد شاخت
رواد الفلسفة الحديثة

ترانيم زرادشت
من كتاب الأفستا المقدس

الحاج يونس المصرى
رحلات فارتيما

هربرت شيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد.

بيتر نيكولز
السينما الخيالية

ادوارد ميرى
من النقد السينمائى الأمريكى

نفتالى لويس
مصر الرومانية

ستيفن أوزمنت
التاريخ من شتى جوانبه ٣ج

جونى براح وآخرون
السينما العربية من الخليج الى
المحيط

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر ٢ ج

جابر محمد الجزار
ماستريخت

د. ابرار كريم الله
من هم التتار

ج. س. فريزر
الكاتب الحديث وعالمه
٢ ج

سوريال عبد الملك
حديث النهر
من روائع الآداب الهندية

لوريتو تود
مدخل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
الشموس المتفجرة
أسرار السوبر نوفا

مارجريت روز
ما بعد الحداثة

د. بيارد دودج
الأزهر فى ألف عام

ستيفن رانسيمان
الحضارة البيزنطية

هـ. ج. ولز
معالم تاريخ الانسانية
٤ ج

جوستاف جرونيباوم
حضارة الإسلام

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيرتون الى مصر والحجاز
٣ ج

جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجهول

ارنولد جزل وآخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة
٢ ج

بادى اونيمود
افريقيا - الطريق الآخر

د. محمد زينهم
فن الزجاج

برنسلاو مالينوفسكى
السحر والعلم والدين

ادم متز
الحضارة الاسلامية

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو داجاما

ايفرى شاتزمان
كوننا المتمدد

سونداري
الفلسفة الجوهرية

مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل

فرانسيس ج. برجين
الاعلام التطبيقى

عبده مباشر
البحرية المصرية من محمد على
للسادات

ج. كارفيل
تبسيط المفاهيم الهندسية

توماس ليبهارت
فن المايم والبانتوميم

ادوارد دوبونو
التفكير المتجدد

وليام هـ. ماثيوز
ما هى الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيناريو فى السينما الفرنسية

بول وارن
خفايا نظام النجم الأمريكى

جورج ستاينر
بين تولستوى ودستويفسكى
٢ ج

يانكو لافرين
الرومانتيكية والواقعية

محمود سامى عطا الله
الفيلم التسجيلى

جوزيف بتس
رحلة جوزيف بتس

ستانلى جيه سولومون
أنواع الفيلم الأمريكى

هارى ب. ناش
الحصر والتيفوس والحمود

جوزيف م. بوجز
فن الفرجة على الأفلام

كريستيان ديروش نوبلكور
المرأة الفرعونية

جوزيف نيدهام
موجز تاريخ العلم والحضارة
فى الصين

ليوناردو دافنشى
نظرية التصوير

ت. ج. هـ. جيمز
كنوز الفراعنة

رودولف فون هابسبرج
رحلة الأمير رودلف الى الشرق
٣ ج

مالكوم برادبرى
الرواية اليوم

وليم هاريسون
رحلة ماركو بولو ٣ ج

هنرى بيرين
تاريخ أوربا فى العصور الوسطى

ديفيد شنيدر
نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وآفاق المستقبل

رونالد دافيد لانج
الحكمة والجنون والحماقة

كارل بوبر
بحثا عن عالم أفضل

نورمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم
والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد
اطلالات على الزمن الآتى

ممدوح عطية
البرنامج النووى الاسرائيلى
والأمن القومى العربى)

د· ليوبوسكاليا
الحب

ايفور ايفانس
مجمل تاريخ الأدب الانجليزى

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية

الفين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شرارة
مشكلات القرن الحادى والعشرين
والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء فى خدمة الانسان

ت· ج· جيمز
الحياة أيام الفراعنة

جرج كاشمان
لماذا تنشب الحروب ٢ ج

حسام الدين زكريا
انطون بروكنر

ازرا ف· فوجل
المعجزة اليابانية

ونفرد هولز
كانت ملكة على مصر

جيمس هنرى برستد
تاريخ مصر

بول دافيز
الدقائق الثلاث الأخيرة

جوزيف وهارى فيلدمان
دينامية الفيلم

ج· كونتنو
الحضارة الفينيقية

ارنست كاسيرر
فى المعرفة التاريخية

كنت أ · كتشن
رمسيس الثانى

جان بول سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالمى

روزالند · وجاك يانسن
الطفل المصرى القديم

نيكولاس ماير
شرلوك هولز

ميجيل دى ليبس
الفئران

جوسيبى دى لونا
موسولينى

الويز جرايتر
موتسارت

على عبد الرءوف اليمبى
مختارات من الشعر الاسبانى

روبرت سكولز وآخرون
آفاق أدب الخيال العلمى

ب· س ديفيز
المفهوم الحديث للمكان والزمان

س· هوارد
اشهر الرحلات الى غرب افريقيا

و· بارتولد
تاريخ الترك فى آسيا الوسطى

فلاديمير تيمانيانو
تاريخ أوربا الشرقية

جابرييل جارسيا ماركيز
الجنرال فى المتاهة

هنرى برجسون
الضحك

د· مصطفى محمود سليمان
الزلازل

م· و· ثرنج
ضمير المهندس

ا· ر· جرنى
الحيثيون

سبتينو موسكاتى
الحضارات السامية

د· البرت حورانى
تاريخ الشعوب العربية

محمود قاسم
الأدب العربى المكتوب بالفرنسية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٤٨٣٨

ISBN — 977 — 01 — 5171 — 8

أحس بأنى ما أزال طفلاً يافعاً، وأن عمرى يمتد إلى ملايين السنين. وكل عام يمر، أزداد فتوةً بما أكسب، أى بما أفقد. لقد عبرتُ ميتات كثيرة، وسأموت أخيراً وأنا أجمل بعض الأبدية. والنهار الذى يمر ليس نهاراً أخسره من حياتي، إنما هو جديد لا يشبه الذى مضى. إنه نهار غير مُعبر عنه يضاف إلى حياتي. فما أكتشفه اليوم كنت أجريه بالأمس. هكذا يغتنى شبابى الروحى. إننى أقيس الحياة بالمعرفة المدهشة للحياة. فالزمن الذى يمر هو إضافة لى: «إننى شِختُ شباباً لا يشيخ». أجل، أنا متفائل. لقد خرجتُ من أحلك الظلمات. خرجتُ حيًا من الأمراض، ومن جلسات التعذيب. ويمكننى القول أننى خرجتُ من أغوار الموت. والتفاؤل ليس سهلاً، وليس وسيلةً سهلةً لتجاوز الصعوبات أو تجاهلها. تفاؤلى لا يتزعزع، وهو راسخ لأنه ينجم ـ تحديدًا ـ عن اليأس.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب